كتاب متن المفتاح

كتاب

متن المفتاح

للسكاكي

سراج المعالي يوسف بن محمد * بمفتاحه قد حل كل معقد

واعجز بالايجاز في سحر لفظه * [illegible] وكان قد

فلم يرع كتب الاوائل مثله * [illegible] به فتقلد

للفقير [illegible] مصطفى

1438

نسخة الفقير [illegible] مصطفى

القسم الثالث من مفتاح العلوم
للنحرير العلامة ابي يعقوب سراج
الملة والدين يوسف بن محمد السكاكي
تغمده الله بغفرانه

من نعم عاجل الى العبد المدعو
سوقاوي زاده السيد احمد
نوري بن احمد السوقاوي

1

من موهبة سبحانه وتعالى
٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم اتمم لنا بالخير

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة لبيان حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما والكلام فيهما

المقدمة اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره واعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة اصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق واعني بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو او لازما له لما هو هو حينا واعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تركيب ان زيدا منطلق اذا سمعته

2

عن العارف بصياغة الكلام من ان يكون مقصودا به نفي الشك او رد الانكار او من تركيب زيد منطلق من انه يلزم مجرد القصد الى الاخبار او من نحو منطلق بترك المسند اليه من انه يلزم ان يكون المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها مقامها وكذا اذا لفظ بالمسند اليه وهكذا اذا عرف او نكر او قيد او اطلق او قدم او اخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق الكلام في العلمين باذن الله تعالى واما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر الى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تاخيره

بسم الله الرحمن الرحيم اتمم لنا بالخير

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة

لبيان حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما

والكلام فيهما

المقدمة اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب

الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف

عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره واعني بتراكيب

الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب

البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة

اصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق واعني بخاصية

التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا

مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث

هو هو او لازما له لما هو هو حينا واعني بالفهم فهم ذي الفطرة

السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تركيب ان زيدا منطلق اذا سمعته عن

العارف بصياغة الكلام من ان يكون مقصودا به نفي الشك

او رد الانكار او من تركيب زيد منطلق من انه يلزم مجرد القصد

الى الاخبار او من نحو منطلق بترك المسند اليه من انه يلزم ان يكون

المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها مقاماتها او

كذا اذا لفظ بالمسند اليه وهكذا اذا عرف او نكر او قيد او اطلق او

قدم او اخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق الكلام في

العلمين باذن الله تعالى **واما علم البيان** فهو معرفة ايراد المعنى الواحد

في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه او بالنقصان ليحترز

بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما

ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه

مفتقر الى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير

وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه

الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره

الفصل الاول في ضبط معاقد علم المعاني والكلام فيه اعلم

ان مساق الخبر يستدعي تمهيد اصل وهو ان مقتضى الحال عند المتكلم

يتفاوت كما ستقف عليه اذا افتضت الحال التعرض له من هذا

الكتاب باذن الله عز وجل فانه تقتضي ما لا تقتضي في تاديته الى ابد

من دلالات وضعية والفاظ كيف كانت ونظم لها لمجرد التاليف

بينها مخرجا عن حكم النعيق وهو الذي سميناه في علم النحو اصل المعنى و

تنزلها منزلة اصوات الحيوانات واخرى تقتضي ما يفتقر في تاديته

الى ازيد وظاهر ان الخطاء الذي نحن بصدده لا يجامع في الاول اذ ليس

التمييز فضلا ان يقع فيه من العاقل المتفطن وانما مثار الخطاء هو الثاني

وان اختلج في وهمك ان الاحتراز عن الخطاء في الثاني ان لم يتوقف على

علم المعاني استغني عنه وان توقف عليه ولا شبهة في ان الكلام فيه الكلام

من القبيل الثاني فتوقف تعريفه على تعريف له سابق وتسلسل او

يدور فسنوضح ما اجبناه عن تعلم علم الاستدلال وعلم العروض اذ قال ال

لو كان العقل او الطبع يكفي في الباب فليستغن عن تعلمها والا كان

تعليمها موقوفا على تعليم سابق والمال اما الدور او التسلسل وسننظم لك

هذين العلمين في سلك التعرض لهما اذا حان وقته باذن الله عز وجل و

اذ قد عرفت هذا فنقول ان التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف

على التعرض لتراكيبه ضرورة لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب

المصير الى ايرادها تحت الضبط بتعيين ما هو اصل لها وسابق عليها في

الاعتبار ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق او

السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب المحض بحكم

الاستقراء في الابواب الخمسة التي ياتيك ذكرها وما سوى ذلك نتائج قبل

امتناع اجراء الكلام على الاصل وعسى ان يرى ان نقحه يتساءل لك

اذا اجليته او ان كشف القناع عنه وجدت من نفسك الشان بخلافه

فلنعينهما اعني الخبر والطلب لافتتاح الكتاب بما نحن له والله المستعان

اعلم ان المعتنين بشانهما فرقتان فرقة توجههما الى التعريف وفرقة تعينهما

عن ذلك واختيارنا قول هولاء اما في الخبر فلما ان كل واحد من العقلاء
ممن لم يمارس الحدود والرسوم بل الصغار الذين لهم ادنى تمييز يعرف
الصادق والكاذب بدليل انهم يصدقون ابدا في مقام التصديق
ويكذبون ابدا في مقام التكذيب فلولا انهم عارفون للصادق والكاذب
لما تأتى منهم ذلك لكن العلم بالصادق والكاذب كما يشهد له عقلك موقوف
على العلم بالخبر الصدق والكذب هذا والحدود التي تذكر كقولهم الخبر هو الكلام
المحتمل للصدق والكذب او التصديق والتكذيب وكقولهم هو الكلام المفيد
بنفسه اضافة امر من الامور الى امر من الامور نفيا او اثباتا بعد تعريفهم
الكلام بانه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة وكقول من قال هو القول
المقتضي بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او الاثبات ليس فيها صلاحية للتعويل
اما ترى الحد الاول حين عرف صاحبه الصدق بانه الخبر عن الشيء
على ما هو به والكذب بانه الخبر عن الشيء لا على ما هو به كيف دار فخرج عن كونه
معرفا ومن ترك الصدق والكذب الى التصديق والتكذيب ما زاد على

على انّ وقع الدايرة والحد الثاني حين اوجب ان يكون قولنا في باب
الوصف الغلام الذي لزيد او ليس لزيد خبرا لكونه كلاما على قول صاحبه
ومفيدا بصريحه اضافة امر وهو الغلام الى امر وهو زيد بالاثبات في
احدهما والنفي في الآخر مع انتفاء كونه خبرا بدليل انتفاء لازم الخبر وهو
صحة احتمال الصدق والكذب فلا نزاع في كون ذلك لازم الخبر اما النزاع
في كونه حدا والحال ما تقدم وكذا قولنا ان زيدا غلام او ليس غلاما بفتح ان
كيف خرج عن ان تكون مطردا والحد الثالث حين اوجب ان لا تكون
قولنا ما لا يعلم بوجه من الوجوه لا نثبت له ولا ننفي خبرا لامتناع ان يقال
ما لا يعلم بوجه من الوجوه معلوم مع ان الكلام خبر كيف خرج عن ان تكون
منعكسا مع انتقاضه بالنقضين المذكورين وهما الغلام لزيد او ليس لزيد
وان زيدا غلام او ليس غلاما بفتح ان ولسوال المعلومية وجه دفع نذكره
في الحواشي واما في الطلب فلان كل احد يتمنى ويستفهم ويامر وينهى وينادي
يوجد كلا من ذلك في موضع نفسه عن علم وكل واحد من ذلك طلب

مخصوص والعلم بالطلب المخصوص مسبوق بالعلم بنفس الطلب ثم

ان الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما تفترقان باللازم المشهور وهو

احتمال الصدق والكذب والكلام في الطلب في ما نسبنا اليه نقص

على ما فرعنا به سمعك هنا لكنا سنفرغ في صماخيك باذن الله تعالى اوان

التصدي لتحقيقه ما تنقش صورته في ذهنك النقش الجلي ولنكتف بهذا

القدر من التنبيه على استغناء الطلب والخبر عن التعريف الحدي ولنعقد

لمساق الحديث في كل واحد منهما قانونا **القانون الاول** فيما يتعلق

بالخبر واعلم ان مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب الى حكم المخبر

الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم كالحكم فاعلا ذلك اذا قال هو لزيد

او ليس لزيد الا الحكم بمعقول يشير اليه اشارة اذا قال الذي هو لزيد او

ليس لزيد فاوقعه صلة للموصول الذي من حقه ان يكون صلته قبل

اقترانها به معلومة للمخاطب اذا قال انه زيد نفخ ان فنقل الحكم بثبوت

الزيدية للضمير الا جعله تصور امشارا اليه يحكم له او به اذا قال حتى انه

انه زيد او قال الذي ادعيه انه زيد فاما السبب في كون الخبر محتملا

للصدق والكذب فهو امكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث

انه حكم مخبر ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب الى استفادة المخاطب منه

ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك او

استفادته منه انك تعلم ذلك الحكم كقولك لمن حفظ التورية قد حفظت

التورية ويسمى هذا لازم فائدة الخبر والاولى بدون هذه تمتنع وهذه بدون

الاولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة ومرجع كونه صدقا او كذبا

عند الجمهور الى مطابقة ذلك الحكم للواقع او غير مطابقته له وهو المتعارف

وعليه التعويل وعند بعض الى طباق الحكم لاعتقاد المخبر او ظنه والى

لا طباقه لذلك سواء كان ذلك الاعتقاد او الظن خطأ او صوابا بناء

على دعوى تنزه المخبر عن الكذب متى ظهر خبره بخلاف الواقع واحتجاجه

لها بان لم يتكلم بخلاف الاعتقاد او الظن لكن نكذبنا اليهودي مثلا اذا

قال الاسلام باطل وتصديقنا له اذا قال الاسلام حق ينبئان بالقلع

عن هذا بكذا الخ جليه

قيل معنى احتمال الصدق والكذب
هو احتمال بعينه امكان تحققه مع كل منهما
فلا معنى لتعليله به اجيب ان المراد بالامكان
ما هو بحسب نفس الامر والاحتمال هو الامكان
الذهني الذي هو عبارة عن تجويز الذهن في
نفس التعليل

على هذا البناء ويستوجبان طلب تأويل لقوله تعالى إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون وهو حمل قول المنافقين على كونه مقرونا بأنه قول عن صميم القلب
كما ينبئ عنه إن واللام وكون الجملة اسمية في قولهم لأرباب البلاغة
وسيأتيك تعرض لهذه الآية وإذ قد عرفت أن الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم
لمفهوم وهو الذي نسميه الإسناد الخبري كقولنا شيء ثابت شيء ليس ثابتا
فأنت في الأول تحكم بالثبوت للشيء وفي الثاني باللاثبوت عرفت
أن فنون الاعتبارات الراجعة إلى الخبر لا تزيد على ثلاثة فن يرجع إلى
الحكم وفن يرجع إلى المحكوم له وهو المسند إليه وفن يرجع إلى المحكوم به
وهو المسند أما الاعتبار الراجع إلى الحكم في التركيب من حيث هو حكم
من غير التعرض لكونه لغويا أو عقليا فإن ذلك وظيفة بيانية فكون التركيب
تارة غير مكرر ومجردا عن لام الابتداء وإن المشبهة والقسم ولامه ونوني
التأكيد كنحو زيد عارف وأخرى مكررا أو غير مجرد كنحو عرفت عرفت لزيد

6

لزيد عارف وإن زيدا عارف وإن زيدا لعارف ووالله لقد عرفت
أو لأعرفن في الإثبات وفي النفي كون التركيب غير مكرر ومقصورا على
كلمة النفي مرة كنحو ليس زيد منطلقا وما زيد منطلقا ولا رجل عندي ومرة
مكررا كنحو ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا وغير مقصور على كلمة النفي
كنحو زيد ليس بمنطلق وما إن يقوم زيد ووالله ما زيد قائما فهذه ترجع إلى نفس
الإسناد الخبري وأما الاعتبار الراجع إلى المسند إليه في التركيب من
حيث هو المسند إليه من غير التعرض لكونه حقيقة أو مجازا فكونه
محذوفا كقولك عارف وأنت تريد زيد عارف أو ثابتا معرفا من أحد المعارف
وسنعرفها مصحوبا بشيء من التوابع أو غير مصحوب مقرونا بفصل أو
غير مقرون أو منكرا مخصوصا أو غير مخصوص مقدما على المسند
أو مؤخرا عنه وأما الاعتبار الراجع إلى المسند من حيث هو مسند
أيضا فكونه متروكا أو غير متروك وكونه مفردا أو جملة وفي أفراده
من كونه فعلا أو اسما منكرا أو معرفا مقيدا كل من ذلك بنوع قيد أو غير

مقتضٍ وفي كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية

وكونه مقدما او مؤخرا هذا اذا كانت الجملة الخبرية مفردة اما اذا

انتظمت مع اخرى فتقع اذ ذاك اعتبارات سوى ما ذكر في رابع ولا يتضح

الكلام في جميع ذلك اتضاحه الا بالتعرض لمقتضى الحال فالحري ان نتحف

ظهرك بما نقول والله الموفق للصواب لا يخفى عليك ان مقامات الكلام

متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنية يباين مقام

التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب

ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداءً

يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار او الانكار ومقام البناء على السوال

يغاير مقام البناء على الانكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام

الكلام مع الذكي يباين مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى

غير مقتضى الاخر ثم اذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل

حد ينتهي اليه الكلام مقام وارتفاع شان الكلام في الحسن والقبول

والانحطاط في ذلك بحسب مصادفة المقام لما يليق به وهو الذي

نسميه مقتضى الحال فان كان مقتضى الحال اطلاق الحكم فحسن الكلام

تجريده عن مؤكدات الحكم وان كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن

الكلام تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة وان كان

مقتضى الحال طي ذكر المسند اليه فحسن الكلام تركه وان كان المقتضى

اثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار

المناسب وكذا ان كان المقتضى ترك المسند اليه فحسن الكلام وروده

عاريا عن ذكره وان كان المقتضى اثباته مخصصا بشيء من المخصصات

فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها

وكذا اذا كان المقتضى عند انتظام الجملة مع اخرى فصلها او وصلها

والايجاز معها او الاطناب اعني طيها عن البين ولا طيها فحسن

الكلام تاليفه مطابقا لذلك وما ذكرناه حديث اجمالي لا بد من تفصيله

فاستمع لما يتلى عليك باذن الله تعالى وقد ترتب الكلام ههنا كما ترى على اربعة

فنون الفن الاول في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري الفن الثاني
في تفصيل اعتبارات المسند اليه الفن الثالث في تفصيل اعتبارات
المسند الفن الرابع في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والايجاز
والاطناب وقبل ان نشرع في هذه الفنون حقها في الذكر ننبهك على اصل
لتكون على ذكر منك وهو انه ليس من الواجب في صناعة وان كان المرجع
في اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل ان يكون الدخيل فيها كالناشي
عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى
تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني
ان يقلد صاحبها في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له
على مهل موجبات ذلك الذوق وكان شيخنا الحاتمي ذلك الامام الذي لن
تسمح بمثله الادوار ما دار الفلك الدوار تغمده الله تعالى برضوانه يحيلنا
لكثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن بلغ
في عدة شعب من علم الادب وصنعة نهاية وعانى فيها وكد وكد وها

هو الامام عبد القاهر قدس الله روحه في دلائل الاعجاز بعيد منا

الفن الاول من المعلوم ان حكم حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم
في قالب الافادة ما ينطق به تحاشيا عن وصمة اللاغية فاذا اندفع في
الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند اليه في خبره ذاك
افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فاذا القى الجملة الخبرية
الى من هو خالي الذهن عما يلقى اليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه
استناد احدهما الى الآخر ثبوتا او انتفاء كفى في ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن
لمصادفته اياه خاليا ٭ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا فارغا فتمكنا ٭ فيستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى هذا النوع
من الخبر ابتدائيا واذا القاها الى طالب لها متحير طرفاها عنده دون
الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ
بادخال اللام في الجملة او ان كقولك لزيد عارف او ان زيدا عارف ويسمى هذا
النوع من الخبر طلبيا واذا القاها الى حاكم فيها بخلافه ليرده الى حكم نفسه

استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الانكار في
اعتقاده كقولك صادق لمن ينكر صدقك ولكن انك لصادق لمن يبالغ
في انكار صدقك ووالله اني لصادق على هذا وان شئت فتأمل كلام
رب العزة علت كلمته اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا
انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم
الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون كيف يقرر ما الفي في سنن النوع
من الخبر انكارا واخراج الكلام في هذه الاحوال على الوجوه المذكورة يسمى
اخراج مقتضى الظاهر وانه في علم البيان يسمى بالتصريح كما ستقف عليه و
الذي اريناك اذا اعملت فيه البصيرة استوثقت من جواب ابي العباس
للكندي حين سأله قائلا اني اجد في كلام العرب حشوا يقولون عبد الله
قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم والمعنى واحد وذلك
ان قال بل المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله
قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه

فبأنه هذا ثم انك ترى المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على
مقتضى الظاهر كثيرا وذلك اذا احلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية وبلازم
فائدتها علما محل الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها
تجهيله بوجوه مختلفة وان شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا
لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون كيف تجد صدره يصف اهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد
القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ونظيره في النفي والاثبات
وما رميت اذ رميت وقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم فيسوقون الكلام الى الخالي مساقه
الى ذاك وهكذا قد يقيمون من لا يكون سائلا مقام من يسأل فلا
يتركون في صياغة التركيب للكلام بينهما وانما يصبونه لهما في قالب
واحد اذا كانوا قدموا اليه ما يلوح مثله للنفس اليقظى بحكم ذلك الخبر فيتركها
مستشرفة له استشراف المتردد الطالب المتحير بتمثيل بين اقدام للتلويح

وإبهام لعدم التصريح فيرجون الجملة المصدّرة بانّ ويرون سلوك
هذا الاسلوب في امثال هذه المقامات من كمال البلاغة واصابة
المحزّ او ما ترى بشارًا كيف سلكه في رائيّته: بكّرا صاحبيّ قبل الهجير
انّ ذاك النجاح في التبكير: حتى استهوته الفتنة بأمّة صناعة البلاغة
المهتدين بفطرتهم الى تطبيق مفاصلها ومن الاعراب الخُلّص من كل حارش
يربوع وضبّ تلقاه في بلاغته يضع الهناء مواضع النقب دون
المولّدين الذين قصارى امرهم في مضمار البلاغة اوان الاستباق
اذا استفرغوا مجهودهم الاقتداء باولئك ومن الشواهد لما نحن فيه
شهادة غير مردودة رواية الاصمعي تقبيل خلف الاحمر بين عيني
بشار بمحضر ابي عمرو بن العلاء حين استنشده قصيدته هل روي
من ان خلفًا قال لبشار بعدما انشد القصيدة لو قلت يا ابا معاذ
مكان انّ ذاك النجاح بكّرا فالنجاح في التبكير كان احسن فقال بشار
انما قلتها يعني قصيدته اعرابية وحشية فقلت انّ ذاك النجاح في

في التبكير كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكّرا فالنجاح
كان هذا من كلام المولّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في
معنى القصيدة فقام وقبّل فهل فحوى ما جرى بين بشار وصاحبه
وهم من فحولة هذا النوع ومن المهرة المتقنين والسحرة المؤخذين
الا راسخة بتحقيق ما انت منه على ريبة وقل لي مثل بشار وقد
تعمّد ان يجلد بشقشقة سكّان مهابّ الريح من كل ماضغ قيصوم
وشيح اذا خاطب ببكّرا محرّضًا صاحبيه على التشمير عن ساق
الجدّ في شان التسفار افتراه لم يتصوّرهما حائمين حول هل التبكير نجح
النجاح فيتجانف عن التوكيد ولم يتلقّاهما بانّ هيهات ونظيره
فغنّها وهي لك الفداء انّ غناء الابل الحُداء وفي التنزيل ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انّهم مغرقون وكذا وما ابرّئ نفسي انّ النفس
لأمّارة بالسوء وكذا وصلّ عليهم انّ صلاتك سكن لهم وكذا يا ايها الناس
اتّقوا ربكم انّ زلزلة الساعة شيء عظيم وامثال ذلك كثيرة واذا صادف

ما اربناك بصيرة مثلك ووقفت على ما نبهتك في الفن الرابع اعني في باب النقد لتركيبات الجمل الخبرية في نحو اعبد ربك ان العبادة حق له واعبد ربك فالعبادة حق له واعبد ربك العبادة حق له على تفاوتها مناك واجدا من نفسك فضل الاولى على الثانية بحسب المقام وردادة الاخيرة تارة والحكم بالعكس اخرى ولكنت الحاكم الفيصل باذن الله تعالى

وكذلك قد ينزلون منزلة المنكر من لا يكون اباه اذا راوا عليه شيئا من ملابس الانكار فيجعلون خبر الكلام لهما على منوال واحد كقولك لمن تصدى لمقاومة مكاوحا اياه غير مندبر مغترا بما لديه من النعش من سهوله تابعها لم ان امامك مكاوحا لك ومن هذا الاسلوب قوله

جاء شقيق عارضا رمحه ❊ ان بني عمك فيهم رماح ❊

ويقلبون هذه القضية مع المنكر اذا كان معه ما ان تامله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق وقوله عز وعلا في حق القرآن لا ريب فيه وكم من شقي مرتاب فيه وارد على ذا وهذا النوع اعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر متى وقع عند النظار موقعا استهش الانفس وانق الاسماع وهز القرائح ونشط الاذهان ولامر ما تجد ارباب البلاغة وفرسان الطراد في ميدانها الرامية في حدق البيان تستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم وانه في علم البيان يسمى بالكناية وله انواع تقف عليها وعلى وجه حسنها بالتفصيل هناك ان شاء الله تعالى وان هذا الفن فن لا تلين عريكته ولا ينقاد قرونته بمجرد استقراء صحو منه وتتبع مظان اخوات لها واتعاب النفس بتكرارها واستيداع الخاطر حفظها وتحصيلها بل لا بد من ممارسات لها كثيرة ومراجعات فيها طويلة مع فضل الهي من سلامة فطرة واستقامة طبيعة وشغف ذكاء وصفاء قريحة وعقل وافر ومن اتقن الكلام في اعتبارات الاثبات وقف على اعتبارات النفي واعلم انك اذا احذقت في هذا الفن لصدق همتك واستفراغ جهدك فيه وتلجئ املتك التسلق به الى العثور على السبب في انزال رب العزة قرانه المجيد على هذه المناهج ان شاء الله تعالى

الفن الثاني لما تقرران مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق

تركيبه على مقتضى الحال وعلى انطباقه وجب علىك انها الحريص على
ازدياد فضلك المنتجب لاقداح زناد عقلك المتفحص عن تفاصيل
المزايا التي بها يقع التفاضل وينعقد بين البلغاء في شأنها التسابق
والتناضل ان ترجع لفكرك الصائب وذهنك الثاقب وخاطرك اليقظان
وانتباهك العظيم الشأن ناظرا بنور عقلك وعين بصيرتك في التصفح
لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه على كيفيات مختلفة وصور متنافية
حتى يتأتى بروزه عندك لكل منزلة في معرضها فهو البرهان الذي يجرب
به الجياد والنضال الذي يعرف به الايدي الشداد فتعرف ان ما حال
تقتضي طي ذكره واياما حال تقتضي خلاف ذلك واياما حال تقتضي تعرفه مضمرا
او علما او موصولا او اسم اشارة او معرفا باللام او بالاضافة واياما حال
تقتضي تعقيبه بشيء من التوابع الخمسة والفصل واياما حال تقتضي تنكيره
واياما حال تقتضي تقديمه على المسند واياما حال تقتضي تأخيره عنه واياما
تقتضي تخصيصه او اطلاقه مع حال التنكير واياما تقتضي قصره على الخبر اما

12

اما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند اليه فهي اذا كان السامع مستحضرا له
عارفا منك القصد اليه عند ذكر المسند والترك راجح اما لضيق
المقام واما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر واما لتخييل ان في
تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من
حيث الظاهر وكم بين الشهادتين واما لايهام ان في تركه تطهيرا
للسان عنه او تطهيرا له عن لسانك واما للقصد الى عدم التصريح
ليكون لك سبيل الى الانكار ان مست اليه حاجة واما لان الخبر
لا يصلح الا له حقيقة كقولك خالق لما يشاء فاعل لما يريد او ادعاء
واما لان الاستعمال وارد على تركه او ترك نظائره كقولهم نعم الرجل
زيد على قول من يرى اصل الكلام نعم الرجل هو زيد واما لاغراض
سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدي
الى امثالها الا العقل السليم والطبع المستقيم وقل ما ملك الحكم هناك
شيء غيرهما فراجعهما في مثل قوله قال لي كيف انت قلت عليل

سهر دائم وحزن طويل ۰ كيف تجد الحكم اذ لم يقل انا عليل

وفي مثل قوله حين شكا ابن عمه فلطمه فانشأ يقول ۰ سريع

الى ابن العم يلطم وجهه ۰ وليس الى داعي الندى بسريع ۰ حريص

على الدنيا مضيع لدينه ۰ وليس لما في بيته بمضيع ۰ حيث لم يقل

هو سريع وفي مثل قوله ۰ سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ۰ أيادي

لم تمنن وان هي جلت ۰ فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ۰

ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت ۰ اذ لم يقل هو فتى وفي مثل قوله

۰ اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ۰ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ۰

نجوم سماء كلما انقض كوكب ۰ بدى كوكب تأوي اليه كواكبه

حين لم يقل هم نجوم سماء وقوله عز قائلا سورة انزلناها وفرضناها

اذ لم يقل هذه سورة انزلناها وقوله وما ادريك ما هيه نار حامية اذ

لم يقل هي نار حامية وقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة على

احد الاعتبارين فيهما وهو فامري صبر جميل وامركم او الذي يطلب

يطلب منكم او طاعتكم طاعة معروفة بحسب تفسير المعروفة و

اما الحالة التي تقتضي اثباته فهي ان يكون الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه

والمراد تخصيصه بمعين كقولك زيد جاء وعمرو ذهب وخالد في

الدار وقوله ۰ الله اخبح ما طلبت به ۰ والبر خير حقيبة الرحل ۰

وقوله ۰ النفس راغبة اذا رغبتها ۰ واذا ترد الى قليل تقنع ۰ او لذكر

احتياطا في احضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد بالقرائن او

للتنبيه على غباوة السامع او لزيادة الايضاح والتقرير او لان في ذكره

تعظيما للمذكور او اهانة له كما يكون في بعض الاسامي في المقام مقام

ذلك او يذكر تبركا به واستلذاذا له كما تقول الموحد الله خالق كل شيء

ورازق كل حي او لان اصغاء السامع مطلوب فيبسط الكلام افتراصا

بسط موسى عليه السلام اذ قيل له وما تلك بيمينك يا موسى وكان يتم

الجواب بمجرد ان يقول عصا ثم ذكر المسند اليه وزاد فقال هي عصاي

اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ونظيره في البسط

نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فبسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة
الاصنام وافتخارا لمواظبتها معرضين عن الجواب المطابق المختصر وهو
اصناما ولان الاصل في المسند اليه هو كونه مذكورا او ما جرى
مجرى الجرى واما الحالة التي تقتضي تعرفه فهي اذا كان المقصود من الكلام
افادة السامع فائدة يعتد بمثلها والسبب في ذلك هو ان فائدة الخبر
لما كانت هي الحكم او لازمه كما عرفت في اول قانون الخبر ولازم الحكم وهو
انك تعلم حكما ايضا ولا شبهة ان احتمال تحقق الحكم متى كان ابعد كانت
الفائدة في تعريفه اقوى ومتى كان اقرب كانت اضعف وبعد تحقق
الحكم بحسب تخصيص المسند اليه والمسند كلما ازداد تخصصا ازداد
الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا وان شئت فاعتبر
حال الحكم في قولك شيء ما موجود وفي قولك فلان بن فلان حافظ
للتورية والانجيل يتضح لك ما ذكرت ثم ان تخصيص المسند اليه اما
ان يكون لكونه احد اقسام المعرفات فحسب وهي المضمرات الاعلام المبهمات

المبهمات اعني الموصولات واسماء الاشارة المعرفات باللام المضافات
الى المعارف اضافة حقيقية مع القيد المذكور في علم النحو ولما زاد على
ذلك من كونه مصحوبا بشيء من التوابع الخمسة والضمير المسمى فصلا
واما ان يكون لما ذكر كما ستقف ولكل من ذلك حالة تقتضيه
اما الحالة التي تقتضي كونه مضمرا فهي اذا كان المقام مقام حكاية كقوله
انا الذي يجدوني في صدورهم، لا ارتقي صدرا منها ولا اردُ،
وقوله، انا المرعث لا اخفى على احد، ذرت بي الشمس للقاصي وللداني،
وقوله، ونحن التاركون لما سخطنا، ونحن الآخذون لما رضينا،
وقوله، ونحن بنو عم على ذاك بيننا، زرابي فيها بغضة وتنافس،
ونحن كصدع العس ان يعط شاعبا، يدعه وفيه عيبه متشاخس،
او مقام خطاب كقوله، يا ابن الكارم من عدنان قد علموا، وثالب
المجد بين العم والخال، انت الذي تنزل الايام منزلها، وتمسك
الارض من خسف وزلزال، وقوله، فقد كان قبلك اقوام فجعت بهم،

خلق لنا هلكهم سمعا وأبصارا * أنت الذي لم تدع سمعا ولا بصرا
إلا شفا فأمر العيش إمرارا * وقوله * وأنت التي كلفتني دلج السرى
وجون القطا بالجلهتين جثوم * وقولها * وأنت الذي خلفتني ما وعدتني
وأشمت بي من كان فيك يلوم * وحق الخطاب أن يكون مع مخاطب
معين ثم يترك إلى غير معين كما تقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك
وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد مخاطبا بعينه كأنك قلت إن
أكرم أو أحسن إليه أساء قصدا إلى أن سوء معاملته لا يختص بواحد دون
واحد وهو في القرآن كثير نحو قوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسو
رؤسهم على العموم قصدا إلى تفظيع حال المجرمين وأن قد بلغت
من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص بها راء دون
راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب وكذا
أمثاله أو كان المسند إليه في ذهن السامع لكونه مذكورا أو في حكم
المذكور لقرائن الأحوال ويراد الإشارة إليه كقوله * من البيض الوجوه

الوجوه بني سنان * لو انك تستضيء بهم أضاؤوا * هم حلوا من الشرف المعلى
ومن حسب العشيرة حيث شاؤوا * وقوله * بيمن أبي إسحاق طالت يد العلى
وقامت قناة الدين واشتد كاهله * هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله * وقوله * أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب
فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب * هو المهرب المنجي لمن أحدقت به
مكاره دهر ليس عنهن مهرب * وأما الحالة التي تقتضي كونه علما
فهي إذا كان المقام مقام إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء
بطريق يخصه نحو زيد صديق لك وعمرو عدو لك ونحو قوله *
أبو مالك قاصر فقره * على نفسه ومشيع غناه * وقوله * الله يعلم ما تركت
قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد * قال الله تعالى تبت يدا أبي لهب
أو مقام تعظيم والاسم صالح لذلك كما في الكنى والألقاب المحمودة أو إهانة
والاسم صالح كالأسامي المذمومة أو كناية مثل قوله تبت يدا أبي لهب
أي يد جهنمي أو مقام إيهام أنك تستلذ اسمه العلم أو تتبرك به أو ما شاكل

ذلك مما لا مدخل في الاعتبار وأما الحالة التي تقتضي كونه موصولا
فهي متى صح احضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب
إليه مشارا إليه واتصل باحضاره بهذا الوجه غرض مثل أن لا يكون
لك منه أمر معلوم سواه أو للمخاطب فتقول الذي كان معنا أمس لا نعرفه
أو الذي كان معنا أمس رجل عالم فاعرفه أو الذين في بلاد الشرق
لا أعرفهم أو أن يستهجن التصريح بالاسم أو أن يقصد زيادة التقرير كما في
قوله عز وعلا وراودته التي هو في بيتها عن نفسه والعدول عن
التصريح باب من البلاغة يصار إليه كثيرا وإن أورث تطويلا كما حكي
عن شريح أن رجلا أقر عنده بشيء ثم رجع ينكر فقال له شريح شهد عليك
ابن أخت خالتك آثر شريح التطويل ليعدل عن التصريح بنسبة الحماقة
إلى المنكر لكون الإنكار بعد الإقرار إدخالا للعنق في ربقة الكذب لا محالة
أو للتهمة وكذا ما يحكى عنه أن عدي بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل
الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدي شريح قال عدي لشريح أين أنت

16

أنت قال بينك وبين الحائط قال إني امرؤ من أهل الشام قال بعيد
سحيق قال وإني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه
قال بالرفاء والبنين قال وإنها ولدت غلاما قال ليهنك الفارس
قال وأردت أن أنقلها إلى داري قال المرء أحق بأهله قال وقد كنت
شرطت لها دارها قال الشرط أملك قال اقض بيننا قال فعلت قال
فعلى من قضيت قال على ابن أمك عدل عن لفظ عليك لئلا يواجهه
بالتصريح على ما يشق على المخاصم من القضاء عليه أو أن تومي بذلك
إلى وجه الخبر الذي تبنيه عليه فتقول الذين آمنوا لهم درجات
النعيم والذين كفروا لهم دركات الجحيم ثم يتفرع على هذا اعتبارات
لطيفة ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم كقولك الذي يرافقك
يستحق الإجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع
ومنه قولهم جاء بعد اللتيا والتي وستأتيك في فصل المجاز معناه
أو بالإهانة كما إذا قلبت الخبر في الصورتين ثم ربما جعل ذريعة

تعظيم شان الخبر كقوله ❁ ان الذي سمك السماء بنى لنا ❁ بيتا دعائمه اعز واطول ❁

وربما جعل ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله ❁ ان التي ضربت بيتا مهاجرة ❁

بكوفة الجند غالت ودها غول ❁ وربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب

على خطاء كقوله ❁ ان الذين ترونهم اخوانكم ❁ يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا ❁

او على معنى اخر كقوله ❁ ان الذي الوحشة في داره ❁ تونسه الرحمة في لحده ❁

وربما قصد بذلك ان تتجه ذهن السامع الى ما سيخبر به عنه منتظرا

لوروده عليه حتى ياخذ منه مكانه اذا ورد كقوله ❁ والذي حارت البرية فيه ❁

حيوان مستحدث من جماد ❁ وفي هذه الاعتبارات كثرة فحكم لها

ذكائك واما الحالة التي تقتضي كونه اسم اشارة فهي متى صح احضاره في

الذهن السامع بوساطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك داع مثل

ان لا يكون لك او للسامع طريق اليه سواها او ان تقصد بذلك اكمل

تمييز له وتعيين كقوله ❁ هذا ابو الصقر فردا في محاسنه ❁

من نسل شيبان بين الضال والسلم ❁ واذا تامل شخص ضيف مقبل ❁

مقبل ❁ متسربل سربال ليل اغبر ❁ اوحى الى الكوماء هذا طارق ❁

نحرتني الاعداء ان لم تنحري ❁ وقوله ❁ ولا يقيم على ضيم يراد به ❁ الا الاذلان

عير الحي والوتد ❁ هذا على الخسف مربوط برمته ❁ وذا يشج فلا يرثي له احد ❁

وقال عز قائلا هذا وان للمتقين وقرى من قبل هذا فاصبر وقوله

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى ❁ وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا ❁

او ان تقصد بذلك بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك

هذا وذلك وذاك ثم يتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل ان تقصد

بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه كقوله عز من قائل اولئك على هدى

من ربهم واولئك هم المفلحون او ان تقصد به ان السامع غبي لا يتميز الشيء

عنده الا بالحس كقول الفرزدق في خطابه جريرا ❁ اولئك آبائي فجئني بمثلهم ❁

اذا جمعتنا يا جرير المجامع ❁ او ان تقصد بقربه تحقيره واسترذاله

كما قالت عائشة رضي الله عنها يا عجبا لابن عمرو وهذا تحقيرة له وهو عبد الله

ابن عمرو بن العاص وكما حكيه عز وجل عن الكفار ماذا اراد الله بهذا

مثلا وفي موضع اخر اهذا الذي بعث الله رسولا وفي موضع اخر اهذا

الذي يذكر آلهتكم ومنه وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وفي كلام الحكيم

القائل عن امرأته تقول ودقت نحرها بيمينها ابعلي هذا بالرحى المتقاعس

ويجيء لتعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل واولئك الفحول

المفلحون وكقوله عز وعلا الم ذلك الكتاب ذهابا الى بعد درجته وقولها

فذلكن الذي لمتنني فيه لم تقل فهذا وهو يوسف حاضر

رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله

ومن التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى وتلك الجنة الى اوز ونحوها او

خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين فعل كذا وفذلك الذي يدع اليتيم او

ما سوى ذلك مما له انخراط في هذا السلك ولطائف هذا الفصل

لا تكاد تنضبط واما الحالة التي تقتضي التعريف باللام فهي متى اريد

بالمسند اليه نفس الحقيقة كقولك الماء مبدأ كل حي قال عز من قائل

وجعلنا من الماء كل شيء حي اي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي

الذي هو جنس الماء ويلتفت في الروايات انه جل وعلا خلق الملائكة من

ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه

منه وكقولك الرجل افضل من المرأة والدينار خير من الدرهم

والكل اعظم من الجزء ونعم الرجل او بئس الرجل ومن تعريف الجنس

قوله والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر وقوله

الناس ارض بكل ارض وانت من فوقهم سماء وقوله عز قائلا

اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ولقرب المسافة

اذا تأملت بين ان تعرف الاسم هذا التعريف وبين ان تتركه غير معرف

به تعامل معرفة كثيرا معاملة غير المعرف قال ولقد امر على اللئيم يسبني

فمضيت ثمت قلت لا يعنيني فعرف اللئيم والمعنى ولقد امر على لئيم من

اللئام ولذلك تقدر يسبني وصفا لا حالا وله في القران غير نظير او العموم

والاستغراق كقوله عز وعلا ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا

وعملوا الصالحات وقوله السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله لا تفلح

الساحر حيث ولذا او كان المسند اليه حصة معهودة من الحقيقة

كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا او رجلان او رجال

فتقول له الرجل الذي جاءك امرؤ او الرجلان اللذان جاآك

او الرجال الذين جاؤك وفي التنزيل وابعث في المداين حاشرين

ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة وفي موضع اخر كما ارسلنا الى

فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ونقرر ما ذكرنا من افادة اللام

الاستغراق او العهد نذكره في الفن الثالث ان شاء الله تعالى

واما الحالة التي تقتضي التعريف بالاضافة فهي متى لم يكن للمتكلم

الى احضاره في ذهن السامع طريق سواها اصلا كقولك غلام

زيد اذا لم يكن عندك منه شيء سواه او عند سامعك او طريق

سواها اخصر والمقام مقام اختصار كقوله هواي مع الركب اليمانين

مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق او لان في اضافته حصول

مطلوب اخر مثل ان تغني عن التفصيل المتعذر او لانه ترك جهة

لجهة من الجهات كقوله بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود في غيل

خفان اشبل وقوله اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم

المفضل وقوله قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

وقوله قبايلنا سبع وانتم ثلثة وللسبع خير من ثلاث واكثر

او مثل ان تتضمن اعتبارا لطيفا مجازيا كقوله اذا كوكب الخرقاء

لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرايب وقوله اذا قال قدني

قال بالله حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا او مثل ان تتضمن

تعظيم باعتبار كما تقول عبدي حضر فتعظم شانك ان لك عبدا او

كما تقول عبد الخليفة حضر فتعظم شان العبد وكما تقول عبد الخليفة

عند فلان فتعظم شان فلان او نوع تحقير كما تقول ولد الحجام عنده

او غرضا من الاعراض ممكن التعلق بالاضافة واما الحالة

التي تقتضي وصف المعرف فهي اذا كان الوصف مبينا له كاشفا عنه

كما اذا قلت الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله

او قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي على هدى من ربه
فبينت بالوصف على الطف الوجه ان المتقي هو الذي يفعل
الواجبات باسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات عن اخرها وكشفته
كشفا كاملا حيث ذكرت اساس الحسنات
ومنصبها وهو الايمان وعقبته بامي العبادات البدنية والمالية
المستتبعتين لسائر العبادات وهما الصلوة والزكوة فافدت
بذلك فعل الواجبات باسرها وذكرت الناهي عن الفحشاء والمنكر
وهو الصلوة فافدت بذلك اجتناب الفواحش عن اخرها ونظيره
في تنزيل الوصف منزلة الكاشف المجري عليه قول اوس
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشد ولم يزد وما يوحي
هذا قوله جل وعلا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا عن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد

الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله او مدحا كقولك الله الخالق
البارئ المصور او كما اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويزكي ويصلي على
هدى ولم ترد الا مدحه او ذما له كقولك ابليس اللعين ضال مضل او
مخصصا له بناء تخصيص مفيدا غير فائدة الكشف او المدح كقولك
زيد التاجر عندنا او كما اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي على
هدى وانت تريد بالمتقي المجتنب عن المعاصي او تاكيدا له مجردا كقولك
امس الدابر لا يعود وكان ما يتعلق بالوصف مطلوبا ولما ترى من
التمييز بالوصف امتناع ان تميز شيئا عن شيء ما لم تعرفه له يكمل ان تتوصل
بطلان حق الوصف كونه عند السامع معلوم التحقق للموصوف ولعلك
بان تحقق الشيء للشيء فرع على تحققه في نفسه لا تشتبه ان حق كل وصف
هو ان يكون في نفسه ثابتا محققا وان كل ما تقصد نبوته للغير ان يكون
في نفسه ثابتا وعندك فما لا يكون ثابتا كذلك او محققا وان حق كل ما تقصد
نبوته للغير ان يكون في نفسه ثابتا وعندك فما لا يكون ثابتا كذلك او محققا

فيمتنع مثل جعله وصفا وكذا اخبرًا ايضا لحكم عكس النقيض و

عسى اذا استوضحت ما اردناه ان يجذب بضبعك في تزييف راي

من لم يرى الصفة معلومة وان يتحقق ان محاولة اثبات الثابت

في نفسه لشيء لاخر يستدعي ثبوت ذلك الشيء الاخر في نفسه لا محالة

ثم لعلمك انه الطلب سعي في التحصيل وان تحصيل الحاصل ممتنع

لا سيما بكل ذلك في قانون الطلب تعلم ان مطلوبك مثله في

نحو هل رايت كذا وفي نحو اضرب يمتنع ان تكون ثابتا عندك ومتحققا

فيمتنع ان تجعل مثله وصفا او خبرا ولذلك تستعمله في مثل قوله

جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط نقول تقديره جاؤا بمذق مقول عنده

في حقه هذا القول اي يحمل المذق رائيه ان يقول لمشاهده هل

رايت الذئب قط لا يراده في خيال الرائي لون الذئب بورقته لكونه

شيبا او في مثل زيد اضربه او لا تضربه محمولا على تقال اي تقال في

حقه اضربه او لا تضربه وتفسير قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولقد نجينا

بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على لفظ من الاستفهام

ورفع فرعون بانه لما وصف الله تعالى العذاب بكونه مهينا بيانا لشدته

وفظاعة امره واراد ان يصور كنهه قال من فرعون هل تعرفونه

من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته في تفرعنه ما ظنكم بعذاب

يكون المعذب مثله ثم عرف حالته في ذلك قائلا انه كان عاليا من

المسرفين وستطلع من كتابنا هذا من حذ منه على ثمرات

محجبة في الكلام واما الحالة التي تقتضي تاكيده فهي اذا كان المراد

ان لا يظن بك السامع في حملك ذلك تجوزا او سهوا او نسيانا

كقولك عرفت انا وعرفت انت وعرف زيد زيد او نفسه او عينه

وربما كان القصد مجرد التقرير كما يطلعك عليه فصل اعتبار التقديم

والتاخير مع الفعل او خلاف الشمول والاحاطة كقولهم عرفني

الرجلان كلاهما او الرجال كلهم ومنه كل رجل عارف وكل انسان حيوان

واما الحالة التي تقتضي بيانه وتفسيره فهي اذا كان المراد زيادة

ايضاحه بما يخصه من الاسم كقولك صدق خالد قدمه وقوله
تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد من هذا القبيل
فان الهين باثنين واله بواحد لان لفظ الهين يحتمل معنى الجنسية
ومعنى التثنية وكذا لفظ اله يحتمل الجنسية والوحدة والذى له
الكلام مسوق هو العدد في الاول والوحدة في الثاني ففسر
الهين باثنين واله بواحد بيانا لما هو الاصل في الغرض ومن هذا
الباب من وجه قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه ذكر في الارض مع الدابة ويطير بجناحيه مع طائر لبيان
ان القصد من لفظ دابة ولفظ طائر انما هو الى الجنسين والى تقريرهما
واما الحالة التي تقتضي البدل عنه فهي اذا كان المراد تكرير الحكم
وذكر المسند اليه بعد توطية ذكره لزيادة التقرير والايضاح كقولك
سلب زيد ثوبه وجاء القوم اكثرهم وحق عليك الصراط المستقيم
صراط الذين انعم الله عليهم في الانواع الثلثة من البدل دون الرابع فليتأمل

فليتأمل واما الحالة التي تقتضي العطف فهي اذا كان المراد تفصيل
المسند اليه مع اختصار كقولك جاءني زيد وعمرو وخالد او تفصيل المسند
مع اختصار كقولك جاءني زيد فعمرو فخالد او ثم عمرو ثم خالد ولابد في
هذا من التدريج كما ينبئ عنه قول من قال وكنت فتى من جند ابليس
فارتمى بي الحال حتى صار ابليس من جندي او كان المراد رد السامع
عن الخطاء في الحكم الى الصواب كقولك جاءني زيد لا عمرو لمن في
اعتقاده ان عمرا جاءك دون زيد او انهما جاءاك معا وكقولك ما جاءني
زيد لكن عمرو لمن في اعتقاده ان زيدا جاءك دون عمرو او كان المراد
صرف الحكم عن المحكوم له الى آخر كقولك جاءني زيد بل عمرو وما جاءني
زيد بل عمرو او كان المراد الشك فيه او التشكيك كقولك جاءني زيد او
عمرو او اما جاءني زيد واما عمرو او كان المراد التفسير كقولك جاءني
اخوك اي زيد على قول في العطف لا سيما العطف بالواو وكلام
بابيك في الفن الرابع واما الحالة التي تقتضي الفصل فهي اذا كان المراد

تخصيصه للمسند بالمسند اليه كقولك زيد هو المنطلق زيد هو افضل
من عمرو او خير منه زيد هو يذهب اما الحالة المقتضية لتنكيره فهي اذا
كان المقام للافراد شخصا او نوعا كقولك جاءني رجل اي فرد من
اشخاص الرجال وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء اي من نوع
من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء مخصوص وهي النطفة او
كان المقام غير صالح للتعريف اما لانك لا تعرف منه حقيقة الا ذلك
القدر وهو انه رجل او تجاهل وتري انك لا تعرف منه الا جنسه
كما سمعت سيئة في اعتقادك فاسدا عمن هو عندك معتقد
كتاب واردت ان تظهر لاصحابك سوء اعتقادك به فقلت هل لكم
في حيوان على صورة انسان يقول كيت وكيت متفاديا بان تقول
في فلان فتسميه كانك لست تعرف منه وله اصحابك الا انك الصورة
ولعله عندكم اشهر من الشمس وعليه ما حكيه جل وعلا عن
الكفار في حق النبي عليه السلام هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا

اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد كانهم لم يكونوا يعرفون منه
الا انه رجل ما وباب التجاهل في البلاغة وكذا سحرها وان شئت فانظر
لفظ كان في قول الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن
طريف ماذا ترى او الاستخفاف في قول علام الغيوب فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم متضمنا للتوبيخ لهم على تربصهم
ورخاوة عقدهم في الايمان ناعيا عليهم ان يتوقع من امثالهم ان تولوا
امور الناس وتامروا عليهم ان يفسدوا في الارض ويقطعوا ارحامهم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا ليبحث بها التامل في المتوقع على ما بعده
من اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم لئلا يتسولن اذا
عرض لهم بذلك على سبيل النصيحة جلا النصح ولم ينقلب لهم بالنهم
واما انه طريق لك لا تعريف الزايد على هذا القدر لسامعك واما لان
في تعيينه ما تعاشعل واما لان في شانه ارتفاعا او انحطاطا واصل
بلا حد يوهم انه لا يمكن ان يعرف فتقول في جميع ذلك عندي رجل و

حضر رجل وقولهم شر اهر ذا ناب من الاعتبار الاخير وستسمع
في مثل هذا التركيب اعني نحو رجل جاء وامراة حضرت فوائد
وكذا قولك في حق من تحقق عندك انه في نوع من الانواع علمه شيء
قال تع ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ومنه ان نظن الاطناو
قول ابن ابي السمط له حاجب في كل امر يشينه وليس له عن طالب
العرف حاجب منه ايضا انظر اليه كيف تجد الفهم والذوق يقتضيان
كمال ارتفاع شان حاجب الاول وكمال انحطاط شان حاجب الثاني
وقال تع وعلى ابصارهم غشاوة فنكر لتهويل امرها وقال تع ولكم في
القصاص حيوة فنكر على معنى لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو
القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة
بواحد متى اقتدروا او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة للمرتدع
عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص اوما ترى اذا هم بالقتل فتذكر
الاقتصاص فارتدع كيف يسلم صاحبه من القتل وهو من

من القتل وهو من القود فيتسبب لحيوة نفسين ولمعنى طلب التعظيم
والتهويل بالتنكير قال تع فاذنوا بحرب من الله ورسوله دون ان تقول
بحرب الله ورسوله وبخلاف ذلك قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله اكبر دون ان تقول ورضوان الله
قصدا الى الافادة وقدر يسير من رضوان الله خير من ذلك كله
لان رضاه سبب كل سعادة وفلاح وسيادة ونجاح واما قوله
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن
بالاضافة فاما للتهويل واما لخلافه بمعنى اخاف ان يصيبك نفيان
من عذاب الرحمن وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل
فبلك المعنى رسل اي رسل ذووا عدد كثير واولوا آيات ونذر واهل
اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك واما الحالة
التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره اهم ثم ان كونه اهم يقع

باعتبارات مختلفة اما لان اصله التقدم ولا مقتضي للعدول

عنه وستسمع كلاما في هذا المعنى في اخر الفن الثالث ان شاء الله تعالى

واما لانه متضمن للاستفهام كقولك ايهم منطلق وسيقرر في القانون

الثاني واما لانه ضمير الشان والقصة كقولك هو زيد منطلق

وعن قريب تعرف السر في التزام تقدمه واما لان في تقدمه تشويقا

للسامع الى الخبر ليتمكن في ذهنه اذا اورده كما اذا قلت صديقك

فلان الفاعل الصانع رجل صدوق وهو احد خواص تركيب

الاخبار في باب الذي كما اذا قلت بدل قولك زيد منطلق الذي

زيد هو منطلق او بدل قولك خبر مقدمك سرني الذي هو سرني

خبر مقدمك او الذي خبره سرني مقدمك وهو السبب في التزام تاخير

الخبر في هذا الباب في امتناع الاخبار عن ضمير الشان والمراد بالاخبار

في عرف النحويين رحمهم الله في هذا الباب هو ان تعمد الى اي اسم شئت

في الكلام فتزحلقه الى العجز وتصير ما عداه صلة للذي ان كانت الجملة

الجملة اسمية وان كانت فعلية فلما او للالف واللام بمعناه واضعا

مكان المزحلق ضميرا عايدا الى الموصول مراعيا في ذلك ما افاد

علم النحو مثل ان ضمير الشان ملتزم التقدم وان الضمير لا ينصب مفعولا

وان الحال لا يكون معرفا وان ربط المعنى بالمعنى اذا كان بسبب عود الضمير

فلا بد منه وانا اضرب لك امثلة ليتحقق جميع ذلك قل في الاخبار عن

ضميرك في اظن الذباب يطير في الجو فيغضب ابا زيد الذي يظن

الذباب يطير في الجو فيغضب ابا زيد انا او الظان الذباب وعن الذباب

الذي اظنه يطير في الجو فيغضب ابا زيد الذباب وعن الجو الذي

اظن الذباب يطير فيه فيغضب ابا زيد الجو وعن زيد الذي

اظن الذباب يطير في الجو فيغضب ابوه زيد وعن زيد الذي

اظن الذباب يطير في الجو فيغضب اباه زيد ولا تخبر في قولك هو

الكرامي زيدا قادما واجب عن ضمير الشان لئلا يلزم تاخيره المنع

ولا عن الاكرام لئلا يلزم اعمال الضمير الذي يقع موقعه في زيد ولا

لعن قاد ما لئلا يلزم وقوع الضمير الذي هو معرفة موقع الممتنع عن التعريف

وهو الحال ولا عن الضمير في واجب لئلا يلزم من عود الضمير القائم مقام

اذا عاد الى الموصول كما يجب ترك ربط الخبر بالمبتدأ واما لان تقوى

اسناد الخبر اليه على الظاهر كما ستعرفه في الفن الثالث واما لان الاسم

المسند اليه يصلح للتفاؤل فيقدم ليطلب السامع لتسره او تسوءه مثل ان

تقول سعد بن سعيد في دار فلان وسفاك ابن الجراح في دار صديقك

واما لان كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر كما اذا قيل

لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب ويطرب واما لتوهم انه لا يزول

عن الخاطر او انه يستلذ فهو الى الذكر اقرب واما لان تعزيه بنى عن التعظيم

والمقام يقتضي ذلك واما لانه يفيد زيادة تخصيص كقوله ، متى تهزز

بني قطن تجدهم ، سيوفا في عواتقهم سيوف ، جلوس في مجالسهم رزان ،

وان ضيف الم فهم خفوف ، والمراد هم خفوف فاخر وقوله ، يحسك في القوم

ان يعلموا ، بانك فيهم غني مضر ، مسيخ مليخ كلحم الحوار ، فلا انت حلو ولا انت مر

مر او اشباه ذلك واما الحالة التي تقتضي تاخره عن المسند فهي اذا

اشتمل المسند على وجه من وجوه المقدم كما سنرد عليه في الفن الثالث

ان شاء الله تعالى واما الحالتان المقتضيتان لاطلاق المسند اليه او

تخصيصه حال التنكير فانت اذا مهرت فيما تقدم استغنيت عن

التعريف فيها واما الحالة المقتضية لقصر المسند اليه على المسند فهي

ان يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطاء وانت تريد تقرير

صوابه ونفي خطائه مثل ان يكون عند السامع ان زيدا متمول وجواد

فتقول له زيد متمول لا جواد ليعرف ان زيدا مقصور على التمول لا

يتعداه الى الجود او تقول له ما زيد الا متمول وانما زيد متمول وعليه

ما يحكى عز وجل في حق يوسف عليه السلام عن النسوة ما هذا بشرا

ان هذا الا ملك كريم اي انه مقصور على الملكية لا يتخطاها الى البشرية

وما يحكى عن اليهود في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا

انما نحن مصلحون اي يقولون نحن مقصورون على الصلاح لا يتاتى

مثالا امر سواه واعلم ان القصر كما يكون للمسند اليه على المسند يكون
ايضا للمسند على المسند اليه ثم ليس هو مختصا بهذا الباب بل له
شيوع وله تفريعات فالاولى ان نفرد للكلام في ذلك فصلا ونوخره
الى تمام التعرض لما سواه في قانوننا هذا ليكون الى الوقوف عليه اقرب
واعلم ان جميع ذلك هو مقتضى الظاهر ثم قد يخرج المسند اليه لا على مقتضى
الظاهر فيوضع اسم الاشارة موضع الضمير وذلك اذا كملت العناية
بتمييزه اما لانه اختص بحكم بديع عجيب الشان كقوله كم عاقل عاقل اعيت
مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا هذا الذي ترك الاوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا واما لانه قصد التهكم بالسامع والسخرية
منه كما اذا كان فاقد البصر او لم يكن ثمة مشار اليه اصلا او الندا على
كمال بلادته بانه لا يميز بين المحسوس بالبصر وغيره او على كمال فطانته
وبعد غور ادراكه بان غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره
او قصد ادعاء انه ظهر ظهور المحسوس بالبصر كقوله تعاللت كي اشجى وما بك علة

27

علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك وما شاكل ذلك ويوضع المضمر
موضع المظهر كقولهم ابتداء من غير جرى ذكر لفظا او قرينة حال ربه
رجلا ونعم رجلا زيد وبئس رجلا عمرو مكان رب رجل ونعم الرجل
وبئس الرجل على قول من لا يرى الاصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا
وقولهم هو زيد عالم وهي هند مليحة مكان الشان زيد عالم والقصة هند
مليحة ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه وذلك ان السامع متى لم يفهم
من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى كيف يكون فيتمكن المسموع بعده فضل
تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه قال الله تعالى قل هو الله
احد وقال فانها لا تعمى الابصار ولا يوضع المظهر موضع المضمر اذا اريد تمكين
نفسه زيادة تمكين كقوله ان تسألوا الحق نعط الحق سائله وقوله عز من قائل
الله الصمد دون هو الصمد بعد قوله قل هو الله احد ونظيره من خارج باب
المسند اليه وبالحق انزلناه وبالحق نزل وكذا فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا وترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق

غرض فعل للخلفاء حيث يقولون امير المومنين يرسم لك مكان انا

انا ارسم وهو ادخال الروعة في ضمير السامع وتربية المهابة او تقوية

داع المامور وعليه قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله او فعل المستعطف

حيث يقول اسيرك يتضرع اليك مكان انا اتضرع اليك ليكون ادخل

في الاستعطاف وعليه قوله الهي عبدك العاصي اتاكا وما جرى مجرى هذه الاعتبار

واعلم ان هذا النوع اعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص

المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل

كل واحد منها الى الاخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني

والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب

ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملاء باستدرار

اصغائه وهم احرياء بذلك اليس قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف

دابهم وهجيراهم لا مزقت ايدي الادوار لهم اديما ولا ابلت لهم حريما افتراهم

يحسنون قرى الاشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون

قرى الارواح فلا يخالفون فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد

فان الكلام المفيد عند الانسان لكن بالمعنى لا بالصورة اشهى غذاء

لروحه واطيب قرى لها قال ربيعة ابن مقروم بانت سعاد فامسى القلب

معمودا واخلفتك ابنة الحر المواعيدا فالتفت كما ترى حيث لم يقل واخلفتني

ثم قال ما لم الاف امرا جزلا مواهبه سهل الفناء رحيب الباع محمودا

وقد سمعت بقوم يحمدون فلم اسمع بمثلك لا حلما ولا جودا فالتفت كما

ترى حيث لم يقل بمثله وقال تذكرت والذكرى تهيجك زينبا واصبح

باقي وصلها قد تقضبا وحل بفلج فالاباتر اهلنا وشطت فحلت

غمرة فمثقبا فالتفت في البيتين وقال عوف ابن الاحوص لهدمت

الحياض فلم يغادر لحوض من نصايبه ازاء لحولة اذهم مغنى واهلي

واهلك ساكنون وهم رباء فالتفت في الثاني وقال عبد الله بن عنمة

ما ان ترى السيد زيدا في نفوسهم كما تراه بنو كوز ومرهوب

ان تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب

فالتفت في تسألوا وقال الحارث ابن حلزة طرف الخيال ولا كليلة
مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج اني اهتديت لنا وكنت رحيلة
والقوم قد قطعوا متان السجسج فالتفت في الثاني وقال علقمة
بن عبدة طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب فالتفت
في السين وقال امرؤ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبإ جاءني
وخبرته عن ابي الاسود فالتفت في الابيات الثلثة وامثال ما ذكر اكثر
من ان يضبطها العلم وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطائف معان
قلما تتضح الا لافراد بلغائهم او للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء
النحارير ومتى اختص موقعه في الكلام بشيء من ذلك كساه فضل
بهاء ورونق واورث السامع زيادة هزة ونشاط ووجد عنده من
القبول ارفع منزلة ومحل ان كان ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم ام

ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ولامر ما وقع الالتفات
للحامد عن الحمد من منشئ للكلام رب العزة ومنشئ من غواص
في بحر فرائده وغواص وكل اللغات وارد في القرآن متى حرك
من سامعيه عرق كل ما موقعه اذا احببت ان تبصر فاحضر لتمثل عليك
قوله عز وجل اياك نعبد واياك نستعين فلعلك لا تسمع مما يشهد
له الوجدان بحيث يغنيه عن شهادة ما سواه ان المرء اذا اخذ
في استحضار جنايات جان متنقلا فيها عن الاجمال الى التفصيل وجد
من نفسه تفاوتا في الحال بينا لا يكاد يشتبه آخر حاله هناك واولها
اوما ترى انك اذا كنت في حديث مع انسان وقد حضر مجلسكما من له جنايات
في حقك كيف تصنع تحول عن الجاني وجهك وتاخذ في الشكاية عنه الى
صاحبك تبثه الشكوى معتدا بانه ولحقة فواحدة وانت فيما بين
ذلك واجد مزاجك يحمى على تزايد تحمل حالة لك غضبية تدعو الى
ان تواثب ذلك الجاني وتشافهه بكل سوء وانت الى تجتنب الى ان تغلب

فيقطع الحديث مع الصاحب ومباثتك اياه ويتوجه الى الجاني مشافها له
يا فلان هل عامل احد مثل هذه المعاملة هل تتصور معاملة اسوء
مما فعلت اما كان لك حياء يمنعك اما كانت لك مروة تردعك عن هذا اى
التخطي في هذا الباب وان كان الحاكي لجليسك ذا نعم عليك كثيرة فاخذت
في تعديد نعمه عند صاحبك وتفخيم الفاضلها احسست من نفسك
بحالة كانها تطالبك بالاقبال على منعمك وتزين لك ذلك ولا تزال تتزايد
ما دمت في تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدري على ان تخاطبه وانت
معه في الكلام تثني عليه وتدعو له وتقول بأي لسان اشكر صنائعك الروائع
وبأية عبارة احصر عوارفك الذوارف وما جرى ذلك المجرى فاذا وعيت ما
قصصته عليك وتأملت الالتفات في اياك نعبد واياك نستعين بعد تلاوتك
لما قبله من قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين على الوجه الذي
يجب وهو التأمل القلبي علمت ما موقعه وكيف اصاب المحز وطبق مفصل
البلاغة لكونه منبها على ان العبد المنعم عليه بتلك النعم العظام الفائتة

الفائتة للحصر اذا قدر انه ماثل بين يدي مولاه من حقه اذا اخذ في
القراءة ان يكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه شبه محرك الى الاقبال
على من يحمد صائر في اثناء القراءة الى حالة شبيهة بايجاب ذلك عند
ختم الصفات مستدعية انطباقها على المنزل على ما هو عليه وان
لم يكن قارئا والوجه اذا افتتح التحميد ان يكون افتتاحه عن قلب
حاضر ونفس ذاكرة يعقل فيم هو وعند من هو فاذا انتقل من التحميد
الى الصفات ان يكون انتقاله محذوا به حذو الافتتاح فانه متى افتتح على
الوجه الذي عرفت مجريا على لسانه الحمد لله افلا يجد محركا للاقبال على من
يحمد من معبود عظيم الشان حقيق بالثناء والشكر مستحق للعبادة والذكر
ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله رب العالمين واصغى اليه لكونه ربا
مالكا للخلق لا يخرج شيء من ملكوته وربوبيته افترى ذلك المحرك لا يتقوى
ثم اذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه منعما على الخلق بانواع
النعم والآئه جلائلها ودقائقها مصيبا اياهم بكل معروف افلا يتضاعف

لدلالة الرحيم

لدلالة الرحمن عليها

فوة ذلك المحرك عند هذا ثم اذا آل الامر الى خاتمة هذه الصفات
وهي مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الحشر للثواب و العقاب فما ظنك بذلك المحرك اسمع في ذهنك
ان لا يصير الحد يوجب عليك الاقبال على مولى شأن نفسك معه
منذ افتتاح التحميد ما تصورت فتستطيع ان لا تقول اياك يا من
هذه صفاته نعبد و نستعين لا غيرك فلا تنطق على المنزل على
ما هو عليه وليس ان يجري الكلام بعيد وهو المشهود له في شأن البلاغة
والجائز لقصبات السبق في درك اللطائف والمنثال من الاناسي جمع انسان العين
من عيون النكت في افتنانه في الكلام اذا التفت بلك الالتفات
وكان يمكنه ان لا يلتفت البتة وذلك ان سوق الكلام على الحكاية
في الابيات الثلثة فيقول ' تطاول ليلي بالاثمد ' ونام الخلي ولم ارقد '
' وبتّ وبات لنا ليلة ' كذا سياقها كقول لبيد ' فوقفت اسألها وكيف
سؤالنا ' اوان يلتفت نوعا واحدا فيقول وبت وباتت لكم وذلك من نبأ

اعني عن الكلام الى الخطاب

31

نبأ جاءكم وخبرتم عن ابي الاسود ان يكون حين قصد تهويل الخطب
واستفظاعه في النبأ الموجع والخبر المفجع للواقع الغاب في العضد
المحرق للقلب والكبد فعل ذلك منبها في التفاته الاول على ان نفسه
وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى فاقامها مقام المصاب
الذي لا يتسلى بعض التسلي الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه ولخاطبه
بتطاول ليلك تسلية او نبه نفسه لفظاعة شأن النبأ واستشعارها معه
كمدا وارتماضا ابدت قلقا لا يتلقفه لمد وصبرا لا يفرخ مرتمض وكان من
حقها ان تتثبت و تتصبر فعل الملوك وجريا على سننها المسلوك عند طوارق
النوائب و بوارق المصائب فحين لم تفعل تكلفته في انها نفسه فاقامها
مقام مكروب ذي حرق فاسلاه تطاول ليلك مخاطبا مسليا وفي التفاته
الثاني على ان الحزن تحزن صدق ولذلك لا يتفاوت الحال خاطبتك او
لم اخاطبك وفي التفاته الثالث على ان جميع ذلك انما كان للمخصصة
ولم يتعلق بك من سواه او نبه في التفاته الاول على ان ذلك النبأ اطار قلبه

فان قلت اذا لم يحمع الوجوه الراجعة الى الالتفات

فان قلت من اين يستفاد

وابا ذلته وتركه حايرا بايرا فما فطن معه لمقتضى الحال بن الحكاية فجرى

على لسانه من غير ارادة ما كان الغه من الخطاب الدائر في مجارى امور

الكبار امرا ونهيا والانسان اذا دهمه ما تحار له العقول وتطير له الالباب

وتدهش معه الفطن لا يكاد يسلم كلامه عن امثال ذلك وفى الالتفات

اللطيف على انه بعد الصدمة الاولى حين افاق شيئا تدارك بعض

الادراك ما وجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة فابلا وبانت ثانيا

له وفى الالتفات الثالث على ما سبق اونبه فى الالتفات الاول على ان نفسه

حين لم تثبت ولم تصبر غالطه ذلك فاقامها مقام المستحق للعتاب

فابلاها على سبيل التوبيخ والتعيير تطاول ليلك وفى الالتفات الثانى على

ان الحامل على الخطاب فى الخطاب لما كان هو الغيظ والغضب فحين

سكت عنه الغضب سكن الغيظ بالعتاب الاول فان سورة الغضب

بالعتاب تنكسر وتولى عنها الوجه وهو يتقدم فابلاها ثانيا بانه وفى

الالتفات الثالث على ما تقدم واما ذكرت لك ما ذكرت لتقف على ان الفحول

البزل لا يعترفون بالبلاغة لامرئ ولا يقيمون لكلامه وزنا

ما لم يعثروا من مطاوى افتنانا ته على لطائف اعتبارات والفاضل بين

الكلامين قلما يقع الا باشباهها واعلم ان لطائف الاعتبارات المرفوعة

لك فى هذا الفن من تلك المطامح النازحة من معاقل لا تستهلحق ابنائها

ما لم تتبر بصيرتك فى الاستشراف لما هنالك اطباء الجهود ولم تتخلف فى السعى

للتفتيش عنها وراء كل حد معهود ماذا يشتغل صدق همة تبطش فى

متوخاك ببلاغ بسيط ان لم تنزل عن مرقى عرضك ولو مقدارا فسيط مستظهرا

فى طباعتك ان تستشعرها بنفس لك يقظى وطبع لطيف عبر جمع مع فهم

متسارع وخاطر منقاد وعقل دراك وعلماء هذه الطبقة الناظرة بانوار

البصائر المخصوصون بالعناية الالهية المدلون بما اوتوا من الحكمة وفصل

الخطاب على ان كلام رب العزة وهو قرآنه الكريم وفرقانه العظيم لم يكتس

تلك الطلاوة ولم استودع تلك الحلاوة وما اعذقت اسافله ولا اثمرت

اعاليه وما كان بحيث يعلو ولا يعلى الا لانصبابه فى تلك القوالب ولوروده

على هذه الاساليب الغرّ الثلاث للوجه الذي علمت انها المخصوص بتلاطم
اواذي فكره دون ابناء جنسه المستوضح في استكشافه عن اسرار البلاغة
كان انسه لنقاب الحدث فلا يحتجب عنه شيء من بدائع النكت في مكامنها
المستخرج للطائف السحر البيان عن معادنها المستطلع طلع الاعجاز
التنزيلي باستغراق طوقه المالك لزمام الحكم كفاه المتحدث بعجيب وغريب
ذوقه فهو الطلبة وما عداه ذرائع اليه وهو المرام وما سواه اسباب
للتسلق عليه ان لا بد من التصفح لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه
على تلك الصور والكيفيات نعلم له ايضا ان لا بد من التصفح عن الاحوال
المقتضية لانواع التفاوت في المسند من كونه متروكا تارة وغير متروك
اخرى ومن كونه مفردا او جملة وفي افراده من كونه فعلا نحو قام زيد ويقوم
وسيقوم او اسما منكرا او معرفا من جملة المعرفات مقيدا كل من ذلك بنحو
قبل نحو خرجت يوم الجمعة وزيد رجل عالم وعمرو اخوك الطويل او غير مقيد
وفي كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية ومن كونه مؤخرا

33

مؤخرا او مقدما حتى تهيأ لك ان تقسم لكل مقام بسمته وان تجري الجياد
مقتضاه على اقوم سمته فهو المطارح الذي تتبارز فيه قوى القرائح والمطارد
الذي يتبارز فيه الجذع عن القارح واما الحالة المقتضية لترك المسند
فهي متى كان ذكر المسند اليه بحال يعرف منه المسند وتعلق بتركه
غرض اما اتباع الاستعمال كقولهم ضربي زيدا قائما واكثر شربي السويق
ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما وقولهم كل رجل وضيعته وقولهم
لولا زيد لكان كذا ونحو ذلك واما قصد الاختصار والاحتراز عن
العبث كما اذا قلت زيد منطلق وعمرو وقوله عز وجل افانبئكم بشر من
ذلكم النار اذا حملت النار شر من ذلكم واما ضيق المقام مع قصد الاختصار
والاحتراز عن العبث كنحو قوله فالت وقد رأت اصفراري من به
وتنهدت فاجبتها المتنهد اذا حمل على تقدير المتنهد هو المطالب دون
هو المتنهد وستعرف في الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا ان التقدير
اولى وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

أي بحثنا عنده بما راضون وأما تخيّل أنّ العقل عند الترك
هو معرّفه وأنّ اللفظ عند الذكر هو معرّفه من حيث الظاهر وبين
المعرّفين بونٌ وذلك أنّ تأخذ من هذا القبيل قوله عزّ وجلّ والله ورسوله
أحقّ أن يرضوه وأمّا أن يخرّج ذكره لبيان ما ليس بمراد كما إذا قلت
في أزيد عندك أم عمرو فإنه يخرّج أم عن كونها متصلة إلى أنها منقطعة
وأمّا لاختبار السامع هل يتنبّه عند القرائن الحوالية أو ما مقدارُ
تنبّهه عندها وأمّا لطلب تكثير الفائدة بالمذكور من حمله تارةً
وحمله على غيره أخرى كقوله فصبرٌ جميلٌ وقوله طاعةٌ معروفةٌ لحمله
تارةً على فصبرٌ جميلٌ أجملُ وطاعةٌ معروفةٌ أمثلُ وحملهما أخرى على
فأمري صبرٌ جميلٌ وطاعتكم طاعةٌ معروفةٌ بالقول دون الفعل
وأمّا الحالة المقتضية لذكره فهي أن لا يكون ذكر المسند إليه يفيد
المسند بوجه من الوجوه كما إذا قلت ابتداءً زيد عالم أو أن يكون
في ذكر المسند غرضٌ وهو إمّا زيادة التقرير أو التعريض بغباوة

بغباوة السامع أو استلذاذه أو قصد التعجب من المسند إليه بذكره
كما إذا قلت زيد يقاوم الأسد مع دلالة قرائن الأحوال أو تعظيمه أو
إهانته أو غير ذلك مما يصلح للقصد إليه في حق المسند إليه إن كان
صالحا لذلك أو بسط الكلام بذكره والمقامُ مقامُ بسطٍ أو لأن الأصل
في الخبر هو أن يذكر كما سبق أمثال ذلك في إثبات المسند إليه أو ليتعيّن
بالذكر كونه اسما كقولك زيد عالم فيستفاد الثبوتُ صريحا فأصل الاسم
صفة وغير صفة الدلالة على الثبوت أو كونه فعلا كقولك زيد علم
فيستفاد التجدد أو ظرفا كقولك زيد في الدار فيورث احتمال الثبوت
والتجدد بحسب التقديرين وهما حاصل أو حصل ويا ليك فيه كلام
ويصلح لشمول هذه الاعتبارات قولك عند المخالف الله إلهنا محمدٌ
نبيّنا والإسلام ديننا والتوحيد والعدل مذهبنا والخلفاء الراشدون
أئمتنا والناصر لدين الله خليفتنا والدعاء عليه وظيفتنا وأمّا الحالة
المقتضية لإفراد المسند فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب

تقوي الحكم واعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت

للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك ابو زيد منطلق والكر من البر بستين

وضربك اخو عمرو وبشكرك بكر ان تعطه وفي الدار خالد اذ تقديره

استقر او حصل في الدار على اقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف كقولك الذي

في الدار اخوك كما تقرر في علم النحو وتفسير تقوي الحكم يذكر في حال

تقديم المسند اليه واما الحالة المقتضية لكونه فعلا فهي اذا كان المراد

تخصيص المسند باحد الازمنة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد

كقوله عز وجل فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اي فويل

لهم مما اسلفت ايديهم من كتبة ما لم يكن بحل وويل لهم مما يكسبون بذلك

بعد من اخذ الرشى وقوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون اي فريقا كذبتموه

على التمام وفرغتم عن تكذيبه ما بقي منه غير ملذب وفريقا تقتلون اي ما

يتيسر لكم قتله على التمام وانما تبذلون جهدكم ان تتموا قتله فنحو من حول قتل

محمد فانتم بعد على القتل وقوله فسيكفيكهم الله وقوله سيقول السفهاء وقوله

مثال المستقبل

35

قوله سنستدرجهم والمراد بالزمان الماضي ما وجد قبل زمانك الذي

انت فيه وبالمستقبل ما يترقب وجوده وبزمان الحال اجزاء من

الطرفين يعقب بعضها بعضا من غير فرط مهلة وتراخ والحاكم في ذلك

هو العرف لا غير واما الحالة المقتضية لتقييده فهي اذا كان المراد تربية

الفائدة كما اذا قيد بشيء مما يتصل به من نحو المصدر كضربت ضربا شديدا

اي مما يتعلق بالمسند

او ظرف الزمان كنحو ضربت يوم الجمعة او ظرف المكان كنحو ضربت امامك

او السبب الحامل كنحو ضربته تاديبا له وقررت جبنا او المفعول به

بلا او بدون حرف كنحو ضربت زيدا كنحو ضربت بالسوط او ما ضربت الا زيدا او

المفعول معه كنحو جلست والسارية او الحال كنحو جاء زيد راكبا او التمييز

كنحو طاب زيد نفسا او الشرط كنحو يضرب زيد ان ضرب عمرو وان ضرب

عمرو يضرب زيد اخرت او قدمت فهذه كلها تقييدات للمسند وتفاصيل

الشرط على قيد له

يزداد الحكم بها بعدا او لم اذكر الخبر في نحو كان زيد منطلقا لان الخبر هناك

هو نفس المسند لا تقييد للمسند انما قيدته تقييده هو كان فتامل وكذا ظن

وقد ظهر لك من هذا ان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد

مخصوص محتملة في نفسها للصدق والكذب واعلم ان الفعل وما يتصل

به من المسند اليه وغير المسند اليه اعتبارات في الترك والاثبات

والاظهار والاضمار والتقديم والتاخير ولهذا اعني الفعل بتقييده بالقيد

الشرطي على الخصوص اعتبارات ايضا ذكرنا جميع ذلك في اخر هذا

الفن في فصل لها على حدة واما الحالة المقتضية لتركه نفسه فهي اذا

منع عن تربية الفائدة مانع قريبا وبعيدا واما الحالة المقتضية لكونه اسما

فهي اذا لم يكن المراد افادة التجدد والاختصاص باحد الازمنة الثلثة

افادة الفعل لاغراض تتعلق بذلك واما الحالة المقتضية لكونه منكرا

فهي اذا كان الخبر واردا على حكاية المنكر كما اذا اخبر عن رجل في

قولك عندي رجل تصديقا لك فقيل الذي عندك رجل او كان

المسند اليه نكرة كقولك رجل من قبيلة كذا حاضر فان كون المسند اليه

نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا او يصح عقلا ليس في كلام

كلام العرب وتحقيق الكلام فيه ليس مما يهمنا الآن واما ما جاء من نحو

قوله ولا يك موقف منك الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء

وبيت الكتاب اظبي كان امك ام حمار فمحمول على منوال عرضت الناقة

على الحوض واصل الاستعمال ولا يك موقفا منك الوداع ويكون مزاجها

عسلا وماء واظبيا كان امك ام حمار او لا تظن بيت الكتاب خارجا عما

نحن فيه ذهابا الى ان اسم كان انما هو الضمير والضمير معرفة فليس المراد

كان امك انما المراد ظبي بناء على ان ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء

ولذلك قررنا الاصل على ما ترى في البيت اعتبارات سؤالا وجوابا

فلا عليك ان تتاملها واياك والتخبط في تخطئة احد هناك فيحقا

ابن اخت خالتك وان هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من

الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث

الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال البلاغة يأتي في الكلام وفي الاشعار

وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض وقال القطامي كما طينت

بالقدن بياغا اراد كما طبنت القدن بالسياع وقال الشماخ كما عصب
العود بالعلباء وقال الخداش وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
اراد وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح وذلك ان لا تحمله على القلب بواسطة
استعارة الشقاء لكسرها بالطعان وقال رؤبة ومهمه مغبرة ارجاؤه
كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وقال
الآخر يمشي فيقعس او يكب فيعثر اراد او يعثر فيكب وفي التنزيل
وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا اي جاءها باسنا فاهلكناها على
احد الوجهين وفيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما
ذا يرجعون على ما يحمل من القه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وفيه
ثم دنى فتدلى يحمل على تدلى فدنى او كان المسند اليه معرفة لكن المراد
بالمسند وصف غير معهود ولا مقصود الانحصار بالمسند اليه كما تقول
زيد كاتب وعمرو شاعر واذا تكلمنا في تعريف المسند اليه باللام اتضح عندك
ماذكرنا او كان ينبئ عن تنكيره عما تقدم في تنكير المسند اليه من ارتفاع الشان

97

الشان او انحطاطه كما قال تعالى هدى للمتقين مريدا بتنكيره انه هدى
لا يكتنه كنهه وكما قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم واما الحالة المقتضية للتخصيص
اما بالاضافة كقولك زيد ضارب غلام او بالوصف كقولك زيد رجل عالم
فهي اذا كان المراد كون الفايدة اتم لما عرفت في فصل تعريف المسند اليه
واما الحالة المقتضية لترك التخصيص فظاهرة لك ان كان ما سبق على
ذكر منك واما الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا فهي اذا كان عند السامع
متشخصا باحد طرق التعريف معلوما له وكلته بك اسهل نقول والمسند
اذا كان متشخصا عند السامع معلوما له استلزم لا محالة كون المسند اليه
معلوما له ايضا لما قدمتم انتم واذا كانا معلومين عنده فماذا استفيد فانا
نقول يستفيد اما لازم الحكم كما ترى في قولك لمن اثنى عليك بالغيب الذي
اثنى علي بالغيب انت معرفة انه انك عالم بذلك او الحكم كما ترى في قولك لمن
يعرف ان له اخا ويعرف انسانا يسمى زيدا او يعرفه بحفظ التورية او يراه بين
يديه لكن لا يعرف ان ذلك الانسان هو اخوه اذا قلت له اخوك زيد او زيد اخوك

زيدا واخوك الذي يحفظ التورية او اخوك هذا فقدمت الاخ او اذا
قلت زيد اخوك او الذي يحفظ التورية اخوك او هذا اخوك فاخرت الاخ
معرفا له في جميع ذلك ان احدهما الآخر ولم تقدم فيما نحن فيه ما تقدم بسلامة
الامر لكن اذا اثنى عليك بالغيب انسان وعلم ان الثناء نقل اليك وانت
تتصوره كالمستخبر عن حالك هل تعلم ان ذلك المثني عليك هو وهل تحكم
على ذلك المثني به فيقول الذي اثنى علي بالغيب انت فتلقى بالحكم على الوجه
المتصور او كان اثنى عليك هو وغيره وعلم ان ثناء احدهما نقل اليك وانت
تتصوره كالطالب ان يتبين له كيف حكمك عليه وعلى ذلك الآخر فيقول له
الذي اثنى علي بالغيب انت فتلقى بالحكم على ما تتصوره وتقبل انك انما اعترف
ثناءه دون ثناء غيره واذا قلت انت الذي اثنى علي بالغيب قلته اذا
كان اثنى عليك ونقل اليك الثناء بحضره ومحضر غيره فتصورته كالطالب
ان يتبين له كيف حكمك عليه فاثبت بالحكم على الوجه المطلوب واذا قلت
اخوك زيد قلته لمن يعتقد اخا لنفسه لكن لم يعرفه على التعيين فتصوره

38

متصوره طالبا منك الحكم على اخيه بالتعيين واذا قلت زيد اخوك
قلته لمن يعلم زيدا وهو كالطالب ان يعرف حكما له وانه معتقد ان
له اخا لكن لم يعلمه على التعيين وكذلك اذا قلت اخوك الذي يحفظ
التورية اخوك او اخوك هذا او هذا اخوك واذا قلت زيد المنطلق
قلته لمن يطلب ان يعرف حكما لزيد اما باعتبار تعريف العهد ان كان
المنطلق عنده معهودا واما باعتبار تعريف الحقيقة واستغراقها او
اذا قلت المنطلق زيد قلته للمتشخص في ذهنه المنطلق بأحد
الاعتبارين وهو طالب لتعيينه في الخارج واذا تاملت ما تلوناه
اما لكونه معهودا او اما التعريف الحقيقة
عليك اطلعك على معنى قول النحويين رحمهم الله لا يجوز تقديم الخبر على
المبتدا اذا كانا معرفتين مقابل انهما قدمت فهو المبتدا وما سبق
الى بعض الخواطر من ان المنطلق دال على معنى نسبي هي في نفسه
متعين للخبرية وان زيدا دال على الذات وهو في نفسه متعين
للمبتدائية تقدم او تاخر فلا معرج عليه فان المطلق لا يجعل مبتدأ

المعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه بهذا المعنى لا يجب كونه
خبرا وان زيدا لا يوقع خبرا المعنى صاحب اسم زيد ويكون المراد من
قولنا الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد واما ما وقع من نحو
قوله ثم وان لم اكن اياك كراكا شاهدي الدمع ان ذاك كذاكا
ونحو قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه فمما لا يستقيم معناه الا بالتقدم
والتاخير فحقه الحمل على القلب المتقدم ذكره فاعرفه واعلم ان القول
بتعريف الحقيقة القصد اليها وتمييزها من حيث هي هي لزم ان يكون
اسماء الاجناس معارف فانها موضوعة لذلك وانه قول لم يقل به
احد ولئن التزمه ملتزم لتكذبن في امتناع نحو رجعى الشريعة او
المطية ودركر ذكرى الحسنة او القبيحة واما لم اقل رجوعا التزيخ
وذكر الحسن فضل المسافة في التجنب عن حديث التنوين ما هي
لئن ذهبت الى انه في نحو رجل وفرس ونور اعتبار الفردية فليس فيها
القصد الى الحقيقة اذن من حيث هي هي لم يلزم مثل المصادر من نحو

ولعاقل لاتها موضوعة للقصد اليها وتمييزها فان قلت
موضوعة لاجل ذلك ... ان لو كان للواضع
عرض ...
... الوضع ...
الملازمة ... القصد ...

ضرب وقتل وقيام وقعود ورجعى وذكرى فليس فيها ذلك بالاجماع
ولزم ان يكون اللام في نحو الرجل او نحو الضرب لتاكيد تعريف الحقيقة
اذا لم يقصد العهد وانه قول ما قال به احد واذا قلنا المراد بتعريف
الحقيقة القصد اليها لحضورها او تقدير حضورها لم يتميز عن
تعريف العهد الوارد بالتحقيق او بالتقدير لان تعريف العهد ليس
شيئا غير القصد الى الحاضر في الذهن حقيقة او مجازا كقولك جائني
رجل فقال الرجل كذا وقولك انطلق رجل الى موضع كذا والمنطلق
ذو جد قال تعالى وليس الذكر كالانثى اي وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة هو الاستغراق
لزم في اللام كونها موضوعة لغير التعريف اذا تاملت ولزم مع ذلك
ان يكون الجمع بينها وبين لفظ المفرد جمعا بين المتنافيين وان صير
الجمع بينها الى نحو الجمع بين المفرد وبين الواو والنون في نحو المسلمون
امنع لوجوه كثيرة لا يخفى على متقن انواع الادب ادناها وجوب

نحو الرجل الطوال والفرس الدهم لا اقل على الاطراد وكل ذلك على
ماترى فاسد والاقرب بناء على قول بعض ائمة اصول الفقه بان
اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير هو ان يقال المراد بتعريف الحقيقة
احد قسمي التعريف وهو تنزيلها منزلة المعهود من الوجوه الخطابية اما
لان ذلك محتاج اليه على طريق التحقيق فهو لذلك حاضر في الذهن
فكانه معهود او على طريق التهكم وستعرف معنى هذا في علم البيان
واما لانه عظيم الخطر معقود به الهمم على احد الطريقين فبنى على ذلك انه
فلا ينسى فهو لذلك بمنزلة المعهود الحاضر واما لانه لا يغيب عن الحس
على احد الطريقين فبنى على ذلك حضوره وينزل منزلة المعهود واما
لانجار على الالسن لكثرة الدور في الكلام على احد الطريقين فقام لذلك
مقام المعهود واما لان اسبابا في شانه متاخذة او غير ذلك مما جرى
مجرى هذه الاعتبارات فقام الحقيقة لذلك مقام المعهود ويقصد اليها
بلام التعريف ثم ان الحقيقة لكونها من حيث هي لا متعددة لتحققها

مع التعدد ولا متعددة لتحققها مع الوحدة وان كانت لا تنفك
في الوجود عن احدهما صالحة للتوحد والتكثر فيكون الحكم استغراقا
او غير استغراق لما يقتضي المقام فاذا كان خطابيا مثل المومن
غر كريم والمنافق خب لئيم حمل المعرف باللام مفردا كان او جمعا
على الاستغراق بعلة ايهام ان القصد الى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة
فيهما يتوصل الى ترجيح احد المتساويين واذا كان استدلاليا حمل على
اقل ما يحتمل وهو الواحد في المفرد والعدد الزائد على الاثنين
نواحد في الجمع ولا يوجب في مثل حصل الدرهم الا واحدا وفي مثل
حصل الدراهم الا ثلاثة وستقف على هذا في نوع الاستدلال اذا
انتهينا اليه باذن الله تعالى ومبنى كلامي هذا على ان الاثنين ليسا
بجمع فان عند العالم الواقف على مآخذ الصناعة سوابقها ولواحقها
للاثنين جمعا غير مرتضى منه وههنا دقيقة وهي ان الاستغراق
نوعان عرفي وغير عرفي ولا بد من رعاية ذلك فالعرفي نحو قولك جمع

الاميرُ الصاغةَ اذا جمع صاغةَ بلده او اطراف مملكته فحسب لا صاغة

الدنيا وغيرُ العرفي نحو قوله‌ ما الله غفارُ الذنوب اى كلها واستغراق

المفرد يكون اشمل من استغراق الجمع ويتبين ذلك بان ليس يصدق

لا رجل في الدار في نفي الجنس اذا كان فيها رجل او رجلان ويصدق

لا رجال في الدار ومن هذا يعرف لطف ما حكيه تعالى عن زكريا

عليه السلام رب اني وهن العظم مني دون العظام حيث توصل الى اختصار

اللفظ الى الاطناب في معناه واذا عرفت هذا فنقول متى قلنا

زيد المنطلق او المنطلق زيد في المقام الخطابي لزم ان لا يكون غير زيد

منطلقا ولذلك ينبغي ان يقال زيد المنطلق وعمرو بالواو ولا ينبغي ان

يقال زيد المنطلق لا عمرو بحرف لا لانه اذا كان الامر في نفسه كذلك

كما اذا قلت الله العالم الدال على الاختصار حقيقة والا كما في

قولك حاتم الجواد وخالد الشجاع وقوله تعالى الم ذلك الكتاب حمل

على الاختصار مبالغة وتنزيلا لجود غير حاتم وشجاعة غير خالد وكون غير

عن القران كما انه منزلة العدم لجهات اعتبارية واما الحالة المقتضية

لكونه جملة فهي اذا اريد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك انا عرفت

وانت عرفته وهو عرف كما سيأتيك تقرير هذا المعنى وقولك بكر يشكرك

ان تعطه او بكر ان تعطه يشكرك لما عرفت ان الجملة الشرطية ليست

الا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص وكقولك خالد في الدار واذا

كان المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو

مبني عليه او بالانتفاء عنه مطلوبُ التعليق بغير ما هو مبني عليه تعلق

اثبات له بنوع ما او نفي عنه بنوع ما كقولك زيد ابوه انطلق او منطلق

والبر الكر منه بستين او يكون المسند فعلا يستدعي الاسناد سلبا

ما بعده بالاثبات او بالنفي فيطلب تعلقه على ما قبله بنوع اثبات او

نفي لكون ما بعده بسبب مما قبله نحو عمرو ضرب اخوه لا شياء منصلا بالفعل

نحو زيد ضارب اخوه او مضروب او كرم لشئ نظلعك عليه وما ذكرت لك

اذا تحقق مضمونه اعترك على وجه حكم النحويين لابد في الجملة الواقعة

خبراً من ذلك يرجع الى المسند اليه لفظا او تقديرا واعترض على
ان الجملة بعد ضمير الشان في نحو هو زيد منطلق او انه زيد منطلق مستثناة
عن هذا الحكم لكونها نفس المخبر عنه واعترض على وجه نيابة
تعريف الجنس عن الضمير في نعم الرجل زيد على قول من يرى
المخصوص مبتدأ ونعم الرجل خبره ونيابة العموم عنه في مثل ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا و
اما الحالة المقتضية لكون الجملة فعلية فهي اذا كان المراد التجدد
كقولك زيد انطلق او ينطلق فالفعل موضوع لافادة التجدد وحلول
الزمان الذي من شانه التغير في مفهومه مؤذن بذلك واما الحالة المقتضية
لكونها اسمية فهي اذا كان المراد خلاف التجدد كقولك زيد ابوه منطلق
فلا يسمع ان دل على التجدد لم يدل عليه الا بالعرض وما يسمع من تفاوت
الجملتين الفعلية والاسمية تجددا وثبوتا هو مطلع على انه حين
ادعى المنافقون الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الاخر جاء به بجملة

جملة فعلية على معنى احدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر
ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة قوله و
ما هم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء وعلى تفاوت كلام
المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما حكاه جل وعلا عنهم وهو
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم نفيا وتلك الجملة فعلية وهي امنا وتلك اسمية ومع ان وهي انا معكم
كيف اصاب شاكلة الرمي وعلى ان ابراهيم حين اجاب الملائكة عليهم
الصلوة والسلام عن قولهم له سلاما بالنصب بقوله سلام بالرفع كيف
كان عاملا بالذي تلي عليك في القران من قوله واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها واما الحالة المقتضية لكونها شرطية فستقف عليها في
موضعها واما الحالة المقتضية لكونها ظرفية فهي اذا كان المراد اختصار
الفعلية كقولك زيد في الدار بدل استقر او حصل في الدار على اقوى
الاحتمالين على ما تقدم ويظهر لك من هذا ان مرجع الجمل الى ثنتين

اسمية وفعلية واما الحالة المقتضية لتاخير المسند فهي متى كان ذكر

المسند اليه اهم كما مضى في المسند اليه واياك ان تظن يكون الحكم

على المسند اليه مطلوبا استيجاب صدر الكلام له فليس هو هنالك فلا

تغفل واما الحالة المقتضية لتقديمه فهي ان يكون متضمنا للاستفهام

كنحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب في القانون الثاني موضع تقرير

او ان يكون المراد تخصيصه بالمسند اليه كقوله تعالى لكم دينكم ولي

دين وقولك لمن تقول زيد اما قائم واما قاعد فيردده بين القيام والقعود

من غير ان يخصصه باحدهما قائم هو وقولهم تميمي انا وارد على هذا و

سيأتيك في هذا المعنى فصل الفصل كلام او ان يكون المراد التنبيه

على انه خبر لا نعت كقولها له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى

اجل من الدهر وقوله لا في سرج وعلى ابيه حرج وقوله

لها حلق ضيق لان وضيئة فؤاد لم يخطر بقليل هاجس

وقوله لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غير لذيذ و

43

وقوله عند الملوك مضرة ومنافع وارى البرامك لا تضر وتنفع

وقولها اغر ابلج تاتم الهداة به كانه علم في راسه نار وقوله تعالى

ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وما شاكل ذلك فان النعت

لا يقدم على المنعوت ولذلك يقال جاءني راكبا رجل واما مصار بليا

هذا التنبيه لان الظرف بتاخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف

اولى منه بالحمل على الخبر لامرين يتعاضدان في ذلك استدعاء

المنكر في مقام الابتداء ان يوصف ليقوى بذلك فائدة الحكم كما سبق في

الفن الثاني وصلاحية الظرف ان يكون من صفاته ولذلك لا يجب

تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال تعالى واجل مسمى عنده

وان هذا التقديم ملتزم مع مبتدا غير مصدر اما مع المصدر كنحو سلام

عليك وويل لك فلا فرقا بين طرفيه حتى في التاخير عن مبتدئه ذلك

قبل صيرورته مبتدا وذلك قولك سلاما عليك بالنصب منزلا منزله

اسلم عليك مفيدا التجدد لذلك بين طرف ليس له ذلك او ان يكون

قلب السامع معقودا به كقولك قد هلك حصل لمن يتوقع ذلك
أو لأنه صالح للتفاؤل أو لأنه أهم عند القائل كما إذا قلت عليه
من الرحمن ما تستحقه أو كقوله سلام الله عليك يا مطر عليها
وليس عليك يا مطر السلام وقوله ولست بمعرض في المودة شافع
إذا لم يكن بين الضلوع شفيع أو أن يكون المراد منه نوع تشويق
إلى ذكر المسند إليه كقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس
الضحى وأبو إسحق والقمر وقوله وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها
دخان وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند وإلا
لم يحسن ذلك الحسن أو يكون المراد بالجملة إفادة التجدد دون الثبوت
فيجعل المسند فعلا ويقدم البتة على ما يسند إليه في الدرجة الأولى
وقولي الدرجة الأولى احتراز عن نحو أنا عرفت وأنت عرفت وزيد
عرف فإن الفعل فيه مسند لما بعده من الضمير ابتداء ثم بواسطة
عود ذلك الضمير لما قبله مسند إليه في الدرجة الثانية وإذا سلكت

هذه الطريقة سلكت باعتبارين مختلفين أحدهما أن يجرى الكلام
على الظاهر وهو أن أنا مبتدأ وعرفت خبره وكذلك أنت عرفت
وهو عرف ولم يقدر تقديم وتأخير كما إذا قلنا زيد عارف أو زيد عرف
اللهم إلا في اللفظ وثانيهما أن يقدر أصل النظم عرفت أنا وعرفت
أنت وعرف هو ثم يقال قدم أنا وأنت وهو فنظم الكلام بالاعتبار
الأول لا يفيد إلا تقوي الحكم وسبب تقويه هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ
يستدعي أن يسند إليه شيء فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إليه
صرفه المبتدأ إلى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير
المبتدأ نحو زيد غلامك أو كان متضمنا له نحو أنا عرفت وأنت عرفت
وهو عرف أو زيد عرف ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير
إلى المبتدأ ثانيا فيكتسي الحكم قوة فإذا قلت هو يعطي الجزيل كان المراد
تحقيق إعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص إعطاء الجزيل به وعليه
قوله عز وعلا واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون

ليس المراد ان سواء عليهم لا يخلق انما المراد تحقيق انهم يخلقون وقوله تعالى

ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله وحشر

لسليمان جنوده من الجن والانس فهم يوزعون وقوله واذا جاؤكم قالوا

امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكذلك اذا قلت انت لا تكذب

كان اقوى للحكم بنفي الكذب عن المخاطب من قولك لا تكذب من غير

شبهة ومن قولك لا تكذب انت فان انت هنا لتاكيد المحكوم عليه بنفي

الكذب عنه بانه هو لا غيره لا لتاكيد الحكم فتدبره وعليه قوله تعالى والذين هم

بربهم لا يشركون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله

تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله تعالى ان شر الدواب

عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ويقرب من قبيل انا عرفت وانت

عرفت وهو عرف في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وانما قلت يقرب

دون ان اقول نظيره لانه لا يتفاوت في الحكاية والخطاب في انا عارف

وانت عارف وهو عارف اشبه الخالي عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بانه

بانه جملة ولا عومل معاملتها في البناء حيث لم يبن في نحو رجل عارف

رجلا عارفا فارجل عارف كاعرف في علم النحو وابعد في حكم الافراد

نحو زيد عارف ابوه وبالاعتبار الثاني يفيد التخصيص قال تعالى و

من اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم المراد لا يعلمهم

الا الله ولا يطلع على اسرارهم غيره لابطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم

وسيأتيك بيانه في فصل التقديم والتاخير ونظير قولنا انا عرفت

في اعتبار الابتداء لكن على سبيل القطع قولك زيد عرفت او عرفته و

اعتبار التقديم زيدا عرفت الرفع يفيد تحقيق انك عرفت زيدا والنصب

يفيد انك خصصت زيدا بالعرفان واما زيدا عرفته فانت بالخيار

ان شئت قدرت المفسر قبل المنصوب على نحو عرفت زيدا عرفته

وحملته على باب التاكيد وان شئت قدرته بعده على نحو زيدا عرفت عرفته

وحملته على باب التخصيص واما نحو قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فيمن

قرأ بالنصب فليس المراد الا التخصيص لامتناع اما فهدينا ثمود

واما نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف في احتمال

الاعتبارين على السواء بل حق المعرف حمله على وجه تقوي الحكم وحق

المنكر حمله على وجه التخصيص وانما افترق الحكم بين الصور الثلث

لانا اذا قلنا عرف هو لم يكن هو فاعلا لما عرف في علم النحو ان ضمير

الفاعل لا ينفصل الا اذا جرى الفعل على غير ما هو له في موضع

الالتباس او اذا تقدم عليه الا صورة كنحو ما ضرب الا هو او معنى كنحو انما

يدافع عنك انا اذ المعنى لا يدافع عنك الا انا واذا لم يكن هو فاعلا احتمل

العدم على الفعل فاذا قلنا هو عرف كان له ذلك الاحتمال مع احتمال

الابتداء لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على شرطه في قوة القابل للاخبار

عنه وهو تعرفه واذا قلنا عرف زيد كان زيد مرفوعا بعرف لقلة نظائر

واستقرار النحويين الذين ظلموا وحينئذ لا يكون له احتمال التقدم على الفعل

كما سبق في علم النحو فلا يكون بقوة قولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء

اللهم الا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب عند الموقف لكونه على شرط المبتدا،

المبتدا، وانما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط اذا لم يمنع عن التخصيص

مانع كما اذا قلت رجل جاءني لصحة ان يراد الجائي رجل لا امرأة

انبا السامع دون قولهم شر اهر ذا ناب لامتناع ان يراد المهر

لذي ناب شر لا خير اللهم الا اذا حملت التخصيص على وجه آخر

وهو الافراد على تقدير رجل جاءني لا رجلان فانه محل يصار اليه كثيرا

عند علماء هذا النوع وشر اهر ذا ناب لا شران لكن هذا الوجه

يكون نابيا عن مظان استعماله واذ صرح الائمة رحمهم الله بتخصيصه

حيث تاولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه تفظيع شان الشر

بتنكيره كما سبق فهو مخرج ولما عرفت من ان بناء الفعل على المبتدا

اقوى للحكم تراهم اذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير بطريق

الكناية نحو مثلك لا يبخل بمعنى لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى انت تجود من

غير ارادة التعريض بلفظي المثل والغير على انسان يقصد اليهما لا

يكادون يتركون تقديمهما لكونه اعون للمعنى المراد بهما اذ ذاك ويتحقق هذا

في علم البيان ان شاء الله تعالى **فصل**، واعلم ان للفعل
ولما يتعلق به اعتبارات مجموعها راجع الى الترك والاثبات والاظهار
والاضمار والتقديم والتاخير فلا بد من الكلام هناك ومن الكلام على الخصوص
في نفس اخذ الفعل بالقيود الشرطية فنقول اما الترك فلا يتوجه
الى فاعله كما عرف في علم النحو واما يتوجه الى نفس الفعل او الى غير
الفاعل لكنه لم يتضح اتضاحا ظاهرا الا في المفعول به كما ستقف عليه
اما الحالة المقتضية لترك الفعل فهي ان تغني قرائن الاحوال عن
ذكره ويكون المطلوب هو الاختصار او اتباع الاستعمال الوارد على
تركه كما اذا اردت ضرب المثل بقولهم الاحظية فلا الية وبقولهم فلو
ذات سوار لطمتني او غير ذلك مما هو مصبوب في هذا القالب او
على ترك نظائره كما اذا قلت ان زيد جاء ولو عمرو ذهب وتلك القرائن
كثيرة فانا اضبط لك منها ههنا ما تستعين به على درك ما عسى يشذ عن
الضبط فاقول والله الموفق للصواب منها ان يكون مفسرا كنحو ان ذو لوثة

47

لانا، ولو ذات سوار لطمتني وهلا ابوك خير واذا السماء انشقت وم
نحو زيد ذهب هو او ذهب اخوه ونحو واياي فارهبون كما سبق
التعرض له في علم النحو ومنها ان يكون هناك حرف اضافة فان حروف
الاضافة لوضعها على ان تفضي بمعاني الافعال الى الاسماء لا تنفك عن
الافعال الا ان دلالتها لا تتخطى الفعل المطلق فاذا اريد تقييده احتيج
الى دلالة اخرى ثم تتفاوت فتارة يكون الشروع فيه كما اذا قلت
عند الشروع في القراءة بسم الله فانه يفيد ان المراد بسم الله اقرأ
او عند الشروع في القيام او القعود او اي فعل كان فانه يفيد ذلك
وتارة يكون الاقتران كقولك لمن اعرس بالرفاء والبنين او لمن قوض
اليك ان تختار الكل الاختيار فانه يفيد بالرفاء اعرست والي تقوض
وتارة يكون عموم الاستعمال كنحو في الدار او في البلد او نحو كذا فانه
لا يراد الا معنى الحصول ويكون تارة غير ذلك من مقيدات الاحوال
فقس ومنها ان يكون الكلام جوابا لسؤال واقع نحو ان تسمع مثل تكتب
على ما ذكرنا ما عسى يشذ عن الضبط

العرآن في فتسأل من يكتبه فتقول زيد فيكون الحال مغنية عن
ذكر يكتب وعليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقوله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله او جوابا لسوال مقدر مثل ان تقول يكتب في القرآن زيد
وعليه بيت الكتاب ليبك يزيد ضارع لخصومة وقراءة من قرا يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال وكذلك يوحي اليك بناء الفعل للمفعول
في البيت وفي الآيتين ومن البناء على السوال المقدر ارتفاع المخصوص
في باب نعم وبئس على احد القولين وعسى ان نتعرض في فصل الايجاز و
الاطناب لهذا الباب وان هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شان الكلام
في باب البلاغة لصاحبه يناطح السماك وموقعه ان يصل من يبلغ
عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الاحوال ساحر في اقتضاب الكلام
ماهر في افانين السحر الى ان يبلغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه
وفصوص مستتباعاته فان جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرة الثمينة

لا ترى درجتها تعلو ولا ترى قيمتها تغلو ولا تشترى بثمنها ولا تجري في مساق
على تشبيهها ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها والراغب فيها خبيرا بمكانها وثمن
الكلام ان يوفى من ابلغ الاصغاء واحسن الاستماع حقه وان يتلقى من
القبول والاهتزاز باكمل ما استحقه ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات
حسن الكلام ومعتقدا بان المتكلم تعمدها في تركيبه للكلام عن علم منه فان
السامع اذا جهلها لم يميز بينه وبين ما دونه وربما انكره وكذلك اذا اساء
بالمتكلم اعتقاده ربما نسبه في تركيبه ذلك الى الخطاء وانزل كلامه منزلة
ما يليق به من الدرجة النازلة ومما يشهد لك بهذا ما يروى عن علي عليه الصلوة
والسلام انه كان يشيع جنازة فقال له قائل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل سائلا
عن المتوفى فلم يقل فلان بل قال الله ردا للكلام عليه مخطئا اياه منبها له بذلك
على انه كان يجب ان يقول من المتوفى بلفظ اسم المفعول ويقال ان هذا الواقع
كان احد الاسباب لما دعته الى استخراج علم النحو فامر ابا الاسود الدؤلي
بذلك فاخذ فيه فهو اول ائمة علم النحو رضوان الله على جميعهم وما فعل ذلك عليه

الا انه عرف من السائل انه ما اورد لفظ المتوفى على الوجه الذي يكسوه
جزالة في المعنى وفخامة في ما يراد وهو وجه القراءة المنسوبة الى علي عليه السلام
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا بلفظ بناء الفعل للفاعل من ارادة
معنى والذين يستوفون مدد اعمارهم واذ قد عرفت هذا فنقول في
التركيب الذي نحن فيه من مثل يكتب القرآن سلم وزيد برفع زيد مع بناء
الفعل للمفعول جهات للحسن ومزايا نتلوها عليك لتكون لك ذريعة الى درك
ما سواها اذا نحوت بها بصيرة نذكر منها ان الكلام متى نسج على هذا المنوال
ناب مناب الجمل الثلث احديها يكتب القرآن والثانية الجملة المدلول عليها
بزيد وهي من يكتبه والثالثة زيد مع الرافع المقدر وهي يكتبه زيد بخلافه اذا
قيل يكتب القرآن زيد بلفظ المبني للفاعل ولا شبهة ان الكلام متى كان
اجمع للفوائد كان ابلغ ومنها ان الكلام متى سبق هذا المساق كان واحد
من لفظي القرآن وزيد مقصودا اليه في الذكر غير مستغنى عنه بخلافه في
التركيب الآخر فان لفظ القرآن فيه يعد فضلة والفرق ظاهر ومنها ان الكلام

الكلام متى سلك به هذا المسلك لم يكن اعد له مطمعا في ذكر الكاتب
فاذا اورد السامع فائدة ذكره كانت كمن تيسر له غنيمة من حيث
لم يحتسب بخلافه في النظم الآخر ومنها ان الكلام على ذلك النظم يكون
كالمناقض من حيث الظاهر لان كون القرآن مفعولا فضلة فيه
يكون موذنا بان مساس الحاجة اليه دون مساس الحاجة الى
الفاعل وكونه مقدما فيه على الفاعل يكون موذنا بالاعتناء بشانه
وان مساس الحاجة اليه فوق مساس الحاجة الى ما اخر بخلافه
في هذا النظم فانه يكون سليما عن ذلك وفي هذا الوجه نظر يذكر
في الحواشي ومنها ان الكلام يصح التركيب الذي نحن فيه يفيد اسناد
الكتابة الى الفاعل اجمالا اولا وتفصيلا ثانيا وفي غيره يفيد اسنادها
اليه من وجه واحد فيكون هذا التركيب ابلغ ومن قبيل ما نحن بصدده
قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فلله شركاء مفعولا جعلوا وانتصاب
الجن بفعل مضمر دل عليه السؤال المقدر وهو من جعلوا شركاء واما

الحالة المقتضية لاثبات الفعل فاشتمال المقام على جهة من جهات
الاستدعاء له والتلفظ به مما نبهت على امثالها غير مرة واما الحالة المقتضية
لترك مفعوله فهى القصد الى التعميم والامتناع عن ان يقصر السامع على
ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار وانه احد انواع سحر الكلام حيث
يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى كقولهم فى باب المبالغة فلان يعطى
ويمنع ويصل ويقطع ويبنى ويهدم ويغنى ويعلم وقوله عز وعلا والله يدعو
الى دار السلام او القصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم
ذهابا فى نحو فلان يعطى الى معنى يفعل الاعطاء ويوجد هذه الحقيقة ايهاما
للمبالغة بالطريق المذكور فى افادة اللام للاستغراق وعليه قوله عز وعلا
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون المعنى وانتم من اهل العلم والمعرفة او
القصد الى مجرد الاختصار لنيابة قرائن الاحوال عن ذكره كقوله عز وعلا
اهذا الذى بعث الله رسولا اذ لم يلتبس ان المراد اهذا الذى بعثه الله
لاستدعاء الموصول الراجع اليه من الصلة وقوله ارنى انظر اليك لا تفضح

ان المراد ارنى ذاتك وقوله ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس
يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى
حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام الى ارادة يسقون مواشيهم وتذودان
غنمهما ولا نسقى حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام مواشيهم وقوله ولو شاء
لهديكم لظهور ان معناه لو شاء هدايتكم لهديكم وكذلك ان نظم قوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون فى هذا السلك على تقدير وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء واكثر فواصل القرآن من
نحو يعلمون يعقلون يفقهون واردة على ما سمعت من الاحتمالين وقول
الشاعر ❁ اذا شاء طالع مسجورة ❁ يرى حولها النبع والساسما ❁ وقوله فان شئت
لم ترقل وان شئت ارقلت ❁ مخافة ملوى من القد محصد ❁ وقوله
❁ لو شئت عدت بلاد نجد عودة ❁ فحللت بين عقيقه وزروده ❁
او الرعاية على الفاصلة كنحو والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى

او استحسان ذكره كقول عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني
تعني العورة او القصد الى اعتبار غير ذلك من الاعتبارات المناسبة
للذكر واما الحالة المقتضية لاثباته فكون المقام مقام ذكر او القصد
الى زيادة تقرير وبسط الكلام بذكره او الرعاية على الفاصلة كقوله والشمس
وضحيها والقمر اذا تلاها وما شاكل ذلك من الجهات المعتبرة في
باب الاثبات واما الحالة المقتضية لاضمار فاعله فهي كون المقام
حكاية او خطابا كقولك عرفت وعرفت او كون الفاعل مسبوقا
بالذكر كقولك جاءني رجل وطلب مني كذا او في حكم المسبوق به
كنحو قوله في مطلع القصيدة زارت عليها للظلام رواق ومن
النجوم قلائد ونطاق وقوله في الافتتاح قالت ولم تقصد لقيل الخنا
مهلا فقد ابلغت اسماعي واما الحالة المقتضية لكونه مظهرا فهي كون المقام
غير ما ذكر او كونه مستدعيا زيادة التعيين والتمييز كقولك جاءني رجل
فقال ذلك الرجل كذا او مستدعيا للالتفات كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا

51

كذا مكان ارسم كذا واما اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل فعلى ثلاثة انواع
احدها ان يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل معنى كنحو انا عرفت وانت
عرفت وهو عرف دون زيد عرف وثانيها ان يقع بينه وبين غير ذلك
كنحو زيدا عرفت ودرهما اعطيت وعمرا منطلقا علمت وثالثها ان يقع
بين ما يتصل به كنحو عرف زيد عمرا وعرف عمرا زيد وعلمت زيدا منطلقا
وعلمت منطلقا زيدا وكسوت عمرا جبة وجبة عمرا ولكل من ذلك حالة
تقتضيه فالحالة المقتضية للنوع الاول هي ان يكون هناك وجود فعل
وعالم به لكنه مخطئ في فاعله او في تفصيله وانت تقصد ان ترده الى
الصواب كما تقول انا سعيت في حاجتك انا كفيت في مهمك تريد دعوى
الانفراد بذلك وتقرير الاستبداد به وترد بذلك على من زعم ان ذلك كان
من غيرك وان غيرك فعل فيه ما فعلت ولذلك اذا اردت التأكيد قلت
للزاعم في الوجه الاول انا كفيت مهمك لا عمرو او لا غيري وفي الوجه الثاني
انا كفيت مهمك وحدي وقولهم في المثل أتعلمني بضب انا حرشته شاهد صدق

على ما ذكر عند من له ذوق ولسن اذا قلت سعيت في حاجتك او سعيت

انا في حاجتك يجب ان يكون عند السامع وجود سعي في حاجته

قد وقع خطأ منه في موجده او تفصيله فقصد ازالة الخطأ بل

اذا قلت ابتداء مفيدا اياه وجود السعي في حاجته بل غير مشعر

بتجوز او سهو او نسيان صح ومنه ما حكيه علت كلمته عن قوم شعيب

وما انت علينا بعزيز اي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت لكونهم

من اهل ديننا ولذلك قال عليه السلام في جوابهم ارهطي اعز عليكم

من الله اي نبي الله ولو انهم كانوا قالوا وما عززت علينا لم يصح هذا

الجواب ولا طابق ولذلك يتبين ان يقال في النفي عند المقدم ما انا سعيت

في حاجتك ولا احد سواي لانه يستلزم ان يكون سعي في حاجته غيرك

لا انت وان لم يكون سعي في حاجته غيرك ولا انت ولا ينبغي ان يقال

ما سعيت في حاجتك ولا احد غيري وكذلك اذا اكدت فقلت ما سعيت

انا في حاجتك ولا احد غيري ولذلك ايضا يستهجن ان يقال في

في النفي عند التقديم ما انا رايت احدا من الناس لاستلزامه ان يكون
قد اعتقد قبل معتقد انك رايت كل احد في الدنيا فنفيت ان يكون
اياه ولم يستحسن ان يقال ما رايت احدا من الناس او ما رايت
انا احدا من الناس ويحترز عن ان يقال عند التقديم ما انا ضربت
الا زيدا لان نقض النفي بالا يقتضي ان تكون ضربت زيدا وتقديمك
ضميرك وايلاؤه حرف النفي يقتضي نفي ان يكون ضربته ولم يحترز عن
واعترض صاحب الايضاح بانه لا يلزم ايلاء الضمير حرف النفي نفيه ذلك فان قيل
ان يقال ما ضربت الا زيدا وما ضربت انا الا زيدا والحالة المقتضية
للنوع الثاني ان يكون هناك من اعتقد انك ضربت انسانا واصاب
لكن اخطاء فاعتقد ذلك الانسان غير زيد وانت تقصد رده الى
الصواب فتقول زيدا ضربت واذا قصدت التاكيد والتقرير قلت
زيدا عرفت لا غيره ولذلك يقبح ان يقال ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس
نبههم ان يقال ما انا ضربت زيدا ولا احد غيري والنهي الواقع مقصود على
الحالة المذكورة اما اذا ظن بك القائل ظنا فاسدا انك تعتقد ان ضرب عمرا

اوانك تعتقد كون زيد مضروبا ثم قال لك متعنتا في الصورة الاولى

زيدا ضربت وفي الثانية اما ضربت زيدا افصح من ان تقول ما زيدا ضربت

ولا احدا من الناس او ما انت ضربت زيدا ولا احدا غيرك فتامل فالفرق

واضح وكذلك امتنعوا ان يقال ما زيدا ضربت ولكن اكرمته فيعقب الفعل

المنفي باثبات فعل هو ضده لان مبنى الكلام ليس على ان الخطاء وقع في

الضرب فترده الى الصواب في الاكرام وانما مبناه على ان الخطاء وقع في

المضروب حين اعتقد زيدا فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا

وكذلك اذا قلت بزيد مررت افاد ان سامعك كان يعتقد مرورك

بغير زيد فازلت عنه الخطاء مخصصا مرورك بزيد دون غيره والتخصيص

لازم للتقديم ولذلك تسمع ائمة علم المعاني في معنى اياك نعبد واياك نستعين

يقولون نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين

احدا سواك وفي معنى ان كنتم اياه تعبدون يقولون ان كنتم تخصونه بالعبادة وفي

معنى قوله وبالآخرة هم يوقنون يذهب الى انه تعريض بان الاخرة التي عليها

عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا

او نصارى وانه لا تمسهم النار الا اياما معدودات وان اهل الجنة

فيها لا يتلذذون في الجنة الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ

ليست بالآخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان بالتي هي الآخرة عند

الله في شيء وستعرف التعريض في علم البيان وفي قوله لتكونوا شهداء

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يقولون اخرت صلة الشهادة

اولا وقدمت ثانيا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي

الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وفي قوله لالى الله تحشرون

يقولون الى الله لا الى غيره ونراهم في قوله وارسلناك للناس رسولا يحملون

تعريف الناس على الاستغراق ويقولون المعنى لجميع الناس رسولا وهم العرب

والعجم لا للعرب وحدهم دون ان يحملوه على تعريف العهد او تعريف الجنس لئلا

يلزم من الاول اختصاصه ببعض الانس لوقوعه في مقابلة كلهم ومن

الثاني اختصاصه بالانس دون الجن ولافادة التقديم عندهم التخصيص

تراهم يقدعون على التقديم ما يقدعون على نفس التخصيص فلا اذا قيل ما
ضربت اكبر اخوتك فيذهبون لك انه ينبغي ان يكون ضاربا للاصغر بدليل
الخطاب يذهبون ايضا اذا قيل ما زيدا ضربت لك انه ينبغي ان يكون
ضاربا للانسان سواه ولذلك يمنعون ان يقال ما ضربت زيدا ولا احدا
من الناس وتسمعهم في قوله تع لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون يقولون
قدم الظرف تعريضا بخمور الدنيا وان المعنى على الخصوص لا تغتال
العقول اغتيال خمور الدنيا ويقولون في قوله تع الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه يمتنع تقديم الظرف على اسم لا لانه اذا قدم افاد تخصيص نفي
الريب بالقرآن ويبحج دليل خطابه على ان ريبا في سائر كتب الله تع وعلى هذا
متى قلت اذا خلوت قرأت القرآن افاد تقديم الظرف اختصاص قراءتك
به ورجح لك معنى لا اقرأ الا اذا خلوت فافهم وانما لزم التقديم استدعاء
الحكم ثبوتا ونفيا حتى قامت الجملة في نحو ما ضربت زيدا مقام ضربت زيدا
ولم يضرب غيري وفي نحو ما زيدا ضربت مقام ما ضربت زيدا وضربت غيره وفي

نحو اذا خلوت قرأت القرآن مقام اقرأ القرآن اذا خلوت ولا اقرأ
اذا لم اخل لما عرفت ان حاله التقديم هو ان ترى سامعك يعتقد وقوع
فعل وهو مصيب في ذلك لكنه مخطئ في الفاعل او المفعول او غير
ذلك من مقيدات الفعل وانت تقصد رده الى الصواب فاذا نفيت
من كان اعتقده من الفاعل او المفعول استدعى المقام غير ذلك
فيجتمع لذلك نفيك للمنفي مع الاثبات لما سواه واذا اثبت غير من كان
اعتقده استدعى المقام نفي من اعتقده لكونه خطأ فيجتمع اثباتك للمثبت
مع النفي للمنفي ويفيد التقديم في جميع ذلك وراء ما سمعت نوع اهتمام
لشان المقدم فعلى المؤمن في نحو بسم الله اذا اراد تقدير الفعل معه ان
يوخر الفعل على نحو بسم الله اقرأ او اكتب وكأنك تقول فاياك اقرأ
باسم ربك مقدم الفعل على المفعول وان كلام الله احق برعاية ما يجب
رعايته فالوجه فيه عندي ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة واوجدها
على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطي ويمنع في احد الوجهين غير معدى بجملة

معرق به وان يكون مفعول افراد الذي يعلم ولحالة المقتضية للنوع

الثالث بي كون العناية بما تقدم اتم وايراده في الذكر اهم والعناية

التامة بتقديم ما تقدم والاهتمام بشانه نوعان احدهما ان يكون اصل الكلام

في ذلك هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو الى العدول عنه كالمبتدا

المعرف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذي الحال المعرف فاصله

التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا وكالعامل فاصله التقديم على معموله

نحو عرف زيد عمرا او كان زيد عارفا وان زيدا عارف ومن زيد وغلام عمرو

وكالفاعل فاصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو ضرب

زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة امام بكر ضربا شديدا تاديبا له ممتليا من الغضب

وامتلاء الاناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدا من مفعولي باب علمت

نحو علمت زيدا منطلقا او في حكم فاعل من مفعولي باب اعطيت وكسوت

نحو اعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا جبة فزيد عاط وعمرو مكتس فحقهما التقديم

على غيرهما وكالمفعول المتعدي اليه بغير واسطة فاصله التقديم على المتعدي

55

المتعدى اليه بواسطة نحو ضربت الجاني بالسوط وكالتوابع فاصلها ان تذكر مع

المتبوع فلا تقدم عليها غيرها نحو جاء زيد الطويل راكبا وعرفت انا زيدا وكذلك

عرفت انا وفلان زيدا وغير ذلك مما عرف له في علم النحو موضع من الكلام

بوصف الاصالة بالاطلاق وثانيهما ان تكون العناية بتقدمه والاهتمام

بشانه لكونه في نفسه نصب عينك وان التفات الخاطر اليه في التزايد كالجلك

اذا اوارى قناع الهجر وجه من روحك في خدمته وقبل ما الذي تمنى بقول

وجه الحبيب المنى فتقدم او كالتجدل اذا اتاك احد عرفت سركا لله

بقف شغل وتقول لله شركاء وعليه قوله تع وجعلوا لله شركاء

لعارض يورثه ذلك كما اذا اخذت في الحديث وتوهمت لقرائن

الاحوال من انت معه في الحديث ملتفت الخاطر لما يغنى ينتظر

من مساقك الحديث الملتمس به فيبرز ذلك المعنى عندك في معرض امر

يتجدد في شانه التقاضي ساعة فساعة وكالتجدله مجالا في الذكر صالحا

لتوقف ان تذكره مثل ما قد تقول لصاحبك اجبني المسالة الفلانية

من كانك وتاخذنه في كيت وذيت وله كتاب آخر فيه مسائل فتحدث
ان كتابه الآخر واقع الآن في ذهنه وكالمنتظر هل تورده في الذكر
فتقول واعجبني من كتابك الآخر المسألة الفلانية فتقدم المجرور على المرفوع
اوكما اذا وعدت بما انت تستبعد وقوعه فانك حال التفات خاطرك
الى وقوعه من جهة تبعده ومن جهة اخرى ادخل في تبعيد تجد تفاوتا
في انكارك اياه ضعفا وقوة بالنسبة ولامتناع انكاره بدون القصد اليه
يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا في القصد اليه والاعتناء بذكره فانت في
الاول اذا انكرت اوجبت البلاغة ان تقول شيء حاله في البعد من
الوقوع هذه انى يكون لقد وعدت انا وابي وجدي هذا ان هو الا
من اختراعات المموهة واصحاب التلبيس فتذكر المنكر بعد المرفوع
في موضعه من الكلام وان تقول في الثاني شيء حاله في البعد من الوقوع الى
هذه الغاية على من يروج لقد وعدت هذا انا وابي وجدي فتقدم المنكر على
المرفوع او كما اذا عرفت في التاخير مانعا مثل الذي في قولك رايت الجماعة

الجماعة من مجيبك الى تانت ثم دنت اذا قدمت من مجيبك افاد ان الجماعة
المرتبة جماعة من مجيبك من غير شبهة وهو مرادك واذا اخرت اورث
الاشتباه لاحتمال ان يكون من مجيبك صلة دنت او مثل الذي في قولك
الحمد لله الذي بعث بالحق عيسى وايد بهرون موسى اذا اخرت المجرور بطل
السجع ولهذا العارض مناشئ تتفاوت جلاء وخفاء للطيفا والطف وللخواطر
في مضمارها تباين فمن ضليع لا يشق غباره ومن ظالع لا يونس عثاره و
ليس السبق هناك بمجرد الكد بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولله
در امر التنزيل واحاطته على لطائف الاعتبارات في ايراد المعنى على
انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الاحوال لا ترى شيئا منها يراعى في كلام
من وجه الا عثرت عليه مراعى فيه من الطف الوجوه وانا القي اليك من
القرآن عدة امثلة مما نحن فيه لتستضيء بها فما عسى يظلم عليك من نظائرها
اذا احببت ان تتخذها مسارح نظرك منها ان قال عز من قائل في
سورة القصص في قصة موسى وجاء رجل من اقصى المدينة فذكر المجرور

بعد العامل وهو موضعه وقال في يس في قصة رسل عيسى وجاء من اقصى

المدينة رجل فقدّم لما اهمّ يبيّن ذلك انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل

الكلام على سوء معاملة اصحاب القرية الرسل وانهم اصرّوا على تكذيبهم وانهمكوا

في غوايتهم مستشرين فكان مظنة ان يلقن السامع على مجرى العادة تلك

القرية قايلا ما انكدها تربة وما اسوءها منبتا ويبقى مجيلا في فكره اكانت

تلك المدينة بحافاتها كذلك ام كان هناك قطر دان او قاص منبت خير

منتظرا المساق الحديث هل يلمّ بذكره فكان لهذا العارض مهمّا فكان جاء

موضع له صالح ذكره بخلاف قصة موسى ومنها ان قال في سورة

المومنين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع وما تبعه المنصوب

وهو موضعه وقال في سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا

فقدّم لكونه فيها اهمّ يدلك على ذلك ان الذى قبل هذه الآية ائذا كنا ترابا

وآباؤنا والذى قبل الاولى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة المنظور

فيها هناك هي كون انفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها ههنا هي كون

كون انفسهم وكون آبائهم ترابا لا جزء هناك من بناهم على صورة نفسه

ولا شبهة انها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء

بالقصد لذكره فصيّره هذا العارض اهمّ ومنها ان قال في موضع

من سورة المومنين فقال الملأ الذين كفروا من قومه فذكر المجرور

بعد صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف وفي موضع آخر منها

وقال الملأ من قومه الذين كفروا فقدّم المجرور لعارض صيّره

بالتقديم اولى وهو انه لو اخّر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف

بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه واترفناهم في الحيوة الدنيا

لاحتمل ان يكون من صلة الدنيا واشتبه الامر في القائلين اهم من

قومه ام لا ومنها ان قال في سورة طه آمنّا برب هرون وموسى

وفي سورة الشعراء رب موسى وهرون للمحافظة على الفاصلة

ولنقتصر من الامثلة على ما ذكر فما كان الغرض الا مجرد التنبيه دون

التتبع لنظائرها في القرآن وتفصيل القول فيها خارج من الكلام بالتمام

ما وقعت اذناك من التفاصيل في هذه الانواع الثلثة من فصل التقدم

والتاخير هو مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق ان اخراج الكلام

لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرا بتنزيل نوع مكان نوع

باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك واما الحالات المقتضية

لتقييد الفعل بالشروط المختلفة كان وان ما واذا واذا ما واذ ما ومتى ومتى ما

واين واينما وحيثما ومن وما ومهما واى وانى وكلما فالذى يكشف عنها القناع

وقوفك على ما بين هذه الكلم من التفاصيل اما فهى للشرط في الاستقبال

والاصل فيها الخلو عن الجزم بوقوع الشرط كما يقول القائل ان تكرمني اكرمك

وهو لا يعلم انكرمه ام لا فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة وهى اما

التجاهل لاستدعاء المقام اياه واما ان المخاطب ليس بجازم كما يقول لمن يكذبك

فيما انت تخبره ان صدقت فقل لى ماذا تفعل واما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل

لعدم جريه على موجب العلم كما قد يقول الاب للابن لا يراعى حقه افعل ما شئت

لئن لم اكن لك ابا كيف تراعى حقى ولامتناع الجزم بتحقق المعلق عليه في حقيقته

بشبهة فلما يترك المضارع في بليغ الكلام الى الماضى المؤذن بالتحقق نظرا الى

لفظه لغير نكتة مثل ما ترى في قوله علت كلمته ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا

اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ترك يودوا الى لفظ الماضى اذ

لم يكن يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم ان يثقفوهم

اعداء لهم وباسطى الايدى والالسنة اليهم للقتل والشتم واذا للشرط

في الاستقبال قال الله تع ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون

على نحو وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون بادخال اذا في

الجزاء والاصل فيها القطع بوقوع الشرط كما اذا قلت اذا طلعت الشمس

فانى افعل كذا قطعا اما تحقيقا كما في المثال المضروب او باعتبار ما خطابية

وهو النكتة في تغليب لفظ الماضى معه على المستقبل في الاستعمال لكون

الماضى اقرب الى القطع من المستقبل في الجملة نظرا الى اللفظ قال الله تع

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه

بلفظ اذا في جانب الحسنة حيث اريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها كما في قوله

وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وفي قوله ولئن اصابكم فضل

من الله ليقولن لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا به كثرة وقوعا واتساعا

ولذلك عرفت ذها بالما لكونها معهودة او تعريف جنس والاول اقضى لحق

البلاغة وبلفظ ان في جانب السيئة مع تنكير السيئة اذ لا تقع الا في الندرة

بالنسبة الى الحسنة المطلقة ولا يقع شيء منها ولذلك قيل قد عددت ايام البلاء

فهل عددت ايام الرخاء ومنه واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم

سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون بلفظ اذا في جانب الرحمة وكان تنكير

وقصد النوع للنظر الى لفظ الاذاقة فهو المطابق للبلاغة واما قوله وان

كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وان كنتم في ريب من البعث بلفظ ان مع المرتاب

فاما لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن اصلها وتصوير

ان المقام لا يصلح الا لمجرد الفرض للارتياب كما تفرض المحالات

تعلقت ببعضها اغراض كقوله ولو سمعوا ما استجابوا لكم والضمير في سمعوا

للاصنام وبنائي ان يتالك اذا ارتبتم ومثله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم

كنتم قوما مسرفين فيمن قرا ان بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب

الاسراف وتصوير ان الاسراف من العاقل في مثل هذا المقام واجب

الانتفاء حقيق ان لا يكون ثبوته الا على مجرد الفرض ومنه ما قد يقول

العامل عند التقاضي بالعمالة اذا امتد التسويف واخذ يتزجم عن الحرمان

إن كنت لم اعمل فقولوا اقطع الطمع بنزلهم لتوهم ان يجزموا منزلة من

لا يعتقد انه عمل فيقول مجهلا ان اعتقدتم لئن لم اعمل فقولوا او يلكم واما

لتغليب غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابيهم وباب التغليب باب

واسع يجري في كل فن قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب

والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ادخل شعيب

في العود في ملتنا بحكم التغليب اذ ما كان شعيب في ملتهم كافر امثلهم

فان الانبياء عليهم السلام معصومون ان تقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما

بال الكفر وكذا قوله ان عدنا في ملتكم وقال الله تعالى الا امراته كانت

من الغابرين وفي موضع آخر وكانت من القانتين عدت الانثى من الذكور

بحكم التغليب وقال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
عدّ ابليس من الملائكة بحكم التغليب عدّ الانثى من الذكور ومن هذا الباب
قوله تعالى بل انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلّب جانب انتم على جانب قوم وكذا
وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرأ بتاء الخطاب اى انت يا محمد وجميع المكلفين
وغيرهم وكذا يذرؤكم في قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا
يذرؤكم فيه خطابا شاملا للعقلاء والانعام مغلبا فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء
على ما لا يعقل ومنه قولهم ابوان للاب والام والقمران للقمر والشمس والخافقان للمغرب
والمشرق واما قوله واذا مس الناس ضر بلفظ اذا مع الضر وبالتنكير لفظ
المس ولما ينكر الضر المفيد في المقام التوبيخ القصد الى اليسير من الضر
ولا الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضر وللتنبيه على ان مساس قدر يسير من
الضر لامثال هؤلاء حقه ان يكون في حكم المقطوع به واما قوله واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض بعد قوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى
بجانبه اى اعرض عن شكر الله تعالى وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذي تقتضيه البلاغة

البلاغة ان يكون الضمير في مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه
على ان مثله يحق ان يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به وعند الخويين ان اذ
في اذا مسلوب الدلالة على معناه الاصلي وهو المضي منقول بادخال
ما عليه الدلالة على الاستقبال ولم يفرق بين اذا واذ ما في باب الشرط
من حيث المعنى الا في الابهام في الاستقبال وفي متى لتعميم الاوقات في الاستقبال
وحيثما اعم وأين لتعميم الامكنة والاحياز وأينما اعم قال الله تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت وحيثما نظير اينما قال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
ومن لتعميم اولى العلم قال تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعة وما لتعميم الاشياء قال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم و
مهما اعم قال تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين و
وجهه اذا فقد الاصل ما ما ظاهر وأيّ لتعميم ما يضاف اليه من ذوي العلم
وغيرهم وكيف لتعميم الاحوال الراجعة الى الشرط كما تقول كيف تقرأ اقرأ
اى على اى حال توجد القراءة من جهرها او همسها او غير ذلك اوجدها انا على

اما اذا المطلوب بهذه المعمات ترك تفصيل للاجمال مع الاحتراز
عن تطويل اما غير واف بالحصر او ممل للاتراك في قولك من ياتني اكرمه
كيف تستغني عن التفصيل والتطويل في قولك ان ياتني زيد اكرمه وان
ياتني عمرو اكرمه وان ياتني خالد اكرمه لما عدد بما تعدد استيعابه
ح قيام الاملال ذلك بح ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون اي انا مكلف اطاع الله في فرائضه ورسوله في سننه وخشي
الله على ما مضى من ذنوبه واتقاه فيما يستقبل فقد حاز الفوز بحذافيره
واعلم ان الجزاء والشرط في غير لو لما كان ما تعلق حصول امر بحصول ما
ليس بحاصل استلزم ذلك في جملتيها امتناع الثبوت فامتنع ان تكونا
او احديهما وكذا امتناع المضي ان يكون الفعلان ماضيين او احدهما وتجويز
من هذا نحو ان اكرمتني فانت مكرم ونحو ان اكرمتني اكرمتك وان اكرمتني
اكرمتك وان تكرمني اكرمتك ونحو ان تكرمني فانت مكرم ونحو ان اكرمتني الان
فقد اكرمتك امس مما لا موجب لكونه مضارعا معه كنون التاكيد في نحو فاما

فاما ياتينكم مني هدى واما تثقفنهم في الحرب لا يصار اليه في بليغ الكلام الا
لنكتة ما مثل توخي ابراز غير الحاصل في معرض الحاصل اما لقوة الاسباب
المتاخذ في وقوعه كقولك ان اشترينا كذا حال انعقاد الاسباب في
ذلك واما لان ما هو للوقوع كالواقع نحو قولك ان مت وعليه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب الاعراف وكذا اما فيتخيل المتنزل لها قبل فتح مكة وفي اقوال
المفسرين منها كثيرة واما للتعريض كما في لئن اتبعت اهواءهم لئن اشركت
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ونظيره في كونه تعريضا قوله وما لي
لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون المراد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم
والمنبه عليه قوله بح واليه ترجعون ولولا التعريض لكان المناسب والي راجع
وكذا اتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين المراد اتتخذون من دونه آلهة ان يردكم
الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذونكم انكم اذا لفي ضلال ولذلك
قيل اني امنت بربكم دون بربي واتبعه فاسمعون ولا تعرف حسن موقع هذا

التعريض لهم اذا نظرت لهم مقامه وتطلب اسماع الحق على وجه لا يورث
غاية دم المسمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح لهم بالنسبة
الى ارتكاب الباطل ومن هذا الاسلوب قوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا
ولا نسأل عما تعملون والا لحق النسق من حيث الظاهر قل لا تسألون
عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون وكذا ما قبله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف اما للتفاؤل واما لاظهار الرغبة في وقوعه
كما تقول ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك وعليه قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا وما شاكل ذلك من لطائف الاعتبارات وقولهم رحمه الله في
الدعاء من هذا القبيل ومن هنا تنبه لنكتة تضمنها تفاوت الشرطين في
ان جاءتهم الحسنة ومستقبلا في تصبهم سيئة وابراز المقدر في معرض
الملفوظ لانصباب الكلام الى معناه كما في قولك ان اكرمتني الآن فقد اكرمتك
امس مرادا به ان تعتد باكرامك اياي الآن فاعتد باكرامي اياك امس ولما كلمة لو
التي كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على سبيل القطع كما تقول لو جئتني لاكرمتك

لاكرمتك معلقا لامتناع الاكرام بما امتنع من مجيء مخاطبك امتنعت جملتاها
عن الثبوت ولزم ان يكونا فعليتين والفعل ماضيا واستلزم في مثل قوله
عز اسمه ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم
عند ربهم تنزيل المستقبل لظالمه في سلك المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف
في اخباره منزلة الماضي المعلوم في قولك لو رأيت على نحو تنزيل يود منزلة
ود في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا في احد قولي اصحابنا البصريين رحمهم الله
واستلزم في مثل قولك لو تحسن الي لشكرت القصد بتحسن الى تصوير ان
احسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتا فوقتا على نحو قصد الاستمرار في قوله
يستهزئ في قوله عز اسمه الله يستهزئ بهم بعد قوله قالوا انا معكم انما نحن
مستهزؤون ويكسبون في قوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وارد على هذا اي تنبع عنتكم باستمرار
امتناعه عن طاعتكم ولك ان تريد الغرض من لفظ ترى ويود ويحسن
لاستحضار صورة المجرمين ناكسي الرؤوس قائلين ما يقولون وصورة الظالمين

موقوفين عند ربهم متقاولين تلك المقالات واستحضار صورة وداده
الكافرين لو اسلموا واستحضار صورة منع الاحسان كما في قوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
اذ ذاك فتثير استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية
من اثارة السحاب مسخرا بين السماء والارض متكونا في المرائي تارة عن
قزع متبددة كانها قطع قطن مندوف ثم متضام متعلقة بين الطوارح حتى يعود
ركاما وانه طريق للبلغاء لا يعدلون عنه اذا اقتضى المقام سلوكه او ما ترى
تأبط شرا في قوله بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران كيف سلك في
فاضربها بلا دهش قصدا بان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بضرب الغول
كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من
جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وقوله سبحانه ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دون كن فكان من هذا القبيل

63

القبيل واسلكم في مثل لو انتم تملكون حملا على تقدير لو تملكون تملكون
لفائدة التأكيد ثم حذف الفعل الاول اختصارا لدلالة ضمير عليه المبدل
بعد ذهاب الفعل منفصلا وامثال هذه اللطائف لا يتغلغل فيها
الا الاذهان الراضة من علماء المعاني ولمبنى علم المعاني على التتبع لتراكيب
الكلام واحدا فواحدا كما ترى وتطلب العثور على ما لكل منها من لطائف
النكت مفصلة لا يتم الاحاطة به الا لعلام الغيوب ولا يدخل كنه بلاغة
القرآن الا تحت علمه الشامل واعلم ان مستودعات فصول هذا الفن
لا تتضح الا باستبراء زناد خاطر وقاد ولا تنكشف اسرار جواهره الا لبصيرة
ذي طبع نقاد ولا تنصع ازهارها الا لمن يتدرب في حلبتها سالما انابيب مدى
باستفراغ طوق متفوق آفاق ولا تستنشق نفحاتها بقوة فهم ومعونة ذوق مولع من لطائف
البلاغة بما يوثرها القلوب بصغا باجبانها وشق عليها اقبلة مصاقع الخطباء
خبايا محجباتها متوسلا بذلك ان يتانق في وجه الاعجاز في التنزيل متقللا
ما لعله عجز المتحدين به عندك سلا التفصيل طامح عرنين العزة والكبرياء في

المثوبة الحسنى والفوز عنده يوم النشور بالذخر الاسنى **الفن الرابع**

من كونه في ذهنك لم تخل لرده معقلاً ولا الارتكاب بحمله مجالاً ان لبس ثمنع من

مفهومي جملتين اتحاد بحكم البارع وارتباط لاحدهما بالاخر مستحكم الاواخي

ولما ان يباين احدهما الاخر مباينة الاجانب لانقطاع الوشايج بينهما من كل جانب

ولا تكونا بين بين لا صلة رحم تامة ولا كذلك فيتوسط حالهما بين الاولى

والثانية لذلك ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على

هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها وانها لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة

ومضمار النظار ومتفاضل الانظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر

ومنجم صوابه وخطائه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي اذا طبقت فيها المفصل

شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداع وشيها اليد الطولى

وهذا فصل له فضل احتياج الى تقرير واف وتحرير شاف اعلم ان تمييز موضع

العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو ان تذكر معطوفا بعضها على بعض او تترك

العطف بينها والمجيء بها منثورة تستانف واحدة منها بعد اخرى من اسرار البلاغة

ومتروكا العطف بينها والمعنى من الفصل في هذا الفن وانه نوعان نوع قريب

يعتنب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه فالقريب هو ان تقصد العطف بينهما

بغير الواو او بالواو بينها لكن بشرط ان يكون للمعطوف عليها محل اعرابي

والسبب في ان قرب القريب وبعد البعيد هو ان العطف في باب

البلاغة يعتمد معرفة اصول ثلثة احدها الموضع الصالح له من حيث

الوضع وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولا مردودا وانت اذا اتقنت

معاني الفاء وثم وحتى ولا وبل ولكن واو وام واما واي على قول حصلت

لك الثلثة لدلالة كل منها على معنى محصل مستدع من الجمل بينا مخصوصا

مشتملا على فائدته وكونه مقبولا هناك وكذلك ان الاعراب صنفان لا غير

صنف لا يتبع وصنف يتبع وانت تعلم ان الصنف الثاني منحصر في تلك الانواع

الخمسة البدل والوصف والبيان والتاكيد واتباع الثاني الاول في الاعراب

بتوسط حرف فعلمت كون المتبوع في نوع البدل في حكم المنحى والمضرب عنه

لما تسمع ائمة النحو رحمهم الله يقولون البدل في حكم تنحية المبدل منه وبوصوف

بتصريح بل في قسمه الغلطي وعلمت في الوصف والبيان والتاكيد ان التابع فيها هو المتبوع

فالعالم في زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو في اخوك عمرو عندي ليس
غير اخوك ونفسه في جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم رجعت فحققت
ان الواو يستدعي معناه ان لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع ان يقال
جاء زيد وزيد وان يكون زيد الثاني هو زيدا الاول حصل لك ان الصنف
الاول ليس موضعا للعطف باي حرف كان من حروف العطف لفوات شرط
العطف فيه وهو تقدم متبوع ولم يذهب عليك ان نحو جاء زيد وعرفت عمرا
وانا في خالد وراكبا وما جرى هذا المجرى غير صحيح وان نحو قوله عليك ورحمة الله
السلام يلزم ان يكون عدم النظير وان لم يسوغه لا رتبة التقدم والتاخير
واما نحو قوله عز سلطانه واياي فارهبون فانما ساغ لكون المعطوف عليه
في حكم الملفوظ به لكونه مفسرا اذ تقديره واياي فارهبون على ما سبق التعرض لهذا
الفصل في علم النحو واما نحو قوله اوكلما عاهدوا انما ساغ لتقدم حرف الاستفهام المستدعي
فعلا مدلولا على معناه بقراين مساق الكلام وهو اكفروا بآيات الله وكلما عاهدوا
وحصل لك ايضا ان الانواع الاربعة من الصنف الثاني ليس واحد منها موضعا

موضعا للعطف بالواو اما لفوات شرط العطف حكما كما في البدل لتنزل
قولك سلب زيد ثوبه اذا عطفت فيه منزلة سلب ثوبه حكما واما لفوات
شرط معناه كما في الوصف والبيان والتاكيد اما موضعه النوع الخامس
واما نحو قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم فالوجه فيه
عندي هو ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها في حكم الموصوفة نازلة
منزلة وما اهلكنا من قرية من القرى لا وصف وحمله على الوصف سهو لا خطاء
ولا عيب في السهو للانسان والسهو ما يتنبه صاحبه بادنى تنبيه والخطاء ما لا يتنبه
صاحبه او يتنبه لكن بعد اتعاب ويزداد ما ذكرت وضوحا في اخر الفصل في
الكلام في الحال ثم اذا اتقنت ايضا ان كل واحد من وجوه الاعراب دال على
معنى كما يشهد لذلك قوانين علم النحو حصل لك فائدة الواو وهي مشاركة المعطوف
المعطوف عليه في ذلك المعنى فيكون عندك من الاصول الثلاثة اصلان معرفة
موضعه ومعرفة فائدته فاذا عرفت ان شرط كون العطف بالواو مقبولا هو ان
يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل ما ترى في الشمس والقمر

والسماء والارض والجن والانس كل ذلك محذوف وسنفصل الكلام في هذه الجملة

بخلافه في النجو الشمس ومرآة الارنب وسورة الاخلاص والرجل البصري من الضفدع

ودين المجوس والف باذنجانة كلها محدثة لكن غير هذا من المكتسبة والمحدثة كلها محدثة

حصلت لك الاصول الثلثة وان الامر من القرب فيها كما ترى واما توسيط الواو

بين جمل لا محل للمعطوف عليها من الاعراب فانما يعد تعاطيه لكون الاصول الثلثة

في شانه غير ممهدة لك وهو السر في ان دق مسلكه وبلغ من الغموض للاحتجب

قصر بعض ائمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه

لان الامر كذلك وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن وان احدا

لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة الا كان خلف سائر عقباتها خلفه واعلم انك اذا

تاملت ما قصصت لك في القرب التعاطي قرب عندك هذا المعنى بحيث لا يخفى عليك

ما اذن الله به ما دمت في تنبيه وهو ان الجملة متى نزلت في الكلام المتكلم منزلة الجملة العارية

عن المعطوف عليها كما اذا اريد بها القطع عما قبلها واريد بها البدل عن سابقة عليها

لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت من الاولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها

66

بها مثل ما اذا كانت موضحة لها ومبينة او مؤكدة لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول

الواو وكذا متى لم تكن بينها وبين الاولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها لم تكن ايضا

موضعا لدخول الواو وانما تكون موضعا لدخوله اذا توسطت بين كمال الاتصال

وبين كمال الانقطاع ولكل من هذه الانواع حالة تقتضيه فاذا طابق ورودها

تلك الاحوال وطبق المفصل هناك رقى الكلام من البلاغة عند اربابها الى درجة

يتناطح فيها السماك فلابد من تفصيل الكلام في تلك الحالات فنقول اما الحالة

المقتضية للقطع فهي نوعان احدهما ان يكون للكلام السابق حكم وانت لا تريد ان تشركه

الثاني في ذلك فيقطع ثم ان هذا القطع يأتي اما على وجه الاحتياط وذلك اذا كان

يوجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل على مانع من العطف عليه لكن المقام

مقام احتياط فيقطع لذلك واما على وجه الوجوب وذلك اذا كان لم يوجد وثانيهما

ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فينزل ذلك منزلة الواقع ويطلب

بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى

منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه السامع على موقعه او لاغنائه

ان يسال او لئلا يسمع منه شي او لئلا ينقطع كلامك بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل

اللفظ وهو تقدير السوال وترك العاطف وغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ويسمى

النوع الاول قطعا والثاني استينافا واما الحالة المقتضية للابدال فهي ان يكون

الكلام السابق غير واف بتمام المراد وايراده او كغير الوافي والمقام مقام اعتنا

بشانه اما لكونه مطلوبا في نفسه او لكونه غريبا او فظيعا او عجيبا او لطيفا او غير ذلك

مما له جهة استدعاء للاعتناء بشانه فيعيد المتكلم نظم ادى منه على نية استيناف القصد

الى المراد ليظهر بمجموع القصدين اليه في الاول والثاني اعني المبدل منه والبدل مزيد

الاعتناء بالشان واما الحالة المقتضية للايضاح والتبيين فهي ان يكون بالكلام السابق

نوع خفاء والمقام مقام ازالة له واما الحالة المقتضية للتاكيد والتقرير فظاهرة واما الحالة

المقتضية لكمال انقطاع ما بين الجملتين فهي ان تختلفا خبرا وطلبا مع تفصيل يعرف

في الحالة المقتضية للتوسط وان اتفقتا خبرا فان لم يكن بينهما ما يجمعهما عند المفكرة جمعا

من جهة العقل او الوهم او الخيال والجامع العقلي هو ان يكون بينهما اتحاد في تصور مثل

الاتحاد في المخبر عنه او الخبر او في قيد من قيودهما او تماثل هناك فان العقل بتجريده المثلين

المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد عن البين او تضايف كالذي

بين العلة والمعلول والسبب والمسبب او السفل والعلو والاقل والاكثر

والعقل باتي ان لا يحتملهما الذهن وان العقل سلطان مطاع والوهمي هو ان

يكون بين تصوريهما شبه تماثل نحو ان يكون المخبر عنه في احدهما لون بياض

وفي الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال في ان يبرزهما في معرض المثلين

ولم للوهم من حيل تروج والا فعليك بقوله ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحى وابو اسحق والقمر وقول الاخر ما الذي سواه حسن الجمع بين الشمس

وابي اسحق والقمر هذا التحسين او بقوله اذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع

فذو التاج والسقاء والذر واحد خال المثلين في شان الجمع او تضاد كالسواد

والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة و

الخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجي والاقرار و

الانكار والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك من نحو الاسود والابيض والمومن

والكافر او شبه تضاد كالذي بين نحو السماء والارض والسهل والجبل والاول

والثاني فان الوهم ينزل المتضادين والشبهين منزلة المتضايفين فيجتهد في
الجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد اقرب خطورا بالبال مع الضد والخيالي
هو ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق لاسباب مودية الى ذلك
فان جميع ما يثبت في الخيال مما يصل اليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتادى
اليه ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر
اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبا ووضوحا فكم صور تتعانق في
خيال وهي في اخر ليست تتراءى وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على
علم وان احببت ان تستوضح ما يلوح به البيك فحدق اليه من جانب اخبار كل تلق
كاتبا بتعديد قرطاس ومحبرة ونجار بتعديد منشار وقدوم وعتلة وآخر ما يلابسونه
واياكان من اصحاب العرف والرسم فلقه بذكر مسجد ومحراب وقنديل او حمام
وازار وسطل او غير ذلك مما يجمعه العرف والرسم فانهم جميعا المصادفهم معدودا انك على
وفق الثابت في خيالهم لا يستبدعون العد ولا يقفون له موقف نكير واذا غيرته
الا نحو محبرة ومنشار وقلم وقدوم ونحو مسجد وسطل وقنديل وحمام جاء الاستبداع و

والاستنكار وهل تشبهات اولئك الرفقاء الاربعة للبدر الطالع عليهم فيما
يحكى تتلو عليك سورة غير ما تلونا وتجلو لديك صورة غير ما جلونا يحكى ان صاحب
سلاح ملك وصواغا وصاحب بقر ومعلم صبية اتفق ان انتظمهم سلك طريق
وقد كان حمل كلا منهم مركب الجد فما اورثهم انقاب الجهة بالاظلام سوى
الاغراء ان يلطموا بايدي الرواقص خدودها وما استطاع الظلام ان لا يطووا
المسافة وقد نشر جناحه وان يلغوا عصاهم وقد مد لهم رواقه فقابلهم يعبوب
انتمن من مزيل تخبطهم وخوف ضلالهم فبيناهم في وحشة الظلماء وقد بلغ
السيل الزبى ومقاساة تخبط وخوف الضلال وقد جاوز الحزام الطبيين
آنسهم البدر الطالع بوجهه الكريم واضاءت لهم انواره كل مظلم بهيم فلم يتمالكوا
ان اقبل عليه كل منهم ينظم ثناءه ويمدح سناءه ويخدمه باكرم نتايج خاطره
واذا شبهه شبهه بافضل ما في خزانة حوت فاشبهه السلاحي الا بالترس
المذهب يرفع عند الملك ولا شبهه الصائغ الا بالسبيكة من الابريز يفتر عن
وجهها البوتقة ولا شبهه البقار الا بالجبن له بيض يخرج من قالبه طريا وشبهه
الام

المعلم الا برعيف احمر يصل اليه من بيت ذى مروة او التفاوت فى الامراد لوصف
الكلام فما حكيه الاصحاب عن الاوكياء من ذوى الحرف المختلفة كوصف الجوهرى
للكلام احسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه فى
سمط الفاظه فحملته نحور الرواة ووصف الصيرفى خير الكلام ما نقدته يد البصيرة
وجلته عين الروية ووزنه معيار الفصاحة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه نبهرج
ووصف الصائغ خير الكلام ما احميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته
من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا فى معنى وجيز ووصف الحداد
احسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية واشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته
من فحم الافحام ورققته بفطيس الافهام ووصف النجار ابلغ الكلام ما نحته مراجل
العلم وضمنه دنان الحكمة وصفاه راووق الفهم فتمشت فى المفاصل عذوبته
وفى الافكار رقته وفى العقل حدته ووصف البزاز احسن الكلام ما صدق رقمه
الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشره ولم يستبهم عند طيه ووصف الكحال
اصح الكلام ما سحقته بمهاز الذكاء ونخلته بحرير التمييز كان الرمد يذهب العين كذلك

كذلك الشبهة تذهب البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة
بمرود اليقظة او سلوك الطريق فى وصف البليغ حين سلكه الجمال فاملا البليغ
من اخذ بخطام كلامه فاناخه فى مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له
مجالا فلم يند عن الافهام ولم يشذ عن الاذان او اخبار الوراق عن حاله ما اخبر
عيشى اضيق من محبرة وجسمى ادق من مسطرة وجاهى ارق من الزجاج و
حظى اخفى من شق القلم وبدنى اضعف من قصبة وطعامى امر من العفص
وشربى اشد سوادا من الحبر وسوء الحال لى الزم من الصمغ ولصاحب علم
المعانى فضل احتياج فى هذا الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها
لا سيما النوع الخيالى فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما ينعقد الاسباب
فى استيداع الصور خزانة الخيال وان الاسباب فكما ترى ليلا الى حد تتباين فى
شان الجمع بين صور وصور فمن اسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن وفى
من اسباب تجمع بين دسكرة وابريق وافران نقل سيما اذا لم يوفه حقه من التيقظ
وانه من اهل المدر لا يتجلى كلام رب العزة مع اهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل

ناسفا ذلك النشق اولا سطرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد البعير عن خياله في مقام

النظر ثم لبعلهم في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذلك البواقي لكن اذا

وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستعلاء وذلك اذا نظر ان اهل

الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة

الى اكثرها نفعا وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل الا بان ترعى وتشرب

كان جل مرمى غرضهم نزول المطر واهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين

الى ماوى يؤويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا ماوى ولا حصن الا الجبال

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل فما ظنك بالتفات خاطرهم

الى الارض تعذر طول مكثهم في منزل ومن لاصحاب مواش بذاك كان عقد الهمة عندهم

بالسفل من ارض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا ابن البدوي اذا اخذ

ينتشى علمه في خزانة الصور لا يجد صورة الابل حاضرة هناك او لا يجد صورة السماء

لها مقارنة او يعوزه صورة الجبال بعدهما او لا ينتص اليه صورة الارض تليها بعدهما

لا وانما الحضرت حيث لم يتأخذ عنه تلك الامور وما جمع خياله تلك الصور

على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل ان يقف على ما ذكرت ظن النسق لجهله معيبا

للعيب فيه واما الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع

فهي ان اختلفتا خبرا وطلبا ان يكون المقام مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمين

الخبر معنى الطلب او الطلب معنى الخبر ومشتركا بينهما في جهات جامعة مما تليت

عليك على نحو قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين

احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا اذ لا يخفى ان قوله لا تعبدون

متضمن معنى لا تعبدوا وقوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم

في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب

رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فان المقام مشتمل على تضمين ان اصحاب الجنة

معنى الطلب بيان ذلك ان الذي قبله من قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا كلام وقت

الحشر من غير شبهة لوروده معطوفا بالفاء على قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم

جميع لدينا محضرون وعام لجميع الخلق لعموم قوله لا تظلم نفس شيئا وان الخطاب الوارد بعده

على سبيل الالتفات في قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون خطاب عام لاهل المحشر

وان قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون الى قوله ايها المجرمون متقيد بهذا

الخطاب لكونه تفصيلا لما اجمله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وان التقدير ان اصحاب

الجنة منكم يا اهل المحشر ثم جاء في التفسير ان قوله هذا ان اصحاب الجنة اليوم في

شغل فاكهون تعالى لهم حتى يسارعهم الى الجنة بتنزيل ما هو للكون منزلة الكائن

فانظر بعد تحرير معنى الاية وهو ان اصحاب الجنة منكم يا اهل المحشر يؤول حالهم

الى شغل حال كيف اشتمل المقام على معنى فليتبادروا عليكم الى الجنة واما كونه مشتركا

بين المعطوف والمعطوف عليه في الذي نحن بصدده في جهات تجمعها فغير خاف

وهو قوله تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب

العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فان الكلام مشتمل على تضمين

الطلب معنى الخبر وذلك ان قوله والق عصاك معطوف على قوله ان بورك والمعنى

فلما جاءها قيل بورك من في النار وقيل الق عصاك لما عرفت في علم النحو ان ان

لا تاتي الا بعد فعل في معنى القول واذا قيل كتبت اليه ان ارجع وناديته ان قم كان

كان بمنزلة قلت له ارجع وقلت له قم واما قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا

الصالحات بعد قوله اعدت للكافرين فيعد معطوفا على فاتقوا النار التي وقودها

الناس والحجارة وعندي انه معطوف على قل مرادا قبل يا ايها الناس اعبدوا

ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لكون ارادة القول بواسطة انصباب الكلام

الى معناه غير عزيز في القران من ذلك وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي وقلنا

او قائلين كلوا ومن ذلك واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا اي وقلنا او

قائلا انت يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور

خذوا اي وقلنا خذوا ومن ذلك واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل

ربنا اي يقولان ربنا وعليه قراءة عبد الله ومن ذلك ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب

يا بني على قول اصحابنا رحمهم الله ومن ذلك ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا اي ويقولون ذوقوا ومن ذلك براءة من الله و

رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا وامثال ذلك اكثر

من ان احصيها ههنا وكذلك عطف قوله وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة

على قل مرادا قبل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم وذهب صاحب

الكشاف رحمه الله الى انه معطوف على تؤمنون قبله لكونه في معنى آمنوا فتامل جمع

ذلك وكن الحاكم دونه اوان سيق الجملتان خبرا والمقام على حال اشتراك بينهما في

جامع ثم كلما كانت الشركة في اكثر واظهر كان الوصل بالقبول اجدر ولنختم الكلام

في تفصيل الحالات المقتضية للقطع والاستيناف والابدال والايضاح والعزر و

الانقطاع والتوسط بين بين بهذا العزر ولنذكر امثلة لتجنب بضبعك ان عسى

اعترضتك مداحض اذا اخذت تسلك تلك الطرقات من امثلة القطع للاحتياط

قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال تهيم لم يعطف اراها لئلا

يحسب السامع العطف على ابغي دون تظن ويعدّ اراها في الضلال تهيم من مظنونات

سلمى في حق الشاعر وليس هو بمراد انما المراد انه حكم الشاعر عليها بذلك وليس بمستبعد

لانصباب قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا ايراد فما ذلك في طيها ذلك ان يكون

قد قطع اراها ليقع جوابا لهذا السؤال على سبيل الاستيناف واياك ان تترك الفصل

الفصل لاجل الوزن فما هو هناك وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس

لم يعطف لهم الف لخيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد معنى البيت

ولك ان تقول جاء على طريقة الاستيناف قوله لهم الف وليس لكم الاف وذلك

انه حين ابتدى انكار زعمهم عليهم بفحوى الحال وكان مما يحرك السامع ان يسأل

لم تنكر فصل قوله لهم الف عما قبله ليقع جوابا للسؤال الذي هو مقتضى الحال

ومن امثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم

انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع من العطف

بيان ذلك انه لو عطف لكان المعطوف عليه اما جملة قالوا واما جملة انا معكم

اما نحن مستهزؤن لكن لو عطف على انما نحن مستهزؤن لشاركه في حكمه وهو كونه

من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف

المقدم وهو اذا خلوا الى شياطينهم لما عرفت في فصل التقديم والتأخير وليس

هو بمراد فان استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم وخلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا

اياهم من حيث لا يشعرون متصل في شأنهم لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم

اولم يخلوا اليهم وكذلك قوله تع واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون

الا انهم هم المفسدون قطع الا انهم لئلا يستلزم عطفه على انما نحن مصلحون كونه

مشاركا له في انه من قولهم او عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف اختصاص

قالوا به لتقدمه عليه وهو واذا قيل لهم لا تفسدوا فانهم مفسدون في جميع الاحيان

سواء قيل لهم لا تفسدوا او لم تقل وكذلك واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا

انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء قطع الا انهم لمثل ما تقدم في الاية السابقة

وذلك ان تحمل ترك العطف في الله يستهزئ بهم على الاستيناف من حيث ان

حكاية حال المنافقين في الذي قبله لما كانت تحرك السامع ان يسالوا ما مصير امرهم

وعقبى حالهم وكيف معاملة الله اياهم لم يكن من البلاغة ان يعرى الكلام عن الجواب

فلزم المصير الى الاستيناف وان نقول في الا انهم هم المفسدون ترك العطف فيه

للاستيناف ايضا ليطابق مقتضى الحال وذلك ان ادعاءهم الصلاح لانفسهم على ما ادعوه

مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان ورود ه بدون

الواو هو المطابق كما ترى وكذا في الا انهم هم السفهاء ومن امثلة الاستيناف قوله زعم

زعم العواذل ان ناقة جندب ، بجنوب خبت عريت واجمت

كذب العواذل لو راين مناخنا ، بالقادسية قلن لج وذلت

فصل كذب العواذل فلم يعطفه ليقع جوابا لسوال اقتضاه الحال عند شكواه

عن النساء العاذلات بقوله زعم العواذل انه كان كيت كيت وهو هل كذب

العواذل في ذاك ام صدقن وكذلك قوله ، يبكي على قتلى العدان فانهم

طالت اقامتهم ببطن برام ، كانوا على الاعداء نار محرق ولقومهم حرما من الاحرام

قطع كانوا للاستيناف لانه حض امرها بالبكاء كانه توهمها قالت فلم ابكيهم او كيف

ابكيهم صفهم لي كيف كانوا فعال مجيبا كانوا على الاعداء وكذلك قوله ، عرفت المنزل الخالي

عفاه كل حنان ، عسوف الوبل هطال ، فصل عفاه كل حنان للاستيناف لانه حين

قال عفا من بعد احوال كان مظنة ان يقال ما ذا عفاه وكذلك قوله ، وما عفت الرياح له محلا

عفاه من حدا بهم وساقا ، حسن ذلك في محل معنوما عفته الرياح كان موضع سوال

وهو فما ذا عفاه اذن وكذلك قوله ، وقد غرضت من الدنيا فهل زمني

معط حياتي لغر بعد ما غرضا ، جربت دهري واهليه فما تركت

في التجارب وذا امر غرضنا لم يصل جرّبت بالعطف على عرضت بناء على

سوال ينساق اليه معنى البيت الاول وهو لم تقول هذا وبحل وما الذي اقتضاك

ان تطوي عن الحبوة لهذه الغاية كسحل وكذلك قوله تع اولئك على هدى من ربهم جاء

مفصولا عما قبله بطريق الاستيناف كانه قيل ما للمتقين الجامعين بين الايمان بالغيب

في ضمن اقامة الصلوة والانفاق مما رزقهم الله وبين الايمان بالكتب المنزلة في ضمن الايقان

بالاخرة اختصوا بهدى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره مقولا في حقهم هدى للمتقين الذين

والذين يتنكر هدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ولا مستبدع ان يفوزوا

دون من عداهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ولك ان تقدر تمام الكلام هو المتقين وتقدر

عنك وتستانف الذين يومنون بالغيب الى ساقه الكلام وانه ادخل في البلاغة لكون

الاستيناف على هذا الوجه منطويا على بيان الموجب لاختصاصهم بما اختصوا به على

نحو ما تقول احسنت الى زيد صديقك القديم اهل منك لما فعلت ولك ان تخرج الاية

عما نحن بصدده بان تجعل الموصول الاول من توابع المتقين اما مجرورا بالوصف او منصوبا

بالاختصاص وتجعل الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره مرادا به التعريض بمن لم يومنوا

يومنوا من اهل الكتاب في ستعرف التعريض جاعلا الجملة برأسها من مستتبعات

هدى للمتقين والفصل من هذه الوجوه لاستيناف الذين يومنون بالغيب

لجهات فتاملها وكذلك قوله عز من قائل هل انبئكم على من تنزل الشياطين

تنزل على كل افاك اثيم فصل تنزل على كل افاك ليقع جوابا للسوال الذي يقتضي

من قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهو اي والله نبئنا على اي مخلوق

تنزل ومن الايات الواردة على الاستيناف قوله تع قال فرعون وما رب

العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله

الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت

الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت

من الصادقين فان الفصل في جميع ذلك بناء على السوال الذي يستتبعه

تصور مقام المقاولة من نحو فماذا قال موسى فماذا قال فرعون وكذلك قوله قالوا

وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا

بالحق ام انت من اللاعبين الفصل بنا على ماذا قال ماذا قالوا وكذلك قوله

هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام

قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس

منهم خيفة قالوا لا تخف قد وقع قوله فقالوا سلاما ماذا قال ابرهيم وقت السلام

ووقع قوله فقربه اليهم ماذا قال وقت التقريب ووقع قوله فاوجس منهم خيفة ماذا

قالوا حين راوا منه ذلك وسلوك هذا الاسلوب في القران كثير ومن امثلة البدل قوله

اقول له ارحل لا تقيمن عندنا والا فكن في السر والجهر مسلما فصل لا تقيمن

عن ارحل لقصد البدل لان المقصود من كلامه هذا كمال اظهار الكراهة لاقامته

بسبب خلاف سره العلن وقوله لا تقيمن عندنا اوفى بتاديته هذا المقصود من

قوله ارحل لدلالته عليه بالتضمن مع التجرد عن التاكيد ودلالة هذا عليه بالمطابقة

مع التاكيد وكذلك قوله بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا

وعظاما انا لمبعوثون فصل قالوا ائذا متنا عن قالوا مثل ما قال الاولون لقصد

البدل وذلك ان تحمله على الاستيناف لما في قوله مثل ما قال الاولون من الاجمال

عند الاجمال

75

الاجمال المحرك للسامع ان يسال ماذا قالوه وكذلك قوله امدكم بما تعلمون

امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون الفصل فيه للبدل ويحتمل الاستيناف

وكذلك قوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون لم يعطف اتبعوا

من لا يسالكم للبدل ومن امثلة الايضاح والتبيين قوله تع ومن الناس من يقول

امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون لم يعطف يخادعون على

ما قبله لكونه موضحا او مبينا من حيث انهم حين كانوا يوهمون بالسنتهم انهم امنوا

بالله وباليوم الاخر وما كانوا مؤمنين موهمين بقلوبهم قد كانوا في حكم المخادعين

وقوله تع فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلكم على شجرة الخلد و

ملك لا يبلى لم يعطف قال على وسوس لكونه تفسيرا له وتبيينا ومن امثلة التعزير

والتاكيد قوله تع الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين لم يعطف لا ريب

فيه على ذلك الكتاب حيث كان وزانه في الاية وزان نفسه في قولك جاءني

الخليفة نفسه او وزان بينا في قولك هو الحق بينا بذلك على ذلك انه حين بولغ في

وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصيا من الكمال والوفور في شانه بتلك

متعلق بقوله كان عند السامع

متعلق بقوله وصف

المبالغة حيث جعل المبتدا لفظة ذلك و ادخل على الخبر حرف التعريف بشهادة
الاصول كما سبقت كان عند السامع قبل ان يتامل فيه مظنة ان ينظمه في
سلك ما قد يرمي به على سبيل الجزاف من غير تحقق و ايقان فاتبعه لا ريب فيه نفيا
لذلك و قد اصيب به المحز اتباع نفسه الخليفة ازالة لما عسى ان يتوهم السامع انك في
قولك جاني الخليفة متجوز او ساه و تقرير لكونه حالا مؤكدة ظاهرة و كذلك فصل
هدى للمتقين لمعنى التقرير فيه للذي قبله لان قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مسوق
لوصف التنزيل بكمال كونه هاديا و قوله هدى للمتقين بعد ان كان لا يخفى بوهدة
وان معناه نفسه هداية محضة بالغة درجة لا يكتنه كنهها وانه في التاكيد
والتقرير لمعنى انه كامل في الهداية كما ترى واما بيان ان ما قبله مسوق لما ذكر
فانك من النظم الشاهد له لاحران قصب السبق في شانه وهو ذكر الكتاب
ثم من تعقيبه بما نادى على صدق الشاهد ذلك النداء البليغ وهو لا ريب فيه
وانك لتعلم ان شان الكتب السماوية الهداية لا غير وبحسبها تتفاوت شانها في
درجات الكمال وكذلك قوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا

يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وفصل
قوله لا يؤمنون لما كان مقررا لما افاد قوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم من ترك
اجابتهم الى الايمان وكذلك فصل قوله ختم الله على قلوبهم لما كان معناه لا يؤمنون من
جهة اخرى وهي ان عدم التفاوت بين الانذار وعدم الانذار لما لم يصح الا في
حق من ليس له قلب يخلص اليه حق وسمع يدرك به حجة وبصر يثبت به عبرة
وقع قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة مقررا كما ترى
وكذلك قوله انا معكم انما نحن مستهزؤن لما كان المراد بانا معكم هو انا معكم قلوبا و
كان معناه انا لو هم اصحاب محمد للايمان وقع قوله انما نحن مستهزؤن مقررا
ففصل وذلك ان تحمله على الاستيناف لانصباب انا معكم وهو قول المنافقين
لشياطينهم الى ان يقول لهم شياطينهم فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اصحاب
محمد وكذلك قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فصل ان هذا لكونه مؤكدا في
نفي البشرية وذلك ان يقول الذي علمه لعرف مني قبل في حق انسان ما هذا
بشرا ما هو بادي في حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق

والخلق هو ان يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا الا ملك تأكيدا للملكية

نفصل وكذلك قوله كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا الثاني مقرر للاول

من امثلة الانقطاع للاختلاف خبرا وطلبا قوله، وقال رائدهم ارسوا نزاولها

فكل حتف امرئ بمقدار، فصل قوله نزاولها من قوله ارسوا لانها خبر وارسوا امر

فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا وقوله، ملكته حبلي ولكنه

القاه من زهد على غارب، وقال لنى في الهوى كاذب، انتقم الله من الكاذب

فصل قوله انتقم عن قوله لي في الهوى كاذب لاختلافهما خبرا وطلبا لان انتقم

دعاء فصار طلبا لانه اراد الدعاء بقوله انتقم وكذلك قولهم مات فلان رحمه الله

كذلك قولهم لا تدن من الاسد ياكلك وهل تصلح لي كذا ادفع اليك الاجرة بالرفع فيهما

وغير ذلك مما ينخرط ومن امثلته لغير الاختلاف ما اذكره يكون في حديث

يقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما انت فيه بوجه او بينهما

جامع غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك لما ذكره داع فتورده في

الذكر مفصولا مثاله ان قل كنت في حديث ما مثل كان معي فلان فقرأ ثم خطر

ببالك ان صاحب احد يشكل جوهري ولكن جوهرة لم تعرف قيمتها فتعقب

كلامك انك تقول لي جوهرة لم اعرف قيمتها هل اريكها فتفصل ومثال الثاني

وجدت اهل مجلسك في ذكر خواتم لهم يقول واحد منهم خاتمي كذا نصفه بحسن

صياغة وملاحة نقش ونفاسة فص وجودة تركيب وارتفاع قيمة ويقول

الاخر وان خاتمي هذا سيئ الصياغة كريه النقش فاسد التركيب ردي في

غاية الرداءة ويقول اخر وان خاتمي بديع الشكل خفيف الوزن ثمين الفص

لطيف النقش الا انه واسع لم يمسكه اصبعي وانت كما قلت ان خاتمي ضيق

تذكرت ضيق خفك وعناءك منه فلا تقول وخفي ضيق لتوقفا مكع عن

الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الخف فتختار القطع قائلا خفي ضيق قولوا ماذا اعمل

او يكون في حديث قديم ويعمل حديث اخر بعيد التعلق به تريد ان تذكره

فتورده في الذكر مفصولا مثل ما تقول كتاب سيبويه والله كتاب لا نظير له

في فنه ولا غنى لمن يرى في انواع العلوم عنه لا سيما في الاسلامية وان فيها اساس

واي اساس الا الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما اساس العلوم

نفصل ان الذين رضوا بالجهل عما قبله لكون ما قبله حديثا من كتاب
سيبويه وانه حقيق بان يختم وكون ما عقبته به حديثا من الجهال في سوء
ما اثر لهم جهلهم وقوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم من هذا القبيل قطع ان الذين كفروا عما قبله لكون ما قبله
حديثا من القرآن وان من شانه كيت وكيت وكون ان الذين كفروا
حديثا من الكفار ومن تصميمهم في كفرهم والفصل لازم للانقطاع لان الواو
كما عرفت معناه الجمع فالعطف بالواو في مثله يبرز في معرض التوخي للجمع
بين الضب والنون ولذلك متى قال قائل زيد منطلق ودرجات الحمل
ثلثون وكم الخليفة في غاية الطول وما احوجني الى الاستفراغ واهل الروم
نصارى وفي عين الذباب جحوظ وكان جالينوس ماهرا في الطب و
ختم القرآن في التراويح سنة وان القرد لشبيه بالآدمي فعطف اخرج من زمرة
العقلاء وسجل عليه بكمال السخافة او عد مسخرة من المساخر واستطرف نسقه
هذا الى غاية ربما استودع دفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان بخلافه اذا

اذا ترك العطف ورمى بالجمل رمي الحصى والجوز من غير طلب ائتلاف بينها فالخطب
اذن يهون هونا ما ومن هنا عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان النوى
صبر وان ابا الحسين كريم حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم ابي
الحسين ومن امثلة التوسط ما تلوت من قوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
وغير ذلك واعلم ان الوصل من محسناته ان تكون الجملتان متناسبتين
ككونهما اسميتين او فعليتين او ما شاكل ذلك فاذا كان المراد من الاخبار
مجرد نسبة الخبر الى المخبر عنه من غير التعرض لقيد زائد كالتجدد والثبوت
وغير ذلك لزم ان تراعي ذلك فتقول قام زيد وقعد عمرو او زيد قائم وعمرو قاعد
وكذا زيد قام وعمرو قعد وان لا تقول قام زيد وعمرو قاعد وكذا قام زيد وعمرو قعد
وزيد لقيته وعمرو مررت به وزيدا اكرمت اياه وعمرو ضربت غلامه كما سبق في
علم النحو امثال ذلك اما اذا اريد التجدد في احديهما والثبوت في الاخرى كما اذا
كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وجب ان تقول قام زيد وعمرو قاعد بعد

وعليه قوله تع سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون المعنى سواء عليكم احدثتم

الدعوة لهم ام استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لانهم كانوا اذا حزبهم امر

دعوا الله دون اصنامهم كقوله تع واذا مس الناس ضر الآية فكانت

حالهم المستمرة ان يكونوا عن دعوتهم صامتين وكذلك قوله

تع اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين المعنى اذا احدثت واحدثت

عندنا تعاطى الحق فيما نسمعه منك ام اللعب اى احوال الصبى بعد

على استمرارها عليك استبعادًا منهم ان يكون عبادة الاصنام

من الضلال وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حيث استدرجهم

الى ان قلدوا الآباء في عبادة تماثيل وتعفير جباههم لها اعتقادًا

منهم في ذلك انهم على شئ اللهم انا نعوذ بك من كيد الشيطان

اذ قد لخصنا الكلام في الفصل والوصل بهذا الحد فبالحرى ان

يلحق به الكلام في الحال التى تكون جملةً لمجيئها تارةً مع الواو واخرى

لا معها فنقول وبالله التوفيق الكلام في ذلك يستدعى تمهيد قاعدة

قاعدة وهى ان الحال نوعان حال بالاطلاق وحال تسمى مؤكدة و

لكل واحد من النوعين اصل في الكلام ولهما معا نهج في الاستعمال

واحد فاصل النوع الثانى هو ان وصفا ثابتا نحو هو الحق بينا

وزيد ابوك شفيقا وذلك حاتم سخيا جوادا وهذا خالد بطلا شجاعا

وفي التنزيل انا انزلناه قرآنا عربيا واصل النوع الاول هو ان يكون

وصفا غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء

زيد راكبا وسلم على قاعدا وضربت اللص مكتوفا وقتلته مقيدا ويمتنع

ان تقول جاء زيد طويلا او قصيرا او اسود او ابيض اللهم الا بتاويل

كما تسمع ائمة النحو يتلون عليك جميع ما ذكرت ونهجهما في الاستعمال

ان يأتيا عاريين عن حرف النفى كما يقال هو الحق بينا دون لا خفيا

وجاء زيد راكبا ماشيا او ما شيا دون لا راكبا وحق النوعين ان لا يدخلهما

الواو ونظر الملا اعرابهما الذى ليس بتبع لان هذه الواو وان كنا نسميها

واو الحال اصلها العطف ونظر الملا ان حكم الحال مع ذى الحال ابدا

من الاولى مثله في نحو قام زيد وقعد عمرو واذا انعقد هذا فنقول الضابط
فيما نحن بصدده هو ان الجملة متى كانت واردة على اصل الحال وذلك ان تكون
فعلية لا اسمية لان الاسمية لا تعلو دالة على الثبوت وعلى نفيها ايضا بان تكون مثبتة
فالوجه ترك الواو جريا على موجب الحال نحو جاءني زيد يسرع او يتكلم او بعقد قرسه
ولذلك لم تكد تسمع نحو جاءني ويسرع ومتى لم تكن واردة على اصل الحال وذلك ان
تكون اسمية في الحال غير المؤكدة فالوجه الواو نحو جاءني زيد وعمرو امامه ولاتت زيدا
وهو قاعد على ما جاء بخلاف هذا الا صور معدودة الحقت بالنوادر وهو كلمته فوه الى في ورجع
عوده على بدئه وبت الاصلاح نصف النهار الماء غامره وما انشد الشيخ ابو علي في الاغفال
ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق ومتى كانت واردة على
اصل الحال لكن لا على نفيها فالوجه جواز الامرين معا نحو قولك جعلت امشي ما ادري
اضع رجلي وجعلت امشي ما ادري اين اضع رجلي وقوله مضوا لا يريدون الرواح وغالهم
من الدهر اسباب جرين على قدر وقوله لو ان قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا احجب
وقوله اكسبته الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب وقوله افادوا بني دمي وتوعدوني

قوله بسط العذر قيل انما يتمشى لو لم يكن فيه مانع وقد ذكر ان كل واحد من النوعين ليس محلا للعطف
والفصل لو كان المرجح في دخولها لما ذكر من انها غير متحدة ولا منقطعة لم يكن لدخولها وجه في قولك اضرب
زيدا والشمس طالعة والحاصل انه قد تقع الواو في مواقع سعد العطف فيها على ان ما ذكر مشترك الا ترى
ان ترك الاصل في الجملة الواقعة صفة كذا اللهم الا ان يدعي ان الصفة اشد اتحادا او انسلاكا والصواب ما ذكر
لدخول الواو حيث لم ينحرف عن الاصل والنفي لوجود العلة ثمة تلك الوجه ان يقال ان الواو للاشعار بالحالية لانه
اذا انحرفت عن الاصل والنفي كانت منقطعة انها ليست حالا فاحتيج لما يشعر بذلك واذا انحرفت عن النفي
دون الاصل جاز دخول الواو نظرا الى انحرافها عن النفي وان كان تركها ارجح لبقائها على الاصل وكذلك اذا
انحرفت عن الاصل دون النفي

نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك اذا اثبت فهو في قولك هو الحق تبينا
بني الحق بين وجاء غير في قولك جاء زيد راكبا بقي زيد راكب وضربت في قولك
ضربت اللص مكتوفا بقي اللص مكتوف وكذا الباب فتجد الحال وذا الحال
خبرا ومخبرا عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو على ما سبق تقرير
هذا الباب والتحقيق فيه هو ان الاعراب لا ينتظم الكلمات كقولك
ضرب زيد اللص مكتوفا الا بعد ان يكون هناك تعلق ينتظم معانيها
فاذا وجدت الاعراب في موضع قد تناول شيئا بدون الواو كان ذلك دليلا
تعلق هناك معنوي فذلك التعلق يكون مغنيا عن تكلف معلق آخر واذا عرفت
هذا ظهر لك ان الاصل في الجملة اذا وقعت موقع الحال ان لا يدخلها الواو ولكن النظر
اليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى لاتحادها اذا
كانت مؤكدة مثلها في قولك هو الحق لا شبهة فيه وفي قوله عز قائلا الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينها كالتي في نحو جاء زيد يقاد الجنائب
بين يديه ولقيت عمرا وسيفه على كتفه يبسط العذر في ان يدخلها واو الجمع بينها وبين

ثم ان ترك الواو ارجح والفعل الماضي منفيا ومثبتا لوروده على نهج الحال لا محالة اما

منفيا فلحرف النفي واما مثبتا فلحرف قد ظاهرا او مقدرا لتقريبه زمانه حتى يصلح للحال منتظم

في سلك المضارع المنفي لكن ان تقول اخذت اجتهد ما كان يعنيني احد وان تقول خرجت

وما كان يعنيني احد وكذا اتاني قد جهده السير بدون الواو وقد جهده السير بالواو الا ان ترك

الواو في النفي وفي الاثبات ارجح واما الظرف فحيث احتمل ان يكون جملة فعلية وان

بحسب التقدير في تردد لذلك بين ان يكون واردا على اصل الحال وغيره وارد جاء الامير فيه يقال

رايته على كتفه سيف بدون الواو نادرة ورايته وعلى كتفه سيف بالواو اخر هذا امر عرف

تقدم للحال اذا اريد انقاعها عن النكرة تنبيها بجواز انقاعها عن النكرة مع الواو في مثل جاءني

رجل وعلى كتفه سيف ولم يذكر جوازه في قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم على

ما قدمت في تنبيه لوجوب الواو في جاءني رجل وعلى كتفه سيف عند ارادة الحال ووجوب تركه فيه عند

الوصف لامتناع عطف الصفة على موصوفها البتة فتامل واما ليس فلما قام مع خبره

مقام الفعل المنفي جاء كثيرا اتاني وليس معه غيره واتاني ليس معه غيره قال اذا جرى في

كفه الرشا رخى القليب ليس فيه ماء ثم ان ذكر الواو ارجح ووقوعه في الكلام دون واما

واما الحالة المقتضية لطي الجمل عن الكلام ايجازا ولاطنابها اطنابا فان

احاط علما بما قد سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام ههنا فلنقتصر

على بيان معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدة امثلة في الجانبين

اما الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك

التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الاوساط على

مجرى متعارفهم في التادية للمعاني فيما بينهم ولا بد من الاعتراف

بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط وانه في باب البلاغة

لا يحمد منهم ولا يذم فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام باقل

من عبارات متعارف الاوساط والاطناب هو اداؤه باكثر من

عباراته سواء كانت القلة او الكثرة راجعة الى الجمل او الى غير

الجمل هذا وقد تليت عليك فيما سبق طرف الاختصار والتطويل

فلئن فهمتها لتعرفن الوجازة متفاوتة بين تجير وحزبرانت لا تكاد

نحصر والاطناب كذلك وعرفت من ذلك معنى قول القائل في

وصف البلغاء يرمون بالخطب الطوال وتارة بوحي الملاحظ
خيفة الرقباء وذكرت لك ايضا الاختصار والتطويل مقامات
قد ارشدتك بها الى مناسباتها فاما دفعا من ذلك بوقعه
جملة ذم وسمى الايجاز اذا كان عيا وتقصيرا والاطناب اكثارا
وتطويلا والعلة في المجاز قوله على شكليه ولكم في القصاص
حيوة واصابته المحز بفضله على ما كان عندهم اوجز كلام
في هذا المعنى وذلك قولهم القتل انفى للقتل ومن الايجاز قوله هدى
للمتقين ذهابا الى ان المعنى هدى للضالين الصائرين الى التقوى
بعد الضلال لما ان الهدى اى الهداية انما يكون للضال لا
للمهتدى ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه وهو وصف
الشيء بما يؤول اليه والتوصل به الى تصدير اولى الزهراوين بذكر
اولياء الله ... وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اطنب
من ان يخفى حاله في الوجازة نظرا الى ما ناب عنه وكذا قوله ولا

ينبئك مثل خبير وانظر الى الفاء التي تسمى فاء فصيحة في مثل قوله
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب
عليكم كيف افادت فامتثلتم فتاب عليكم وفي قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفجرت مفيدة فضرب فانفجرت وتامل قوله تعالى فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اليس يفيد فضربوه فحيي فقلنا كذلك
يحيي الله الموتى وقد قدر صاحب الكشاف اصل قوله ولقد آتينا داود
وسليمان علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا
الحمد لله ويحتمل عندي انه اخبر تعالى عما صنع بهما واخبر عما قالا كانه
قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتيب
الحمد على ايتاء العلم الى فهم السامع مثله في قم يدعوك بدل قم فانه يدعوك
وانه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن امثلة الاختصار قوله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا بطي ابيح لكم الغنائم لدلالة فاء التسبيب في فكلوا وقوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بطي ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم تعقيبا على الافتخار

لدلالة العاطفة فلم وكذا قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون

اذ المعنى اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وكذا قوله تعالى فالله

هو الولي تقديره ان ارادوا اولياء بالحق فالله هو الولي بالحق

وقيل سواه وكذا قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة

فاياي فاعبدون اصله فان لم يتاتى ان تخلصوا العبادة لي في

ارض فاياي في غيرها اعبدوا فاعبدون فالخلصوها في غيرها فحذف

الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة الاختصاص بالتقديم

وقوله تعالى كلا فاذهبا باياتنا اي ارتدع عن خوف قتلهم فاذهبا اي

فاذهب انت واخوك بدلالة كلا على المطوي وقوله تعالى اذ يلقون

اقلامهم ايهم يكفل مريم اصله اذ يلقون اقلامهم ينظرون ليعلموا ايهم

يكفل مريم لدلالة ايهم على ذلك بواسطة علم النحو وقوله تعالى ليحق

الحق ويبطل الباطل المراد ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل

وكذا قوله ولنجعله اية اصل الكلام ولنجعله اية فعلنا ما فعلناه و

83

وكذا قوله تعالى ليدخل الله في رحمته اي لاجل الادخال في الرحمة

كان الكف والمنع من التعذيب وقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات

والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان

انه كان ظلوما جهولا اذ الم يعتبر لحمل منع الامانة والغدر وارد التفسير

الثاني وهو تحمل التكليف كان اصل الكلام وحملها الانسان ثم

خاس به منبها عليه بقوله انه كان ظلوما جهولا الذي هو توبيخ الانسان

على ما عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله تعالى افمن زين له سوء

عمله فراه حسنا تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذفت لدلالة

فلا تذهب نفسك عليهم حسرات او تتمته كمن هداه الله فحذفت لدلالة

فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي

باللتيا والتي وهي المحنة والشدائد بلغت من شدتها وفظاعة

شانها مبلغا يبهت الواصف معها حتى لا يخبر ببنت شفة ومن

الايجاز قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم تعالى متعلق

نفيا للملزوم وهو المنبأ به بنفي لازمه وهو وجوب كونه معلوما للعالم الذات
ولو كان له ثبوت بأي اعتبار كان وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن يقبل توبتهم اصله لن يتوبوا فلن يكون قبول
توبتهم فاوثر المجاز ذهابا الى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم وهو قبول
التوبة الواجب في حكمته تعالى وتقدس وقوله ما اشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا اي شركاء لا ثبوت لها اصلا ولا انزل الله باشراكها
حجة اي تلك وانزال الحجة كلاهما منتف على اسلوب قوله
على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء به وقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل و
الفرع وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اذ المراد
لا ذاك ولا علمك به اي كلاهما غير ثابت وكذا ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع اي لا شفاعة ولا طاعة ومن المجاز قوله تعالى واخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اصل الكلام خلطوا عملا

صالحا بسيئ واخر سيئا بصالح لان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به
اي تارة اطاعوا واحبطوا الطاعة بكبيرة واخرى عصوا وتداركوا
المعصية بالتوبة وقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
اصله قل لهم قولي لك ان تنتهوا يغفر لكم وكذا قوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون فيمن قرأ بياء الغيبة ومن امثلة الاطناب قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار و
الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون
ترك ايجازه وهو ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لآيات
للعقلاء لكونه كلاما لا مع الانس فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن
دون قرن بل مع القرون كلهم قرنا فقرنا الى انقراض الدنيا وان
فيهم لمن تعرف وتقدر من مرتكبي التقصير في باب النظر والعلم بالصانع

من طوائف الغواة فقل اى مقام للكلام ادعى لترك الجانب الى
الاطناب من هذا وقوله تع قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وما اوتى موسى و
عيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اوثر الاطناب
فيه على الايجاز وهو قوله آمنا بالله وبجميع كتبه لما كان يتشعب من
اهل الكتاب وفيهم من لا يؤمن بالتورية وبالقرآن وهم النصارى
القائلون ليست اليهود على شىء وفيهم من لا يؤمن بالانجيل وهم
اليهود وكل منهم مدعى للايمان بجميع ما انزل الله تعالى على اهل الكتاب
وليتبجح المؤمنون بما نالوا من كرامة الاهتداء ووقع الايجاز عن
طباق المقام بمراحل وقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لم يؤثر الايجاز وهو
واتقوا يوما لا خلاص عن العقاب فيه لكل من جاء مذنبا اذا كان

كلاما مع الامة لتقتص صورة ذلك اليوم فى ضمائرهم وفى الامة الجاهل

والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد والمعاند والفهم
والبليد لئلا يختص المطلوب منهم ببعض احد دون احد وان
لا يكون بحيث ينبا عنه سامع دون سامع او يخلص الى ضمير بعض دون بعض
وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون
به لو اريد اختصاره لما انحط فى السلك ويؤمنون به اذ ليس احد
من مصدقى حملة العرش يرتاب فى ايمانهم ووجه حسن ذكره
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه وقوله اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لو اوثر اختصاره فقوله والله
يعلم انك لرسوله فضل فى البين من حيث ان مساق الاية لتكذيب
المنافقين فى دعوى الاخلاص فى الشهادة للتزكية ولكن ايهام
رد التكذيب الى نفس الشهادة لو لم يكن هذا الفضل لنفى الاختصار
او ما حكيه عن موسى عصاى اتوكؤ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها

مآرب اخرى جوابا عن قوله وما تلك بيمينك وكذا ما حكيه نعبد

اصناما فنظل لها عاكفين في الجواب عن قول ابرهيم ما تعبدون

من باب الاطناب اذ لو اريد الايجاز لكفى عصاي واصناما وقد

سبق وجه حسن الاطناب فيهما ومما يعد من الاطناب في موضعه

قول الخضر لموسى عليهما السلام في الكرة الثانية الم اقل لك

بزيادة لك لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان قدم له من انك لن

تستطيع معي صبرا وكذا قول موسى رب اشرح لي صدري بزيادة

لي لاكتساء الكلام معها من تاكيد الطلب لانشراح الصدر

ما لا يكون بدونه الا تراك اذا قلت اشرح لي افاد ان شيئا ما عندك

تطلب شرحه فكنت مجملا فاذا قلت صدري عاد مفصلا

وان كان الطلب في وقت الارسال الذي هو مقام مزيد احتياج

الى انشراح الصدر لما يوجد به الرسالة من تلقي المكاره وضروب

الشدائد وقوله تع الم نشرح لك صدرك وارد على هذا لتوخي مزيد

86

مزيد التقرير وقول البلغاء في الجواب مثل لا واصلحك الله بزيادة

الواو خلافا لما عليه كلام الاوساط من الاطناب في موقع ولك

ان تعد باب نعم وبئس موضوعا على الاطناب اذ لو اريد الاختصار

لكفى نعم زيد وبئس عمرو وان تجعل الحكمة في ذلك توخي تقرير المدح

او الذم لاقتضائهما مزيد التقرير لكونهما للمدح العام وللذم العام

الشايعين في كل خصلة محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما وهو ان

يشيع كون المحمود محمودا في خصال الحمد وكون المذموم مذموما

في خلافها وتجعل وجه التقرير الجمع بين طرفي الاجمال والتفصيل

الا تراك اذا قلت نعم الرجل مريدا للام الجنس دون العهد كيف

توجه المدح الى زيد اولا على سبيل الاجمال لكونه من افراد ذلك الجنس

او اذا قلت نعم رجلا فاضمرته من غير ذكر له سابق وفسرته باسم

جنسه ثم اذا قلت زيد كيف توجهه اليه ثانيا على سبيل التفصيل

وان هذا الباب متضمن للطايف فيه من الاطناب الواقع في موقعه

ماترى وفيه تقرير السؤال وبناء المخصوص عليه يقدّر بعد نعم الرجل
او نعم رجلا من هو وبنى عليه زيد اى هو زيد وقد عرفت فيما سبق
لطف هذا المعنى وفيه اختصار من جهة وهو ترك المبتدا في الجواب
ولا يخفى حسن موقعه ولو لم يكن فيه شيء سوى انه يبرز الكلام في
معرض الاعتدال نظرا الى اطنابه من وجه والى اختصاره من
اخر وايهامه الجمع بين المتنافيين الذى تفرع سمعك على امثال ذلك
لكفى وقد اطلعناك على كيفية التعرض لجهات الحسن ففتش فيها
تسمع بالجهات وكنت المرجوع اليه في اختيار المختار من اقوال النحويين
في الباب كقول من يرى المخصوص مبتدا والفعل مع الذى يليه خبرا
مقدما وقول من يرى المخصوص خبر المبتدا المحذوف على ما اراه وقول
من لا يرى اللام في الفاعل الا للجنس مع قول من لا يأبى كونه للتعريف
العهدى واعلم ان باب التمييز كله سواء كان عن مفرد او جملة باب نزل
عن اصله لنوعى الاجمال والتفصيل الا تراك تجد الامثلة الواردة من

من نحو عندى منوان سمنا وعشرون درهما وملء الاناء عسلا
وطاب زيد نفسا وطار عمرو فرحا وامتلأ الاناء ماء منادية
على ان الاصل عندى سمن منوان ودراهم عشرون وعسل ملء
الاناء وطاب نفس زيد وطار الفرح عمرا وملأ الماء الاناء ولمصادفة
الاجمال والتفصيل الموقع فيما يحكيه عز وجل عن زكريا عليه السلام
من قوله واشتعل الراس شيبا مقام المبالغة وحين التلقي
لتوابع انقراض الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن وفي مثله الكلمة
وفيما قبلها من رب انى وهن العظم منى لطايف واية كلية في القران
فضلا عن جملة فضلا عما يتجاوز لا تخفى على لطايف ولا مرما
تلى على من كانوا النهاية في فصاحة البشر وبلاغة اهل الوبر منهم
والمدر وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
فما اجاروا ببنت شفة ولا اصدروا اهنالك عن موصوف ولا صفه
على انهم كانوا الحراص على التسابق في رهان المفاخر و[illegible]

على ركوب الشطط في امتهان المفاخر تاذنهم العصبية ان لا يرد
غضب مفاخرهم كهاماً او ان لا تقتضيت ممطراة جهاماً والكلام في
تلك اللطايف مفتوح بلا اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته الاولى ثم
النظر في التفاوت بين ذلك وما عليه نظم القران ففي كم درجة يتصل
احد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة ان اصل معنى الكلام ومرتبته
الاولى يا ربي قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن
وشيب الراس المتعرض لهما ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير
بل لتفصيلها في ضعف بدني وشاب راسي ثم تركت هذه المرتبة
الثانية لاشتمالها على التصريح الى ثالثة ابلغ وهي الكناية في وهنت
عظام بدني لما ستعرف ان الكناية ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة
ابلغ في التقرير بنيت الكناية على المبتدا فحصل انا وهنت عظام بدني
ثم لقصد مرتبة خامسة ابلغ ادخلت ان على المبتدا فحصل اني وهنت
عظام بدني ثم لقصد خامسة لطلب تقرير ان الواهن هي عظام بدنه

بدنه قصدت مرتبة سادسة وهي سلوك طريقي الاجمال والتفصيل
فحصل اني وهنت العظام من بدني والذي سبق في تقرير معنى الاجمال
والتفصيل في باب شرح لي صدري ننبه عليه ههنا ثم لطلب مزيد
اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة وهي ترك توسيط
البدن فحصل اني وهنت العظام مني ثم لطلب شمول الوهن العظام
فرداً فرداً قصدت مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظام الى الافراد
لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد فحصل ما
ترى وهو الذي في الاية اني وهن العظم مني وهكذا تركت الحقيقة
في شاب راسي الى ابلغ وهي الاستعارة فسيأتيك ان الاستعارة
ابلغ من الحقيقة فحصل اشتعل شيب راسي ثم تركت الى ابلغ و
هي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات احدها اسناد الاشتعال
الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب
راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي

نادرا والفرق بتر وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق وثالثها

تكرير شيئا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل راسي شيبا لتوخي مزيد

التقرير بلى اشتعل الراس مني شيبا على وهن العظم مني ثم ترك لفظ

مني لقرينة عطف واشتعل الراس على وهن العظم لمزيد التقرير وهو

ايهام حواله تادية مفهومه على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي

فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول في القلوب هو ان مقدمة

هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة

النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات

على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة في الكلام كما لا يخفى على من له

قدم في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء فكما ان البناء الحاذق

لا يرمي الاساس الا بقدر ما يقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع مبدا

كلامه فمتى رايته اختصر المبدا فقد اذن باختصار ما يورد ثم ان الاختصار

لكونه من الامور الاضافية يرجع في بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون

كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذي نحن بصدده من

القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب

وهل معنى احق بان يبنى القائل فيه افاويق المجهود ويستغرق

في الانباء عنه كل حد معهود من انقراض ايام ما اصدق من يقول

فيها وقد تعوضت من كل مشبهه فما وجدت لايام الصبى عوضا

ومن المام المشيب المعيب المر الطلوع الامر المغيب تعيب الغانيات

علي شيبي ومن هذا ان امتع بالمعيب اللهم زدنا اطلاعا على

لطائف فوائد كلامك الكريم وغوصا على لآلي فرقانك العظيم ووفقنا لابتغاء

مرضاتك في طلوع المشيب المر واختم بالخير في مغيبه الامر فانه

لا يكون الا ما شاء بيدك الامر كله ولكن هذا آخر الكلام في الفن

الرابع ولنشتغل بالفصل الموعود وهو الكلام في معنى القصر المقصود

فصل اعلم ان القصر كما يجري بين المبتدا والخبر فيقصر

المبتدا على الخبر تارة والخبر على المبتدا اخرى يجري بين الفعل والفاعل

وبين الفاعل والمفعول وبين المفعولين وبين الحال وذي الحال وبين

كل طرفين وانك اذا اعتقدته في موضع ملكت الحكم في العاني وتكفيك

مجرد التنبيه هناك وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف

عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقد

شاعرا ومنجما او قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على احد الوصفين

من غير ترجيح ويسمى هذا قصر افراد بمعنى انه يزيل شركة الثاني او بوصف

مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا ما زيد منجم بل شاعر او زيد

شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب بمعنى ان المتكلم يقلب فيه حكم السامع

او الى تخصيص الوصف بموصوف قصر افراد كقولك ما شاعر الا زيد لمن

يعتقد زيدا شاعرا لكن يدعي شاعرا آخر او قولك ما قائم الا زيد لمن يعتقد

قائمين او اكثر في جهة من الجهات معينة او قصر قلب كقولك ما شاعر

الا زيد لمن يعتقد ان شاعرا في قبيلة معينة او طرف معين لكنه

يقول ما زيد هناك بشاعر وللقصر طرق اربعة احدها طريق العطف

العطف كما تقول في قصر الموصوف على الصفة افرادا او قلبا بحسب

مقام السامع زيد شاعر لا منجم او ما زيد منجم بل شاعر وفي قصر الصفة

على الموصوف بالاعتبارين ما عمرو شاعر بل زيد او زيد شاعر لا

عمرو او لا غير تقديره لا غير زيد الا انك تترك الاضافة لدلالة

الحال ويبنى غير بالضم على نحو بناء الغايات وليس غير او ليس الا

بتقدير ليس شاعر غير المذكور او الا المذكور فتجعل النفي عاما

ليتناول كل شاعر يعتقد ممن عدا زيدا والفرق بين قصر الموصوف

على الصفة وقصر الصفة على الموصوف واضح فان الموصوف في

الاول لا يمتنع ان يشاركه غيره في الوصف ويمتنع في الثاني وان

الوصف في الثاني يمتنع ان يكون لغير الموصوف ولا يمتنع في الاول

وثانيها النفي والاستثناء كما تقول في قصر الموصوف على الصفة

افرادا او قلبا ليس زيد الا شاعرا او ما زيد الا شاعرا وان زيد الا شاعر

او ما زيد الا قائم او ما زيد الا يقوم ومنه الوارد في التنزيل على قصر

الافراد قوله تعالى وما محمد الا رسول فمعناه محمد مقصور على الرسالة
لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم ان
لا تبقى لهم منزلة المبعدين لهلاكه وهو من اخراج الكلام لا على
مقتضى الظاهر وقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي فمعناه حسابهم
مقصور على الاتصاف بعلى ربي لا يتجاوزه الى ان يتصف بعلي وقوله
وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير فمعناه انا مقصور على النذارة
لا اتخطاها الى طرد المؤمنين وقوله تعالى وما انزل الرحمن من شيء
ان انتم الا تكذبون فالمراد لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق
وبين الكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى بل انتم عندنا
مقصورون على الكذب لا تتجاوزونه الى الحق كما تدعونه وما معكم من
الرحمن منزل في شان رسالتكم ومن الوارد على قصر القلب قوله تعالى
حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي
وربكم لانه قاله في مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى لم تقل للناس ما

ما امرتك له اني امرتك ان تدعوا الناس الى ان يعبدوا الله ثم انك
دعوتهم الى ان يعبدوا من هو دوني الا ترى الى ما قبله واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وفي قصر الصفة على الموصوف افرادا ما شاعر الا زيد او ما جاء
الا زيد لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو او المجيء لهما او قلبا ما شاعر الا زيد
ما جاء الا زيد لمن يرى ان زيدا ليس شاعرا وان زيدا ليس بجاء
وتحقيق وجه القصر في الاول هو انك بعد علمك ان انفس الذوات
يمتنع نفيها وانما تنفي صفاتها وتحقيق ذلك يطلب من علوم اخر
متى قلت ما زيد توجه النفي الى الوصف وحين لا نزاع في طوله
ولا قصره ولا سواده ولا بياضه وما شاكل ذلك واما النزاع في
كونه شاعرا او منجما تناولهما النفي فاذا قلت الا شاعر جاء القصر
وتحقيق وجه القصر في الثاني هو انك متى ادخلت النفي على
الوصف المسلم ثبوته وهو وصف الشعر وقلت ما شاعر او ما من شاعر

او لا شاعر توجه بحكم العقل لك ثبوته لمدعي له ان عاما كقولك في الدنيا شعراء او في قبيلة كذا شعراء وان خاصا كقولك زيد وعمرو شاعران فتتناول النفي ثبوته لذلك ففي قلت الا زيد افاد القصر و

لكنها استعمال انما كما تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر افرادا انما زيد يجيء لمن يردده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لاحدهما او قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب لا جاء وفي تخصيص الصفة بالموصوف افرادا انما يجيء زيد لمن يردد المجيء بين زيد وعمرو او يراه منهما وقلبا لمن يقول لا يجيء زيد وتضيف اليه الذهاب

والسبب في افادة انما معنى القصر هو تضمينه معنى ما والا ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم الا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم بسبب ان ما في قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعا اسما لان ويكون المعنى ان المحرم عليكم

عليكم الميتة والدم وقد سبق ان قولنا المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد وترى ائمة النحو يقولون انما تاتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ويذكرون لذلك وجها لطيفا يسند الى علي بن عيسى الربعي وانه كان من ائمة النحو ببغداد وهو ان كلمة ان لما كانت لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تاكيدها فناسب ان يضمن معنى القصر لان قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد الا ترى انك متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو زيد جاء لا عمرو كيف يكون قولك زيد جاء اثباتا للمجيء لزيد صريحا وقولك لا عمرو اثباتا ثانيا للمجيء لزيد ضمنا ومما ينبه على انه متضمن معنى ما والا صحة انفصال الضمير معه كقولك انما يضرب انا مثله في ما يضرب الا انا قال الفرزدق * انا الذائد الحامي الذمار وانما * يدافع عن احسابهم انا او مثلي * كما قال غيره

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس الا انا ورابعها التقديم كقولك

في قصر الموصوف على الصفة تميمي انا قصر افراد لمن يرددك بين

قيس وتميم او قصر قلب لمن ينفيك عن تميم ويلحقك بقيس وكذا قائم هو

او قاعد هو بالاعتبارين بحسب المقام وفي قصر الصفة على الموصوف

افرادا انا كفيت مهمك بمعنى وحدي لمن يعتقد انك وزيدا كفيتما

مهمه وقلبا انا كفيت مهمك بمعنى لا غيري لمن يعتقد ان غيرك كفى مهمه وكذا

زيدا ضربت او ما زيدا ضربت بالاعتبارين على ما تفصّل في فصل التقديم

وهذه الطرق تتفق من وجه وهو ان المخاطب معها يلزم ان يكون حاكما

حكما مشوبا بصواب وخطاء وانت تطلب بها تحقيق صوابه ونفي

خطائه فتحقيق في قصر القلب كون الموصوف على احد الوصفين او كون

الوصف لاحد الموصوفين وهو صوابه ونفي تعيين حكمه وهو خطاؤه

وتحقيق في قصر الافراد حكمه في بعض وهو صوابه وتنفيه عن البعض وهو

خطاؤه وتختلف من وجوه فالطرق الاول الثلث دلالتها على التخصيص

التخصيص بواسطة الوضع وحكم العقل ودلالة التقديم

عليه بواسطة الفحوى وحكم الذوق والطريق الاول الاصل

فيه التعرض للمثبت والمنفي بالنص كما ترى في قولك زيد

شاعر لا منجم في قصر الموصوف على الصفة وزيد شاعر لا

عمرو في قصر الصفة على الموصوف ولا يترك النص البتة الا بسبب

نحو تطويل وكون المقام اختصارا كما اذا قال المخاطب

زيد يعلم الاشتقاق والصرف والنحو والعروض وعلم القافية

وعلم المعاني وعلم البيان فتقول زيد يعلم الاشتقاق لا غير

او ليس غير او ليس الا وكما اذا قال زيد يعلم النحو وعمرو وبكر

وخالد وفلان وفلان فتقول زيد يعلم النحو لا غير والطرق

الاخيرة الاصل فيها النص بالمثبت دون المنفي كما ترى في

قولك ما انا الا تميمي وانما انا تميمي وتميمي انا في قصر الموصوف على

الصفة وفي قصر الصفة على الموصوف ما جاء الا زيد وانما جاء زيد

نفسه اختصاص بالموصوف المذكور كقوله عز اسمه انما
يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم انه لا يكون استجابة
الا ممن يسمع ويعقل وقوله انما انت منذر من يخشيها فلا يخفى
على احد ممن له مسكة أنّ الانذار انما يكون انذارا ويكون له تاثيرا
اذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة واهوالها و
يخشى عقابها وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت فمركوز في العقول
أنّ من لم يخش الفوت لم يعجل واذا كان له اختصاص لم يحسن
فيه استعمال لا العاطفة فلا تقل انما يعجل من يخشى الفوت لا من
يأمنه وطريق النفي والاستثناء يسلك مع مخاطب تعتقد فيه انه
مخطئ وتراه يصر كما اذا رفع لك شبح من بعيد لم تقل ما ذاك الا
زيد لصاحبك الا وهو يتوهمه غير زيد ويصر على انكار ان يكون
اياه وما قال الكفار للرسل ان انتم الا بشر مثلنا الا والرسل
عندهم في معرض المنتفي عن البشرية والمنسلخ عنه حكمها نا،

وهو يجيء والطريق الاول لا يجامع الثاني فلا يصح ما زيد الا قائم
لا قاعد ولا ما يقوم الا زيد لا عمرو والسبب في ذلك هو ان لا العاطفة
من شرط منفيها ان لا يكون منفيا قبلها لغيرها من كلمات
النفي نحو جاء زيد لا عمرو ونحو زيد قائم لا قاعد ومتحرك لا ساكن او
موجود لا معدوم وممتنع تحقق شرطها في المنفي الا في قولك
ما يقوم الا زيد لا عمرو وما زيد الا قائم لا قاعد والذي سبق في
تحقيق وجه القصر في النفي والاستثناء يكشف لك الغطاء ويجامع
الطريقين الاخيرين فيقال انما انا تميمي لا قيسي وهو يجيء انا لا قيسي وانما يأتيني
زيد لا عمرو وهو يأتيني لا عمرو ووجه صحة مجامعته لا العاطفة انما
مع امتناع مجامعتها ما والا عين وجه صحة ان تقال امتنع عن المجيء زيد
لا عمرو مع امتناع ان تقال ما جاء زيد لا عمرو وهو كون معنى النفي في
انما وفي قولك امتنع عن المجيء ضمنيا لا صريحا لكن انما جامعت لا العاطفة
انما جامعتها بشرط وهو ان لا يكون الوصف بعد انما مما له في نفسه

علم جهلهم ان الرسول يمتنع ان يكون بشرا او ما سمعهم في موضع آخر

كيف تجد ما يخلو منهم هناك يتنفع بما يتلوث به صماخ من توزعهم

هذا وهو ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا

تكذبون وما اعجب شان المشركين ما رضوا للنبي ان يكون بشرا

ورضوا للاله ان يكون حجرا واما قول الرسل لهم ان نحن الا بشر

مثلكم فمن باب المجاراة وارخاء العنان مع الخصم ليعثر حيث يراد

تبكيته كانه مقبول من كل العقل فما ادعيت انك من شانك كيت

وكيت فانت تقوله نعم انا من شاني كيت وكيت والحق في بدرك

هنالك ولكن كيف يمنح في دعواي حاتك وعلى هذا ما من موضع

يأتيه فيه النفي والاثبات الا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطاء مع اصرار

اما تحقيقا اذا اخرج الكلام على مقتضى الظاهر واما تقديرا اذا اخرج

لا على مقتضى الظاهر كقوله عز قائلا وما انت بمسمع من في القبور

ان انت الا نذير لما كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هداية الخلق

وما كان متمناه شيئا سوى ان يصحوا عن الكفر فيملكوا زمام السعادة

عاجلا وآجلا وفي رآهم لم يؤمنوا تداخله من الوجد والكآبة ما كاد

ينبخع له حتى قيل لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا و

يتساقط حسرات على توليهم واعراضهم عن الحق وما كانت شفقته عليهم

تدعه يلقي حبلهم على غاربهم ليهيموا في اودية الضلال بل كانت

تدعوه الى ان يرجع الى تزيين الايمان لهم عودة على بدئه عسى ان يسمعوا

ويفيئوا اكبابه في ذلك كل صعب في ذلول ابرز ذلك في معرض

من ظن انه يملك غرس الايمان في قلوبهم مع اصرارهم على الكفر

فقيل له لست هناك انما انت الا نذير وقوله عز وعلا قل

لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم

يؤمنون مصبوب في هذا القالب في طريقا يسلك مع مخاطب

في مقام لم يصر على خطائه او وجب عليه ان لا يصر على خطائه لا تقول

انما زيد جي وانما يجي زيد الا والسامع متلق كلامك بالقبول وكذا
لا تقول انما الله اله واحد الا ويجب على السامع ان يتلقاه بالقبول
والاصل في انما ان يستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقه اما لانه في نفس
الامر جلي او لانك تدعيه جليا فمن الاول قوله تع انما انت منذر
من يخشيها وقوله انما يستجيب الذين يسمعون وقولهم انما يعجل
من يخشى الفوت وقولك للرجل الذي ترققه على اخيه وتنبهه
للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحفي انما هو اخوك
ولصاحب الشرك انما الله اله واحد ومن الثاني قول الشاعر
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ادعى
ان كون مصعب كما ذكر جلي وانه عادة للشعراء يدعون الجلاء
في كل ما يمدحون به ممدوحيهم الا ترى الى قوله ويعذلني ابناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذي علمت سعد ولذا قوله لا ادعي لابي العلاء فضيلة
حتى يسلمها اليه عداه ولذا قوله فيا من لديه ان كل امرء له نظير

نظيره وان حاز الفضائل هل له وما حكى عن اليهود في قوله
عز وعلا واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب ان كونهم مصلحين
امر ظاهر مكشوف لا يستره به ولذلك اكد الامر جل وعلا في تكذيبهم
حيث قال الا انهم هم المفسدون فجاء بالجملة اسمية ومعرفة الخبر باللام
وموسطة الفصل ومؤكدة بان ومصدرة بحرف التنبيه واذ قد ذكرنا
القصر فيما بين غيرهما كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذي الحال
والحال وحق يذكره في ذلك بطريق النفي والاستثناء وطريق
انما دون ما سواهما فلهما هناك علة اعتبارات تراعى فلا بد من
تلاوتها عليك اعلم انك اذا اردت قصر الفاعل على المفعول
قلت ما ضرب زيد الا عمرا على معنى لم يضرب غير عمرو واذا اردت
قصر المفعول على الفاعل قلت ما ضرب عمرا الا زيد على معنى لم يضربه غير
زيد والفرق بين المعنيين واضح وهو ان عمرا في الاول لا يمتنع ان يكون

مضروب غير زيد ويسع في الثاني وان زيدا في الثالث لم يسع ان يكون
ضاربا غير عمرو ويسع في الاول وذلك ان تقول في الاول ما ضرب الا عمرا
زيد وفي الثاني ما ضرب الا زيد عمرا فتقدم وتؤخر الا ان هذا التقديم
والتاخير لما استلزم قصر الصفة على الموصوف قل دوره في الاستعمال
لان الصفة المقصورة على عمرو في قولنا ما ضرب زيد الا عمرا هي ضرب زيد
لا الضرب مطلقا والصفة المقصورة على زيد في قولنا ما ضرب عمرا
الا زيد هي الضرب لعمرو واذا اردت قصر احد المفعولين على الاخر في نحو
كسوت زيدا جبة قلت في قصر زيد على الجبة ما كسوت زيدا الا جبة
او ما كسوت الا جبة زيدا وفي قصر الجبة على زيد ما كسوت جبة الا زيدا او
ما كسوت الا زيدا جبة وفي ظننت زيدا منطلقا تقول في قصر زيد على
الانطلاق ما ظننت زيدا الا منطلقا او ما ظننت الا منطلقا زيدا وفي
قصر الانطلاق على زيد ما ظننت منطلقا الا زيدا او ما ظننت الا زيدا
منطلقا واذا اردت قصر ذي الحال على الحال قلت ما جاء زيد الا راكبا

او ما جاء الا زيد راكبا والاصل في جميع ذلك هو ان الا في الكلام الناقص
يستلزم ثلثة اشياء احدها المستثنى منه لكون الا للاخراج واستدعاء
الاخراج مخرجا منه وثانيها العموم في المستثنى منه لعدم المخصص
وامتناع ترجيح احد المتساويين ولذلك ترانا في علم النحو نقول
تانيث الضمير في كانت في قراءة ابي جعفر المدني ان كانت الا صيحة
بالرفع وفي ترى المبني للمفعول في قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى
الا مساكنهم وفي بقيت في بيت ذي الرمة ، وما بقيت الا الضلوع الجراشع ،
للنظر الى ظاهر اللفظ والاصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من
الاشياء وثالثها مناسبة المستثنى منه للمستثنى في جنسه ووصفه
واعني بصفته كونه فاعلا او مفعولا او ذا حال او حالا او ما ترى كيف
يقدر المستثنى منه في ما جاءني الا زيد مناسبا له في الجنس والوصف
الذي ذكرت نحو ما جاءني احد الا زيد وفي ما رايت الا زيدا نحو ما رايت
احدا الا زيدا وفي ما جاء زيد الا راكبا نحو ما جاء زيد كائنا على حال

من الاحوال الا راكبا وهذه المستلزمات توجب جميع تلك الاحكام

بيان ذلك انك اذا قلت ما ضرب زيد الا عمرا لزم ان تقدر قبل المستثنى

منه ليصح الاخراج منه ولزم ان تقدر عاما لعدم المخصص ولزم ان

ان تقدر مناسبا للمستثنى الذي هو عمرو في جنسه ووصفه وحينئذ

يصح ان تكون صورة الكلام الا هكذا ما ضرب زيد احدا الا عمرا واستلزم

هذا الكلام قصر الفاعل على عمرو والمفعول ضرورة وكذا اذا قلت

ما ضرب الا عمرا زيد واذا قلت ما ضرب عمرا الا زيد لزم تقدير مستثنى منه

من جنس المستثنى وبوصف العموم وبوصف المسمى وحينئذ يكون

صورة الكلام هكذا ما ضرب عمرا احد الا زيد ويلزم ضرورة قصر المفعول

على زيد الفاعل واذا قلت ما كسوت زيدا الا جبة فيكون زيد مقصورا

على الجبة لا يتعداها الى ملبس آخر واذا قلت ما كسوت جبة الا

زيدا فيكون الجبة مقصورة على زيد لا تتعداه الى من عداه واذا قلت

ما جاء راكبا الا زيد كان التقدير ما جاء راكبا احد الا زيد واذا قلت

كان التقدير ما كسوت جبة احدا الا زيدا

98

ما جاء زيد الا راكبا كان التقدير ما جاء زيد كائنا على حال من الاحوال

الا راكبا واذا قلت ما اخترت رفيقا الا منكم كان التقدير ما اخترت

رفيقا من جماعة من الجماعات الا منكم واذا قلت ما اخترت منكم

الا رفيقا كان التقدير ما اخترت منكم احدا متصفا باي وصف كان

الا رفيقا وكذا اذا قلت ما اخترت الا رفيقا منكم بدل ان تقول ما اخترت

الا منكم رفيقا لم تعرِ عن فرق وهذا يطلعك على الفرق بين ما قال

الشاعر لو خُيِّر المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا وبين ما

اذا قلت ما اختار الا فارسا منكم واذا عرفت هذا في النفي والاستثناء

فاعرفه بعينه في انما تصنع شيئا غير ما اذكره لك وامض في الحكم

غير مدافع نزّل القيد الاخير من الكلام الواقع بعد انما منزلة المستثنى بالا

فقدّر نحو انما يضرب زيد تقديره ما يضرب الا زيد ونحو انما يضرب زيد عمرا

تقديره ما يضرب زيد الا عمرا ونحو انما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة تقديره ما يضرب

زيد عمرا يوم الجمعة الا في السوق وكذلك اذا قلت انما زيد يضرب فتقديره

تقديم زيد الا بحذف ولا تجوز معه من التقديم والتأخير ما جوزته مع ما
والا ولا تقتصر في ذلك عليه فذاك اصل في باب القصر وهذا كالفرع عليه
والتقديم والتأخير هناك غير ملتبس وههنا موصل الى الالتباس فلذلك
قدرنا انما هذا لك تقدير ما هذا الا لك واما لك هذا تقدير ما لك الا هذا حتى اذا
اردت الجمع بين انما وطريق العطف فقل انما هذا لك لا لغيرك واما لك هذا
لا ذاك وانما يأخذ زيد لا عمرو وانما زيد يأخذه يعطي ومن هذا تعثر على الفرق
بين انما يخشى الله من عباده العلماء وبين انما يخشى العلماء من عباده الله
بتقديم المرفوع على المنصوب فالاول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء
والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء على الله واعلم ان حكم غير حكم الا
في افادة القصرين وامتناع مجامعة لا العاطفة تقول ما جاءني غير زيد اما
افرادا لمن يقول جاء زيد مع جاء اخر واما قلبا لمن يقول ما جاء زيد وانما جاء
مكانه انسان اخر ولا تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو واعلم انه مهدت لك
في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها اعجب كل شاهد بناؤها واعترف لك بكمال

99

الحذق في صناعة البلاغة ابناؤها ونهجت لك مناهج متى سلكتها
اخرجت بك عن المجهل المتعسف الى سواء السبيل وصرفتك عن الاجن
المطروق الى النمير الذي هو شفاء الغليل ونصبت لك اعلاما متى انتحيتها
اعثرتك على ضوال منشودة وحشدت لك منها ما ليست عند احد بمحشودة
ومثلت لك امثلة متى حذوت عليها امنت العثار في مظان الزلل واثبت
ان تتصرف فما تثني اليه عنانك يد الخطل ثم اذا كنت ممن ملك الذوق
السليم الطبع وتصفحت كلام رب العزة اطلعتك على ما يورد لك مغناه موارد
العزة وكشفت لعين بصيرتك عن وجه اعجازه القناع وفصلت لك
ما اجمله ابناء قبلك لمصاقع على معارضته القراع فان ملاك الامر في علم المعاني
هو الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم اخر والا
لم يحظ بطائل مما تقدم وما تأخر اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر
هذا وان الخبر كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر ويكون المراد به الطلب
فسنذكر لك في اخر القانون الثاني باذن الله تعالى

القانون الثاني

من علم المعاني وهو قانون الطلب وقد سبق ان حقيقة الطلب
حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد فلا نتكلم هناك وانما نتكلم في
مقدمة يستدعيها المقام من بيان ما لا بد للطلب منه ومن تنوعه و
التنبيه على ابوابه في الكلام وكيفية تولدها لما سوى اصلها وهي ان لا
ارتياب في ان الطلب من غير تصور اجمالا او تفصيلا لا يصح وانه
مطلوب لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه ان لا يكون حاصلا وقت
الطلب ولكن هذا المعنى عندك فسنفرع عليه والطلب اذا تاملت
نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وقولنا لا يستدعي
ان يمكن اعم من قولنا يستدعي ان لا يمكن ونوع يستدعي فيه امكان
الحصول والمطلوب بالنظر الى ان لا واسطة بين الثبوت والانتفاء
يستلزم انحصاره في قسمين حصول ثبوت متصور وحصول انتفاء
متصور وبالنظر الى كون الحصول ذهنيا وخارجيا يستلزم انقساما
الى اربعة اقسام حصولين في الذهن وحصولين في الخارج ثم اذا لم يرد

الحصول في الذهن على التصور والتصديق لم يتجاوز اقسام المطلوب
ستة حصول تصور او تصديق في الذهن وحصول انتفاء تصور
او تصديق فيه وحصول ثبوت متصور او انتفائه في الخارج وطلب
حصول التصور في الذهن لا يرجح الا يتصل مجمل او يتصل مفصل
بالنسبة ووجه ذلك ان الانسان اذا صح منه الطلب بان ادرك اما لا
كشيء ما او بالتفصيل بالنسبة الى شيء ما ثم طلب حصوله لذلك في
الذهن وامتنع طلب الحاصل توجه الى غير حاصل وهو تفصيل المجمل
او تفصيل المفصل بالنسبة اما النوع الاول من الطلب فهو التمني
الا ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني فتطلب كون غير الواقع
فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه او كيف تقول ليت الشباب
يعود فتطلب عود الشباب مع جزمك بانه لا يعود او كيف تقول
ليت زيدا ياتيني او ليتك تحدثني فتطلب اتيان زيد او حديث صاحبك
في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعهما اذ لو توقعت او طمعت

لاستعملت لعل او عسى واما الاستفهام والامر والنهي والنداء فمن
النوع الثاني اما الاستفهام فلطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله
في الذهن اما ان يكون حكما بشيء على شيء او لا يكون والاول هو التصديق
ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من
التصديق ثم المحكوم به اما ان يكون نفس الثبوت او الانتفاء كما تقول
الانطلاق ثابت او متحقق او موجود كيف شئت او ما الانطلاق ثابتا
فتحكم على الانطلاق بالثبوت والانتفاء بلا اطلاق او ثبوت كذا او
كذا بالتقييد كما تقول الانطلاق قريب او ليس بقريب فتحكم على الانطلاق
بثبوت القرب له او بانتفائه عنه ولا مزيد للتصديق على هذين النوعين
والنوع الاول لا يحتمل الطلب الا في التصديق والمسند اليه لكون المسند فيه
وهو نفس الثبوت والانتفاء مستغنيا عن الطلب والثاني يحتمله في التصديق
وطرفيه واما الامر والنهي والنداء فلطلب الحصول في الخارج اما حصول
انتفاء متصور كقولك في النهي للمتحرك لا تتحرك فانك تطلب بهذا الكلام انتفاء

انتفاء الحركة في الخارج واما حصول ثبوته كقولك في الامر قم وفي
النداء يا زيد فانك تطلب بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك
واقباله عليك في الخارج والفرق بين الطلب في الاستفهام والطلب
في الامر والنهي والنداء واضح فانك في الاستفهام تطلب ما هو في
الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في
ذهنك ثم تطلب ان يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في
الاول تابع وفي الثاني متبوع وتوفية هذه المعاني حقها تستدعي
مجالا غير مجال المقصد فلنكتف بالاشارة اليها ومجرد التنبيه عليها واذ
قد عثرت على ما دفع لك فبالحري ان نبين كيف تفرع عن هذه الابواب
الخمسة التمني والاستفهام والنهي والامر والنداء ما يتفرع على سبيل
الجملة اذ لا بد منه ثم الفصول الآتية في علم البيان تتلوها عليك
ما ترقب من التفصيل هنالك ضمنا فنقول متى امتنع اجراء هذه
الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كما اذا قلت لمن همك

تمه ليتك تحدثني امتنع اجراء التمني والحال ما ذكر على اصله فطلب
الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بمعونة قرينة الحال
معنى السؤال او كما اذا قلت هل لي من شفيع في مقام لا يسع امكان
التصديق بوجود الشفيع امتنع اجراء الاستفهام على اصله وولد
بمعونة قرائن الاحوال معنى التمني وكذا اذا قلت لو ياتيني زيد فيحدثني
بالنصب طالبا لحصول الوقوع فيما يفيد لو من تقدير غير الواقع واقعا
ولد التمني وسبب توليد لعل معنى التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك
بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول او كما اذا قلت لمن تراه لا ينزل
الا نزول فصيب خير امتنع ان يكون في المطلوب بالاستفهام التصديق
بحال نزول صاحبك لكونه حاصلا وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو الا
تحب النزول مع محبتنا اياه وولد معنى العرض او كما اذا قلت لمن تراه
يوذى الاب انفعل هذا امتنع توجه الاستفهام الى فعل الايذاء لعلمك
بحاله وتوجه الى ما لا تعلم مما يلابسه من نحو استحسن وولد الانكار والزجر

اعلم ان لو ولعل ذكرهما على سبيل الاستطراد
وذلك لان كلامه مما يتولد عن الابواب الخمسة
المذكورة ولو ولعل ليسا منها ...

او كما اذا قلت لمن يهجو اباه مع علمك بان هجو الاب ليس شيئا غير
هجو النفس هل تهجو الا نفسك او غير نفسك امتنع منك اجراء الاستفهام
على ظاهره لا ستدعائه ان يكون الهجو احتمل عندك توجه الى غيره
وتولد منه بمعونة القرينة الانكار والتوبيخ او كما اذا قلت لمن يسيء
الادب الم اودب فلانا امتنع ان تطلب العلم بتاديبك فلانا وهو
حاصل وتولد منه الوعيد والزجر او كما اذا قلت لمن بعثته
الى مهم وانت تراه عندك اما ذهبت بعد امتنع الذهاب عن توجه
الاستفهام اليه لكونه معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال
مما يلابس الذهاب اما يتيسر لك الذهاب وتولد منه الاستبطاء
والتحضيض او كما اذا قلت لمن تصلف عندك وانت تعرفه الا
اعرفك امتنعت معرفتك به عن الاستفهام وتوجه الى مثل اتظنني
لا اعرفك وتولد الانكار والنفي والتعجب او كما اذا قلت لمن جاءك
اجئتني امتنع المجيء عن الاستفهام وتولد بمعونة القرينة التقرير او كما اذا قلت

لن تدعى ابر السن في وسعه افعله امتنع ان يكون المطلوب
بالامر حصول ذلك الامر في الخارج لحكمك عليه بامتناعه وتوجه
الى مطلب ممكن الحصول مثل بيان عجزه وتولد التعجيز والتحدي او
كما اذا قلت لعبد شتم مولاه وانك ادبته حق التأديب او عزرته
على ذلك ابلغ ايعاد اشتم مولاك امتنع ان يكون المراد الامر بالشتم
والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو اعرف لازم الشتم و
تولد منه التهديد او كما اذا قلت لعبد لا يمتثل امرك لا تمتثل امري
امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وتوجه الى غير حاصل مثل
لا تكترث لامري ولا تبال به وتولد التهديد والوعيد او كما اذا قلت لمن
اقبل عليك يتظلم يا مظلوم امتنع توجيه النداء الى طلب الاقبال
لحصوله وتوجه الى غير حاصل مثل زيادة الشكوى بمعونة قرينة الحال
وتولد منه الاغراء ولنقتصر على هذا فانه لم يستضئ بمصباح لم يستضئ بالصباح
ناقلين الكلام الى التصنيف لابواب الطلب والله اعلم الباب

الباب الاول في التمني اعلم ان الكلمة الموضوعة للتمني هي
ليت وحدها واما لو وهل في افادتهما معنى التمني فالوجه ما سبق وكان
الحروف المسماة بحروف التندم والتحضيض وهي هلا والا ولولا ولوما
مأخوذة منهما مركبة مع ما ولا المزيدتين مطلوبًا بالتزام التركيب التنبيه
على الزام هل ولو معنى التمني فاذا قيل هلا اكرمت زيدا او الا بقلب
الهاء همزة او لولا او لوما فكأن المعنى ليتك اكرمت زيدا متولدا منه معنى
التندم واذا قيل هلا تكرم زيدا او لولا فكان المعنى ليتك تكرمه متولدا منه معنى
السؤال والتحضيض **الباب الثاني** في الاستفهام للاستفهام
كلمات موضوعة وهي الهمزة وام وهل وما ومن واي وكم وكيف واين
وانى ومتى وايان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة اعني كسر همزتها تقوى
ايانا ان يكون اصلها اي اوان وهذه الكلمات ثلاثة انواع احدها يختص
طلب حصول التصور وثانيها يختص طلب حصول التصديق وثالثها
لا يختص وقد نبهت فيما سبق ان طلب التصور يرجع الى تفصيل

المجمل اولا تفصيل المفصل بالنسبة واذا تأملت طلب التصديق
وجدته راجعا الى تفصيل المجمل ايضا وهو طلب تعيين الثبوت
او الانتفاء في مقام التردد والهمزة من النوع الاخير تقول في
طلب التصديق بها احصل الانطلاق وازيد منطلق وفي طلب
التصور بها في طرف المسند اليه ادبس في الاناء ام عسل وفي
طرف المسند افي الخابية دبسك ام في الزق وانت في الاول
تطلب تفصيل المسند اليه وهو المظروف وفي الثاني تطلب
تفصيل المسند وهو الظرف وهل من النوع الثاني لا يطلب
الا التصديق كقولك هل حصل الانطلاق وهل زيد منطلق
ولاختصاصه بالتصديق امتنع ان يقال هل عندك عمرو ام بشر
باتصال ام دون ام عندك بشر بانقطاعها وقبح هل رجلا عرفت
وهل زيدا عرفت لما سبق ان التقديم يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع واذا استحضرت ما سبق

من التفاصيل في صدر القانون عسى ان يتبدى لما طويت
ذكره انا ولا بد لهل من ان تخصص الفعل المضارع بالاستقبال
فلا يصح ان يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك على نحو اتضرب زيدا
وهو اخوك في ان يكون الضرب واقعا في الحال وكون هل لطلب
الحكم بالثبوت او الانتفاء وقد نبهت فيما قبل على ان الاثبات
والنفي لا يتوجهان الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات و
لاستدعائه التخصيص بالاستقبال لا يحتمل ذلك وانت تعلم ان
الاستقبال انما يكون لصفات الذوات لا لنفس الذوات
لان الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال
استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانيا
اظهر كالافعال ولذلك كان قوله عز وعلا فهل انتم شاكرون ادخل في الانباء
عن طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون او فهل انتم تشكرون
او افانتم شاكرون لان هل تشكرون مفيد للتجدد وهل انتم تشكرون

كذلك وانا انتم شاكرون ان كان ينبئ عن عدم التجدد لكنه دون هل
انتم شاكرون لما ثبت ان هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل
معه يكون ادخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد ولكون
هل ادعى للفعل من الهمزة لم يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ
كما لم يحسن نظير قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة من كل احد على ما سبق
في موضعه والخطب مع الهمزة في نحو ازيد منطلق اهون واما ما ومن
واي وكم وكيف واين ولما ومتى وايان فمن النوع الاول من طلب
حصول التصور على تفصيل يتبين لا بد من ايقاف عليه ليصح مثل تطبيقها
في الكلام على ما يستوجب فنقول اما فللسوال عن الجنس تقول ما عندك
بمعنى اي اجناس الاشياء عندك وجوابه انسان او فرس او كتاب او طعام
وكذلك تقول ما الكلمة وما الاسم وما الفعل وما الحرف وما الكلام وفي
التنزيل فما خطبكم بمعنى اي اجناس الخطوب خطبكم وفيه ما تعبدون من بعدي
اي اي من في الوجود تؤثرونه في العبادة او عن الوصف تقول ما زيد وما

عمرو وجوابه الكريم او الفاضل وما شاكل ذلك ولكونها للسوال عن
الجنس وللسوال عن الوصف وقع بين فرعون وموسى ما وقع لان
فرعون حين كان جاهلا بالله معتقدا ان لا موجود مستقلا بنفسه
سوى اجناس الاجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له ثم سمع موسى قال
انا رسول رب العالمين سال ما عن الجنس سوال مثله فقال وما رب
العالمين كانه قال اي اجناس الاجسام هو وحين كان موسى عالما بالله
اجاب عن الوصف تنبيها على النظر المؤدي الى العلم بحقيقته الممتازة
عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السوال والجواب عند فرعون الجاهل
عجب من حوله من الجماعة الجهلة فقال لهم الا تستمعون ثم استهزا بموسى
وجننه وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وحين لم يرهم موسى يتفطنون
لما نبههم عليه في الكرتين من فساد مسئلتهم الحمقاء واستماع جوابه الحكيم غلظ في
الثالثة فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ويحتمل
ان يكون فرعون قد سال بما عن الوصف لكون رب العالمين عنده منكرا

بين نفسه وبين من دعاه اليه موسى في قوله انا رسول رب العالمين

لجهله وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانية له ذلك الضلال الشنيع

من ادعاء الربوبية وارتكاب ان يقول انا ربكم الاعلى ونفخ الشيطان

في خيشومه المشئوم بتسليم اولئك البهائم له اياها وادعائهم له ذلك و

تلقينهم اياه برب العالمين وشهرته فيما بينهم بذلك الى درجة دعت السحرة

اذ عرفوا الحق وخروا سجدا لله وقالوا امنا برب العالمين الى ان يعقبوا

بقولهم رب موسى وهرون تفنيدا لتهاوتهم ان يعنوا فرعون وان يكون ذلك

السؤال من فرعون على طاغيته ان يجري موسى في جوابه على نهج حاضريه

لو كانوا المسؤولين في وجهه بذلك فيجعله المخلص لجهله بحال موسى وعدم

علو شانه اذ كان ذلك المقام اول اجتماعه موسى بدليل ما جرى فيه من

قوله اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فخرج

سمع المخلص لم يكنه تعجب وعجب واستهزاء وحنق وتفيهق ما تفيهق من

لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين واما من فللسؤال

الجنس من ذوي العلم تقول من جبريل يعني ابشر هو ام ملك

ام جني وكذا من ابليس ومن فلان ومن معود منه قوله تعالى حكاية

عن فرعون فمن ربكما يا موسى اراد من مالككما ومدبر امركما املك

هو ام جني ام بشر منبها الى ان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية

لنفسه ذاهبا في سؤاله هذا الى معنى الكما رب سواي فاجاب

موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى كانه قال نعم لنا

رب سواك وهو الصانع الذي اذا سلكت الطريق الذي بالجادة

لما اوجد وتقديره اياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل

الهادي عن الضلال لزمك الاعتراف بكونه ربا وان لا رب سواه

وان العبادة له مني ومنك ومن الخلق اجمع حق لا مدفع له واما اي

فللسؤال عما يميز احد المتشاركين في امر يعمهما تقول القائل عندي ثياب

فتقول اي الثياب هي فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها

في الثوبية وقال تعالى حكاية عن سليمن ايكم ياتيني بعرشها اي الانسي ام الجني

وقال حكاية عن الكفار اي الفريقين خير مقاما اي انحن ام اصحاب محمد عليه السلام
واما كم فللسوال عن العدد اذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رايت فكانك
قلت اعشرين ام ثلثون ام كذا ام كذا وتقول كم درهمك وكم مالك اي كم
دانقا وكم دينارا وكم ثوبك اي كم شبرا وكم ذراعا وكم زيد ماكث اي كم يوما
او كم شهرا وكم رايتك اي كم مرة وكم سرت اي كم فرسخا او كم يوما قال عز وجل
قال قائل منهم كم لبثتم اي كم يوما او كم ساعة وقال كم لبثتم في الارض عدد
سنين وقال سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومنه قول الفرزدق
كم عمة لك يا جرير وخالة ٭ فدعاء قد حلبت علي عشاري ٭ فيروى بنصب
التميز واما كيف فللسوال عن الحال اذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح او سقيم
او مشغول او فارغ او شيخ او حدث لان ينتظم الاحوال كلها واما اين فللسوال
عن المكان اذا قيل اين زيد فجوابه في الدار او في المسجد او في السوق
ينتظم الاماكن كلها واما انى فتستعمل تارة بمعنى كيف قال تع فاتوا حرثكم انى
شئتم اي كيف شئتم واخرى بمعنى من اين قال تع انى لك هذا اي من اين

لك هذا واما متى وايان فهما للسوال عن الزمان اذا قيل متى
جئت او ايان جئت قيل يوم الجمعة او يوم الخميس او شهر كذا او سنة
كذا وعن علي ابن عيسى الربعي رحمة الله عليه امام ائمة بغداد في علم النحو
ان ايان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله عز وجل يسال ايان يوم القيمة
يسالون ايان يوم الدين واعلم ان هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها
امثال ما سبق من المعاني بمعونة قراين الاحوال فيقال ما هذا ومن
هذا للجحود والاستخفاف والتحقير ومالي للتعجب وقال تع حكاية عن سليمن
مالي لا ارى الهدهد واي رجل هو للتعجب واي ما رجل وكم دعوتك
للاستبطاء وكم تدعوني للانكار وكم احلم للتهديد وكيف تؤذي اباك
للانكار والتعجب والتوبيخ وعليه قوله تع كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم لمعنى التعجب ووجه تحقيق ذلك هو ان الكفار في حين صدور
الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين
به فلا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت ان كيف للسوال

عن الحال وللكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق حاب
لذلك فافاد انّ العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل به ثم قال اذا قيل
كيف تكفرون بالله بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وصار المعنى
كيف تكفرون بالله والحال حال علم بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا
فصرتم احياء وسيكون كذا وكذا صيّر الكفر ابعد شيء عن العاقل فصار
وجوده منه مظنة التعجب ووجه بعده هو ان هذه الحالة تلفته ان لا يكون
للعاقل علم بان له صانعا قادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع
ذلك عن سواه قديما عن جسم ولا عرض حكيما خالقا منعما مكلّفا مرسلا
للرسل باعثا مثيبا معاقبا وعلم بان لهذا الصانع بليّة ان يكفر وصدور
الفعل عن العاقل مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار
وتوبيخ فصح ان يكون قوله كيف تكفرون للاخر الآية تعجبا وتعجيبا
وانكارا وتوبيخا وكذلك يقال اين مغشك للتوبيخ والتقريع والانكار
حال تذليل المخاطب قال يا ابن شركاءي الذين كنتم تزعمون توبيخا للمخاطب

وتقريعا لهم لكونه سؤالا في وقت الحاجة لطلب الاغاثة عمن كان تدعي له
انه يغيث وقال تع فاين تذهبون للتنبيه على الضلال وقال تع
تعمد على صاحبه للتعجب والتعجيب والانكار وقال فانّى تؤفكون انكارا وتوبيخا
وقال انّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين استبعادا لذكراهم وكذا
وانّى لهم التناوش من مكان بعيد وقال متى قلت هذا للجحد والانكار
ومتى تفضلت شانه للاستبطاء وقد عرفت الطريق فراجع نفسك واذا
سلكتها فاسلكها عن كمال التيقظ لما نفيت فلا تجوّز بعد ما عرفت ان
التقديم يستدعي العلم بحال نفس الفعل وقوعا او غير وقوع اذا ضربت
سائلا عن حال وقوع الضرب ولا انت ضربت زيدا بنية التقديم ولا
ترض ازيدا ضربت ام لا ولا انت ضربت زيدا ام لا بنية التقديم ولكن
ان شئت ام فعل ازيدا ضربت ام عمرا وانت ضربت زيدا ام عمرا او
ان اردت بالاستفهام التقرير فاحذه على مثال الاثبات فقل حال
تقريرا الفعل اضربت زيدا او انضرب زيدا او قل حال تقريرا انه الضارب

دون عمرو وانت ضربت زيدًا كما قال تعالى أانت فعلت هذا بآلهتنا يا

ابراهيم وان زيدًا مضروب ازيدًا ضربت وان اردت به الانكار فانتجه

على منوال النفي فقل في انكار نفس الضرب اضربت زيدًا او قل ازيدًا

ضربت ام عمرًا فانك اذا انكرت من يردّد الضرب بينهما تولّد منه انكار

الضرب على وجه برهاني ومنه قوله تعالى آالذكرين حرّم ام الانثيين

وفي انكار انه الضارب اانت ضربت زيدًا وفي انكار ان زيدًا مضروب

ازيدًا ضربت كما قال تعالى قل اغير الله اتخذ وليًا وقال اغير الله تدعون

ومنه ايضًا قوله ابشرًا منا واحدًا نتبعه فتذكّر ولا تغفل عن التفاوت

بين الانكار للتوبيخ على معنى لم كان او لا يكون كقولك أعصيت ربك او

أتعصي ربك وبين الانكار للتكذيب على معنى لم يكن او لا يكون كقوله تعالى

افاصفيكم ربكم بالبنين وقوله اصطفى البنات على البنين وقوله انلزمكموها

واياك ان يزل عن خاطرك التفصيل الذي سبق في نحو انا ضربت

وانت ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء واحتمال التقدم وتفاو

ت المعنى في الوجهين فلا تحمل نحو قوله تعالى آلله أذن لكم على

التقدم فليس المراد ان الاذن ينكر من الله دون غيره ولكن

احمله على الابتداء مرادًا منه تقوية حكم الانكار وانظم في هذا السلك

قوله تعالى افانت تكره الناس وقوله افانت تسمع الصم او تهدي

العمي وقوله اهم يقسمون رحمة ربك وما جرى مجراه وقد عرفت

ان هذه الكلمات للاستفهام وعرفت ان الاستفهام طلب وليس

يخفى ان الطلب انما يكون لما يهمك ويعنيك شانه لا لما وجوده وعدمه

عندك بمنزلة وقد سبق ان كون الشيء مهمًا جهة مستدعية لتقديمه

في الكلام فلا يعجبك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب

التقدم في نحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب وما شاكل ذلك

الباب الثالث في الامر وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم

في قولك ليفعل وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف

وعدة اسماء ذكرت في علم النحو والامر في لغة العرب عبارة عن استعمالها

اعني استعمال نحو لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء
واما ان هذه الصيغ والتي هي من قبيلها هل هي موضوعة لذلك وهي حقيقة
فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو قم وليقم زيد الى جانب الامر وتوقف
ما سواه من الدعاء والالتماس والندب والاباحة والتهديد على
اعتبار القرائن واطباق ائمة اللغة على اضافتهم نحو قم وليقم الى الامر بقولهم
صيغة الامر ومثال الامر ولام الامر دون ان يقولوا صيغة الاباحة
ولام الاباحة مثلا بيّن ذلك وتحقيق معنى الحقيقة والمجاز موضع علم
البيان فيذكر هناك ان شاء الله تع ولا شبهة في ان طلب المتصور
على سبيل الاستعلاء يورث ايجاب الاتيان به على المطلوب منه ثم اذا
كان الاستعلاء ممن هو اعلى رتبة من المامور استتبع ايجابه وجوب
الفعل بحسب جهات مختلفة والا لم يستتبعه فاذا صادفت هذه اصل الاستعمال
بالشرط المذكور افادت الوجوب والا لم تفد غير الطلب ثم انها حينئذ تولد
بحسب قرائن الاحوال ما ناسب المقام ان استعملت على سبيل التضرع كقولنا

كقولنا اللهم اغفر لي وارحم ولدت الدعاء وان استعملت على سبيل التلطف
كقول كل واحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت
السوال او الالتماس كيف عبرت عنه وان استعملت في مقام الاذن
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين لمن يستاذن في ذلك بلسانه او بلسان
حاله ولدت الاباحة وان استعملت في مقام تسخط المامور به ولدت التهديد
على ما تقدم الكلام في امثال ذلك

الباب الرابع في النهي

للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك لا تفعل والنهي محذو به حذو الامر في
ان اصل استعمال لا تفعل ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور
فان صادف ذلك افاد الوجوب والا افاد طلب الترك فحسب ثم ان استعمل
على سبيل التضرع كقول المبتهل الى الله لا تكلني الى نفسي سمي دعاء وان استعمل
في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا وان استعمل في
حق المستاذن سمي اباحة وان استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا
والامر والنهي حقهما الفور والتراخي توقف على قرائن الاحوال لكونهما للطلب

ولكون الطلب في استدعاء تعجيل المطلوب اظهر منه في عدم الاستدعاء
له عند الانصاف والنظر الى حال المطلوب باخويهما وهما الاستفهام والنداء
منبهة على ذلك صلح له وثما ينبه على ذلك تبادر الفهم اذا امر المولى عبده
بالقيام ثم امره قبل ان يقوم بان يضطجع وينام حتى المساء الى ان المولى
غير الامر دون تقدير الجمع بينهما في الامر وارادة التراخي للقيام وكذا استحسان
العقلاء عند امر المولى عبده بالقيام او القعود او عند نهيه اياه اذا لم يبادر
لذلك ذمه واما الكلام في ان الامر اصل في المرة ام في الاستمرار
وان النهي اصل في الاستمرار ام في المرة كما هو مذهب البعض فالوجه هو
ان ينظر ان كان الطلب بها راجعا الى قطع الواقع كقولك في الامر للساكن
تحرك وفي النهي للمتحرك لا تتحرك فلا يشبه المرة وان كان الطلب بها راجعا
الى اتصال الواقع كقولك في الامر للمتحرك تحرك ولا تتحرك هذا طلبا للحاصل فان
الطلب حال وقوعه يتوجه الى الاستقبال كما نبهت عليه في صدر القانون
ولا وجود في الاستقبال قبل صيرورته حالا وقولك في النهي للمتحرك لا تسكن فلا يشبه الاستمرار

الاستمرار واعلم ان هذه الابواب الاربعة التمني والاستفهام والامر و
النهي تشترك في الاعانة على تقدير الشرط بعدها كقولك في التمني ليت لي
مالا انفقه على معنى ان ارزقه انفقه وقولك في الاستفهام اين بيتك ازرك
على معنى ان تعرفنيه او ان اعرفه ازرك واما العرض كقولك الا تنزل تصب
خيرا على معنى ان تنزل تصب خيرا فليس بابا على حدة واما هو من مولدات
الاستفهام كما عرفت وقولك في الامر اكرمني اكرمك وقال تعالى فهب لي من
لدنك وليا يرثني بالجزم واما قراءة الرفع فللعدول في حملها على الاستئناف دون
دون الوصف لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل
زكريا وقال تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
ومنهم من يضمر لام الامر مع يقيموا الا ان اضمار الجازم نظير اضمار الجار
فانظر او قولك في النهي لا تشتم يكن خيرا لك على معنى ان لم تشتم يكن خيرا
لك وتقدير الشرط لقرائن الاحوال غير ممتنع قال تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم على تقدير فان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم وقال فالله هو الولي
والله اعلم

على تقدير ان ارادوا ولياً بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وامثال
ذلك في القران كثيرة وكذا تقديرا اخرا لها كذلك قال ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ونزك
الجزاء وهو الستم ظالمين لذكر الظلم عقيبه في قوله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين **الباب الخامس** في الندآء ما يتعلق بالندآء من حروفه
وتفصيل الكلام في معانيها سبق التعرض لذلك في علم النحو فلا نتكلم
فيه ولكن هٰهنا نوع من الكلام صورته صورة الندآء وليس بنداء فننبه
عليه وتلك الصورة هي قولهم اما انا فافعل كذا ايها الرجل ونحن نفعل
كذا ايها القوم واللهم اغفر لنا ايتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام
الاختصاص على معنى انا افعل كذا مختصا بذلك من بين الرجال ونحن
نفعل كذا متخصصين من بين الاقوام واللهم اغفر لنا مخصوصين من بين
العصائب واعلم ان الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك
الخبر فيذكر احدهما في موضع الآخر ولا يصار الى ذلك الا لتوخي نكتة فلما

فلما يتفطن لها من لم يرجع الى دربة وصاحب حنكة في نوعنا هذا
ولم يعض فيه بضرس قاطع والكلام بذلك متى صادف مثاب البلاغة
اثر لك عن السحر الحلال بما شئت ومن المثمات ما قد سبق لي
ان نظم الكلام اذا استحسن من بليغ لم يمتنع ان لا يستحسن مثله من
غير البليغ وان اتحد المقام اذ لا شبهة في صحة اختلاف النظم مقبولا
وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن الكلام من انطباق له على
ما لاجله يساق ومن صاحب له عراف بجهات الحسن لم يتخطاها
والا لم يمتنع حمل الكلام منه على غيرها وتعرى عن الحسن لذهاب
كسوته ولا بد مع ذلك من اذن لافتنانات البلاغة مصوغة فالآفة
العظمى والبلية الكبرى لتلك الافتنانات الا من اضحت هي لغيرها
مخلوقة اذا اتصل بذويها كلام لم ترى به الدر الثمين مسخه لهم جهلهم
مسخا بفوقه قيمة المشخلب ولامر ما تجد القران متفاوت القدر ارتفاعا
وانحطاطا بين العلماء في نوعنا هذا وبين الجهلة والجهات المحسنة

لاستعمال الخبر في موضع الطلب تكثر تارة تكون لقصد التفاؤل بالوقوع
كما اذا قيل في مقام الدعاء اعاذك الله من الشبهة وعصمك من الحيرة
ووفقك للتقوى ليتفاءل بلفظ المضي على عدها من الامور الحاصلة
التي حقها الاخبار عنها بافعال ماضية وانه نوع مستحسن الاعتبار وقليل
ما اذا حسن اعتبار ما هو ابعد كاباء الكتاب في حق المخدرات لفظ احر
وما هو ابعد وابعد كاباء اهل الظرف اهداء السفرجل للاحبة
لاستثمال اسمه اذا سمي بالعربية على حروف سفرجل فما ظنك بالقريب وهل
خلع هارون على كاتبه اذا ساله عن شيء فقال لا وايد الله امير المؤمنين
الا لانه لم يسمع ما عليه الاغبياء فيما بينهم من لا ايدك الله بترك الواو او غير هارون
حين خرج الى ناحية لمطالعة عماراتها واستقراء اماراتها وقد تراءت له في
طريقه شجرة من بعيد فسال عنها كاتبا لصحبته فقال الكاتب شجرة الوفاق
تفاديا عن لفظ الخلاف فكساه افترى ذلك لغير ما نحن فيه او هل حين
غضب الداعي على شاعره ابي مقاتل الضرير حين افتتح موعد احبابك للفرقة

للفرقة غد اغضبه شيء غير معنى التفاؤل حتى قال له موعد احبابك يا اعمى
ولك المثل السوء وامر باخراجه وهل تسمية العرب الفلاة مفازة و
العطشان ناهلا واللديغ سليما وما شاكل ذلك الا من باب التفاؤل
فالمفازة هي المنجاة والناهل هو الريان والسليم هو ذو السلامة وتارة
لاظهار الحرص في وقوعه فالطالب متى تبالغ حرصه فيما يطلب ربما
في الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل اليه غير الحاصل حتى اذا
حكم الحس بخلافه غلطه تارة واستخرج له محملا اخرى وعليه قول شيخ
المعرة ما سرت الا وطيف منك يصحبني سرى امامي وتأويبا على اثري
يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فاعدك بين يدي
مغلطا للبصر بعلة الظلام اذا لم يدركك ليلا امامي واعدك خلفي اذا لم
يتيسر لي تغليط حين لا يدركك بين يدي نهارا وتارة لقصد الكناية
كقول العبد للمولى اذا حول عنه الوجه ينظر المولى الي ساعة ووجه
حسنه اما نفس الكناية ان ثبت واما الاحتراز عن صورة الامر واما هما

وتارة لحمل المخاطب على المذكور ابلغ حمل بالطف وجه كما اذا سمعت من
لا تحب ان ينسب اليه الكذب يقول لك تاتيني غدا او لا تاتيني وتارة مناسبات
اخر فتأملها ففيها كثرة وما من اية من اي القران واردة على هذا الاسلوب
الا مدارها على شيء من هذه النكت قال تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائل
لا تعبدون في موضع لا تعبدوا واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم في
موضع لا تسفكوا يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله في موضع امنوا وجاهدوا
فانظر ومن هذا القبيل قول كل من يقول من البلغاء في الدعاء رحمه الله
او يرحمه الله ومن الجهات الحسنة لايراد الطلب في مقام الخبر اظهار معنى
الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الطلب اظهارا له درجة كان المرضي
مطلوب قال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة فذكر لفظ الامر بالاساءة
ثم عطف عليه بلفظ الامر بضد الاساءة تنبيها بذلك على ان ليس المراد
بالامر الايجاب المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة التي لا تنافي تخيير

المخاطب بين ان يفعل وان لا يفعل فاعلا كل ذلك لتوخي اظهار
معنى الرضا اي ما اخترت في حقه من الاساءة او الاحسان او توخي
اظهار نفي ان يتفاوت وقوعا وعدم وقوع كما تقول صم او لا تصم فانك
لا اترك الصيام توهم من تخاطب انك تطلب منه ان تصوم وتنظر في
حالك او لا يصوم وينظر ليتبين عنك مبالك على الصيام صام هو او لم يصم
وعليه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم او ما شاكل
ذلك من لطايف الاعتبارات والامر في باب التعجب من نحو اكرم بزيد على
قول من يقول انه بمعنى الخبر اخذا بهمزته من قبيل ذي كذا جاعلا الباء زائدة
مثلها في كفى بالله منخرط في هذا السلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا على
مقتضى الظاهر اساليب متفننة اذ ما من مقتضى كلام ظاهري الا ولهذا
النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا
بشان هذه الصناعة وترشد اليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى ولكل

من تلك الاساليب عرف في البلاغة يتشرب من اوانين تجو معا ولا

كالاسلوب الحكيم فيها وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال

اتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رات الضيفان ينحون منزلي

فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف في قراهم وتجلي

او السائل بغير ما يتطلب كما قال يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

والحج قالوا في السؤال ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا

قليلا حتى يمتلا ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فاجيبوا بما ترى

وكما قال يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين

واليتامى والمساكين وابن السبيل سالوا عن شان ما ينفقون فاجيبوا

ببيان المصرف ينزل سوال السائل منزلة سوال غيره سواله للتوجه

التنبيه له بالطف وجه على تعديه عن موضع سوال هو اليق بحاله ان يسال

عنه او اهم له اذا تامل وان هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك

من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقت وابرزه في معرض المسحور وهل الآن

الا ان سكيمة الحجاج والذي الخارجي وسل سخيمته حتى آثر ان يحسن

على ان يسي غير ان سحره هذا الاسلوب اذ توعده الحجاج بالقيد في قوله

لاحملنك على الادهم فقال متغابيا مثل الامير حمل على الادهم والاشهب

مبرزا وعيده في معرض الوعد متوصلا ان يريه بالطف وجه ان امراه

مثله في مسند الامرة المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد وان يعد

لا ان يوعد ولكن هذا اخر كلامنا الآن في علم المعاني منتقلين عنه الى

علم البيان بتوفيق الله تع وعونه حتى اذا قضينا الوطر من ايراد ما منه

لا نحن له استانفنا الاخذ في التعرض للعلمين لنتمم المراد منهما بحسب

المقامات ان شاء الله تع

الفصل الثاني في علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة وهي ان محاولة ايراد المعنى الواحد

بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات

الوضعية غير ممكن فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا

وقلت خده يشبه الورد في الحمرة امتنع ان يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالة

الوضعية اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا اقمت مقام كل
كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات
كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح والا لم نفهم شيئا
اصلا وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل ان يكون لشيء تعلق
باخر ولثان وثالث فاذا اريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به يختلف
تفاوتت تلك الملة في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق افادته الوضوح
والخفاء واذا عرفت هذا عرفت ان صاحب علم البيان له فضل احتياج
الى التعرض لانواع دلالات الكلم فنقول لا شبهة في ان اللفظ متى كانت
موضوعة لمفهوم امكن ان تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع
وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية ومتى كان لمفهومها ذلك وتسميه
اصليا تعلق بمفهوم اخر امكن ان تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل
سواء كان ذلك المفهوم الاخر داخلا في مفهومها الاصلي كالسقف في مفهوم
البيت وتسمى هذه دلالة التضمن ودلالة عقلية ايضا او خارجا عنه كالحائط عن

116

عن مفهوم السقف في مفهوم البيت وتسمى هذه دلالة الالتزام عقلية
ايضا ولا يجب في ذلك التعلق ان يكون مما يثبته العقل بل ان كان
مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف او لغير عرف امكن المتكلم ان
يطمع من مخاطبه ذلك في صحة ان ينتقل دفعته من المفهوم
الاصلي الى الاخر بوساطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده واذا عرفت
ان ايراد المعنى الواحد في صور مختلفة لا يتاتى الا في الدلالات
العقلية وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما
للاخر بوجه من الوجوه ظهر لك ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات
بين المعاني ثم اذا عرفت ان اللزوم اذا تصور بين الشيئين فاما
ان يكون من الجانبين كالذي بين الامام والخلف بحكم العقل او بين
طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد او من جانب واحد كالذي
بين العلم والحيوة بحكم العقل او بين الاسد والجراءة بحكم الاعتقاد
ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين جهة الانتقال

من ملزوم الى لازم وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم ولم يرتبك بظاهره

الانتقال من احد لازمي الشيء الى الآخر مثل ما اذا انتقل من بياض

الثلج الى البرودة فرجعه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ثم من الثلج الى

البرودة فتامل واذا ظهر لك ان مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت

ان انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية فان المجاز ينتقل فيه

من الملزوم الى اللازم كما تقول رعينا غيثاً والمراد لازمه وهو النبت

وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون عقليا بل ان كان اعتقاد يا

اما لعرف او لغير عرف صح البناء عليه واما نحو قولك امطرت السماء

نباتا اي غيثا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى الملزوم فمنخرط

في سلك رعينا الغيث وفصل ترجيح المجاز على الحقيقة والكناية على التصريح

اذا انتهينا اليه يطلعك على كيفية انخراطه في سلكه باذن الله تعالى والمطلوب

بهذا التكلف هو الضبط واعلم ان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى

الملزوم كما تقول فلان طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول

النجاد فلا يصار الى جعل النجاد طويلا او قصيرا الا لكون القامة طويلة

او قصيرة فلا علينا ان نتخذهما اصلين واذ لا يخفى ان طريق الانتقال

من الملزوم الى اللازم طريق واضح بنفسه ووضوح طريق الانتقال

من اللازم الى الملزوم اما بالغير وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم

او اخص منه فلا عتب في تاخير الكناية لكونها بالنظر الى هذه الجهة

نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد ثم ان المجاز على الاستعارة

من حيث انها من فروع التشبيه كما ستقف عليه لا يتحقق بمجرد حصول

الانتقال من الملزوم الى اللازم بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شيء

بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من

ان نأخذه اصلا ثالثا ونقدمه فهو الذي اذا مهر فيه ملك زمام

التدرب في فنون السحر البياني **الاصل الاول** من علم

البيان في الكلام في التشبيه لا يخفى عليك ان التشبيه مستدع طرفين

مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل ان يشتركا

في الحقيقة ويختلفا في الصفة او بالعكس فالاول كالانسانين اذا اختلفا
صفةً طولاً وقصراً والثاني كالطويلين اذا اختلفا حقيقةً انساناً وفرساً
والا فانت خبير بان ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى
التعدد فيبطل التشبيه لان تشبيه الشيء لا يكون الا وصفاً له بمشاركته
المشبه به في امر والشيء لا يتصف بنفسه كما ان عدم الاشتراك بين
الشيئين في وجه من الوجوه يمنع من محاولة التشبيه بينهما لرجوعه
الى طلب الوصف حيث لا وصف وان التشبيه لا يصار اليه الا لغرض
وان حاله تتفاوت بين القرب والبعد وبين القبول والرد وهذا القدر
المجمل لا يجوج لا حد فمن نظر انما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه وهو
طرفا التشبيه ووجه التشبيه والغرض في التشبيه واحوال التشبيه
لكونه قريبا او غريبا مقبولا او مردوداً فظهر من هذا ان لا بد من النظر في
هذه المطالب الاربعة فلتنوع اربعة انواع النوع الاول النظر في طرفي
التشبيه المشبه والمشبه به اما ان يكونا مستفادين من الحس كالخد عند

التشبيه بالورد في المبصرات وكالاطيط عند التشبيه بصوت الفراريج
في المسموعات وكالنكهة عند التشبيه بالعنبر في المشمومات وكالريق عند
التشبيه بالخمر في المذوقات وكالجلد الناعم عند التشبيه بالحرير في الملموسات
واما مستفادين من الخيال كالشقيق عند التشبيه باعلام ياقوت منشرة
على رماح من زبرجد فهو في قرن المحسوسات لمروره تقليلا للاعتبار وتسهيلا
على المتعاطي واما ان يكونا مستفادين من العقل كالعلم اذا شبه بالحيوة
واما ان يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا كالعدل اذا شبه
بالقسطاس وكالمنية اذا شبهت بالسبع وكحال من الاحوال اذا شبهت
بناطق او بالعكس من ذلك كالعطر اذا شبه بخلق كريم واما الوهميات
المحضة كما اذا قدرنا صورة وهمية محضة مع المنية مثلا ثم شبهناها بالمخلب
او بالناب المحققين فقلنا افترست المنية فلانا شيء هو لها شبيه بالمخلب
او شيء هو لها شبيه بالناب او مع الحال ثم شبهناها باللسان فقلنا نطقت
الحال بشيء هو لها شبيه باللسان فملحقة بالعقليات وكذا الوجدانيات

كالنية والالم والشبع والجوع فاعرفه النوع الثاني الطرفي وجه التشبيه

لما انحصر التشبيه بين ان يكون الاشتراك بالحقيقة والافتراق بالصفة

تارة مثل جسمين ابيض واسود وكذا مثل انف ومرسن فهما مشتركان بالحقيقة

وهي العضو المعلوم وانما يفترقان باتصاف احدهما بالاختصاص بالانسان

واتصاف الآخر بالاختصاص بالمرسونات مما جرى مجراها من نحو شفة

وجحفلة ورجل وحافر وبين ان يكون الاشتراك بالصفة والافتراق

بالحقيقة اخرى مثل طويلين جسم وخط والوصف حين انحصر بين ان

يكون مستندا الى الحس كالكيفيات الجسمانية مثل الاتصاف بما يدرك

بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن

والقبح وغير ذلك او بما يدرك بالسمع من الاصوات الضعيفة والقوية

والتي بين بين او بما يدرك بالذوق من انواع الطعوم او بما يدرك بالشم

من انواع الروائح او بما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة و

اليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة ومن الخفة والثقل وما

وما يضاف اليها وبين ان يكون مستندا الى العقل والعقلي ايضا لما انحصر

بين حقيقي كالكيفيات النفسانية مثل الاتصاف بالذكاء والتيقظ والمعرفة

والعلم والقدرة والكرم والسخاء والحلم والغضب وما جرى مجراها من

الغرائز والاخلاق وبين اعتباري ونسبي كاتصاف الشيء بكونه مطلوب

الوجود او العدم عند النفس او بكونه مطموعا فيه او بعيدا عن الطمع او

شيء تصوري وهمي محض ومن المعلوم عندك ان الحقائق منقسمة

الى بسائط وذوات اجزاء مختلفة وان في الصفات ما مرجعها امر واحد

وما مرجعها اكثر ظهر لك مما ذكر ان وجه التشبيه يحتمل ان يتفاوت

فنقول وبالله التوفيق وجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او غير

واحد وغير الواحد اما ان يكون في حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملتئمة

واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة او لا يكون في حكم

الواحد فهذه اقسام ثلثة اما الاول فاما ان يكون حسيا او عقليا ولا بد

للحسي من ان يكون طرفاه حسيين لامتناع ادراك الحس من غير المحسوس

جهة دون العقل فانه يعم انواع الطرفين الاربعة المذكورة لصحة ادراك العقل المحسوس
جهة ولذلك تسمع علماء هذا الفن رضوان الله عليهم يقولون التشبيه بالوجه
العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي فالحسي كالخد اذا شبه بالورد في الحمرة
وكالصوت الضعيف اذا شبه بالهمس في الخفاء وكالنكهة اذا شبهت
بالعنبر في طيب الرائحة وكالريق اذا شبه بالخمر في لذة الطعم على زعم
القوم وكالجلد الناعم اذا شبه بالحرير في لين المس وههنا نكتة لم يترتب
التنبه لها وهي ان التحقيق في وجه الشبه يأبى ان يكون غير عقلي وذلك
انه متى كان حسيا وقد عرفت انه يجب ان يكون موجودا في الطرفين وكل موجود
فله تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون هو بعينه
موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المتعين ههنا مع كونه
بعينه هناك بحكم ضرورة العقل وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت وهو
استلزامه اذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد او بالعكس
كون الحمرة معدومة موجودة معا وهكذا في اخواتها بل يكون مثله مع المشبه

120

به لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ووجه الشبه بين الطرفين
كما عرفت واحد فيلزم ان يكون امرا كليا ماخوذا من المثلين بتجريدهما عن
التعين لكن ما هذا شانه فهو عقلي ويمتنع ان يقال فالمراد بوجه الشبه حصول
المثلين في الطرفين فان المثلين متشابهان فيهما وجه تشبه فان كان عقليا
كان المرجح في وجه الشبه العقل في المال وان كان حسيا استلزم
ان يكون مع المثلين مثلان اخران وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما
ويلزم التسلسل وتمام التحقيق موضعه علوم اخر والعقلي كوجود الشيء
عديم النفع اذا شبه بعدمه في العراء عن الفائدة او كالعلم اذا شبه بالحيوة
في كونهما جهتي ادراك فيما طرفاه معقولان وكالرجل اذا شبه بالاسد
في الجراءة او كاصحاب النبي صلى الله عليه اذا شبهوا بالنجوم في مطلق الاهتداء
ذلك فيما طرفاه محسوسان وكالعلم اذا شبه بالنور في الهداية او كالعدل
اذا شبه بالقسطاس في تحصيل ما بين الزيادة والنقصان فيما المشبه
معقول والمشبه به محسوس وكالعطر اذا شبه بخلق كريم في استطابة

النفس اياها او كالنجوم اذا شبهت بالسنن في عدم الخفاء فما المشبه محسوس

والمشبه به معقول وفي اكثر هذه الامثلة نوع تسامح فاعرف

واما القسم الثاني وهو ان يكون وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم الواحد

فهو على نوعين اما ان يكون مستندا الى الحس كسقط النار اذا شبه بعين

الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص و

كالثريا اذا شبهت بعنقود الكرم المنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور

البيض المستديرة الصغار المقادير في المرآى على كيفية مخصوصة الى

مقدار مخصوص وكالشاة الجبلي اذا شبه بحمار ابتر مشقوق الشفة والحوافر

نابت على راسه شجرتا غضا وكالشمس اذا شبهت بالمرآة في كف الاشل

في الهيئة التي تؤديها من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة

وتموج الاشراق او اذا شبهت بالبوتقة فيها ذهب ذائب كما قال

والشمس من مشرقها قد بدت ، مشرقة ليس لها حاجب

كانها بوتقة احميت ، يجول فيها ذهب ذائب

في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون واتصال الحركة و

شبه تموجه المتحرك بين انبساط وانقباض وذلك لان البوتقة

اذا احميت وذاب فيها الذهب اخذ يتحرك فيها بجملته من غير غليان

متشكلا بشكل البوتقة في الاستدارة تلك الحركة العجيبة كانه يهم بان

ينبسط حتى يفيض من جوانب البوتقة لما في طبعه من النعومة

ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين اجزائه من كمال التلاحم وقوة

الاتصال والبوتقة في ضمن ذلك متحركة تبعا مؤدية مع الذهب الذائب

فيها الهيئة المذكورة فان الشمس اذا احد الانسان النظر اليها ليتبين

جرمها وجدها مؤدية للهيئتين وكوجه الشبه في قوله ، كان مثار النقع

فوق رؤوسنا ، واسيافنا ليل تهاوى كواكبه ، فليس المراد من التشبيه

تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه

الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات فيه

بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه

وفي قوله: وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق *
فليس المراد تشبيه السماء بالبساط الأزرق إنما المراد تشبيه الهيئة
الحاصلة من النجوم البيض المتلألئة في جوانب من أديم السماء الملقية
قبعا عنها عن الزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة المستطرفة من درر
منثورة على بساط أزرق دون شيء آخر مناسب للدرر في الحسن و
القيمة وفي قوله: كأنما المريخ والمشتري * قدامه في شامخ الرفعة *
منصرف بالليل عن دعوة * قد أسرجت قدامه شمعة * فالمراد
أيضا تشبيه الهيئة الحاصلة من المريخ والمشتري قدامه بالهيئة الحاصلة
من المنصرف عن الدعوة منسرج الشمع من دونه وفي أمثال ما ذكر من
الأبيات تشبيه المركب بالمركب المذكور قبلها تشبيه المفرد بالمفرد و
هذا فن له فضل احتياج إلى سلامة الطبع وصفاء القريحة فليس
الحاكم في تمييز التباين إذا التبس أحدهما بالآخر سوى ذلك ومن تشبيه
المفرد قوله: كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي *

وأما أن يكون مستندا إلى العقل كما إذا شبهت أعمال الكفرة بالسراب
في المنظر المطمع مع المخبر المؤيس وكما إذا شبهت الحسناء من منبت
السوء بالخضراء الدمن في حسن المنظر المنضم إلى سوء المخبر والعرق
عن إثبات خير والجماعة المتناسبة في الخصال الممتنعة لذلك عن تعيين
فاضل بينهم ومفضول بالحلقة المفرغة الممتنعة عن تعيين بعضه
طرفا وبعضه وسطا وأما القسم الثالث وهو أن لا يكون وجه
التشبيه أمرا واحدا ولا منزلا منزلة الواحد فهو على أقسام ثلثة
أن تكون تلك الأمور حسية أو عقلية أو البعض حسيا والبعض
عقليا فالأول كما إذا شبهت بعض الطيور بالغراب في حدة النظر
وكمال الحذر وإخفاء السفاد والثالث كما إذا شبهت إنسانا بالشمس
في حسن الطلعة ونباهة الشأن وعلو الرتبة واعلم أنه ليس يلتزم
فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على
ما هو به بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أمعنت فيه النظر

كما إذا شبهت فاكهة بأخرى في لون وطعم ورائحة والثاني

نجد الا شيئا مستشعا لما يكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه
عليه من ذلك قولهم في الالفاظ اذا وجدوها لا تثقل على اللسان و
لا تكد بتنافر حروفها او تكرارها ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها
غير مالوفة ولا ما تشتبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها
فتشمئز عنها النفس هي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة
وكالنسيم في الرقة وقولهم في الحجة المطلوب بها قلع الشبهة متى صادفوها
معلومة الاجزاء يقينية التاليف قطعية الاستلزام هي كالشمس
في الظهور فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة او الظهور لوجه الشبه
على ان وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها وذلك لازم الحلاوة
وهو ميل الطبع اليها ومحبة النفس ورودها عليها ولازم السلاسة
والرقة وهو افادة النفس نشاطا والاهدا الى الصدر انشراحا والى
القلب روحا فشان النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك الصفات
كشانها مع العسل الشهي الذي يلذ طعمه فتهش النفس له وميل الطبع

الطبع اليه ويحب ورودها عليه او كشانها مع الماء الذي يتساغ في
الحلق ويبرد فيه اجلب اخذا للراحة ومع النسيم الذي يسري في
البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه فيفيد ان النفس نشاطا وبهدايان
الى الصدر انشراحا والى القلب روحا ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب
فشان البصيرة مع الشبهة كشان البصر مع الظلمة في كونهما معهما كالمحجوبين
وانقلاب حالهما الى خلاف ذلك مع الحجة اذا ابرزت والشمس اذا ظهرت
وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يقع التشبيه في وصف اعتباري كالذي
نحن فيه واقول يشبه ان يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على
ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا وقد جارينا هم نحن في ذلك كما ترى
واعلم ان حق وجه التشبيه شموله الطرفين فاذا اصلحه صح والا
فسد كما اذا جعلت وجه الشبه في قولهم النحو في الكلام كالملح في
الطعام الصلاح باستعمالها والفساد باهمالها صح لشمول هذا المعنى
المشبه والمشبه به فالملح ان استعمل في الطعام صلح الطعام والا فسد

والنحو كذلك اذا استعمل في الكلام نحو عرف زيد عمراً من رفع الفاعل ونصب

المفعول صلح الكلام وصار منتفعا به في تفهم المراد منه واذا لم يستعمل

فيه فلم يرفع الفاعل ولم ينصب المفعول فسد لخروجه عن الانتفاع به

واذا جعلت وجه الشبه ما قد يذهب اليه ذوو التعنت من ان الكثير

من الملح يفسد الطعام والقليل يصلحه فالنحو كذلك فسد لخروجه اذ ذاك

عن شمول الطرفين الى الاختصاص بالمشبه به فان الكثير او القليل اما يتصور

في الملح بان يجعل القدر المصلح منه للطعام مضاعفا مثلا اما في النحو فلا اذ

لا يتصور جعل رفع الفاعل او نصب المفعول مضاعفا هذا وربما امكن

تصحيح قول المتعنتين ولكنه ليس مما يهمنا الآن النوع الثالث الطرفين

الغرض من التشبيه الغرض من التشبيه في الاغلب يكون عائدا الى

المشبه ثم قد يعود الى المشبه به فاذا كان عائدا الى المشبه فاما ان يكون

لبيان حاله كما اذا قيل لك ما لون عمامتك قلت كلون هذه واشرت الى

عمامة لديك واما ان يكون لبيان امكان وجوده كما اذا ادعيت تفضيل واحد

واحد على الجنس الى حد يوهم اخراجه عن البشرية الى نوع اشرف

وانه في الظاهر كما ترى امر كالممتنع فتتبعه التشبيه لبيان امكانه

فانه لا حالة كحال المسك الذي هو بعض دم الغزال وليس يعد في الدماء

لما اكتسب من الفضيلة الموجبة اخراجه الى نوع اشرف من الدم

واما ان يكون لتقوية شانه في نفس السامع وزيادة تقريره عنده

كما اذا كنت مع صاحبك في تقرير انه لا يحصل من سعيه على طائل

ثم اخذت ترقم على الماء وقلت هل افاد رقمي على الماء نقشا ما انك في

سعيك هذا كرقمي على الماء فانك تجد لتمثيلك هذا من التقرير ما لا يخفى

واما ان يكون لما يراد الى السامع في معرض التزيين او التشويه او الاستطراف

او ما شاكل ذلك كما اذا شبهت وجها اسود بمقلة الظبي اقراغا له في

قالب الحسن ابتغاء تزيينه او كما اذا شبهت وجها مجدورا بسلحة جامدة

قد نقرتها الديكة اظهارا له في صورة اشوه ارادة ازدياد القبح والتنفير عن المشبه

او كما اذا شبهت فحما فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب نقلا له

عن جهة الوقوع على اشاعة عادة ليستطرف ولا استطراف وجه
اخر وهو ان يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن اما في نفس الامر
كالذي نحن فيه فاذا احضر استطرف النوادر عند مشاهدتها واستلذ
استلذاذ مما لجدتها فلكل جديد لذة واما مع حضور المشبه اوان الحديث
فيه مثل حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج والرياض كما في قوله
ولازوردية تزهو بزرقتها ، بين الرياض على حمر اليواقيت
كانها فوق قامات ضعفن بها ، اوائل النار في اطراف كبريت
فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت ليست مما يمكن ان يقال انها
نادرة الحضور في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب
وانما الندرة حضورها مع حديث البنفسج فاذا احضر احضارا مع المشبه
استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا يتراءى ناراهما وهل الحكاية
المعروفة في حديث حسد جرير لعدي بن الرقاع الا لعين ما نحن فيه فحكى
ان جريرا لما انشد في عدي عرف الديار توهما فاعتادها فلما بلغ

الى قوله تزجي اغن كان ابرة روقه رحمته وقلت قد وقع
ما عساه يقول وهو اعرابي جلف جاف فلما قال قلم اصاب
من الدواة مدادها استحالت الرحمة حسدا واما الغرض
العائد الى المشبه به فرجعه الى ايهام كونه اتم من المشبه في وجه
التشبيه كقوله وبدا الصباح كان غرته ، وجه الخليفة حين يمتدح
فانه تعمد ايهام ان وجه الخليفة في الوضوح اتم من الصباح
وكقوله وكان النجوم بين دجاها ، سنن لاح بينهن ابتداع
فانه حين راى ذوي الصناعة للمعاني شبهوا الهدى في الشريعة و
السنن في كل ما هو علم بالنور لجعل صاحبها في حكم من يمشي في نور
الشمس فيهتدي الى الطريق المعبد فلا يتعسف فيعثر تارة على
عدو قتال ويتردى اخرى في مهواة مهلكة وشبهوا الضلالة والبدعة
وكل ما هو جهل بالظلمة لجعل صاحبها في حكم من يخبط في الظلام
فلا يهتدي الى الطريق فلا يزال بين عثور وبين تردد قصد في

تشبيهه هذا تفضيل السنن في الوضوح على النجوم وتنزيل
البدع في الظلام فوق الدياجي وكقوله ولقد ذكرتك في
الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق فإنه أيضا حين
رأى الأوقات التي يحدث فيها المكاره وصفت بالسواد كقولهم
اسودّ النهار في عيني وأظلمت الدنيا على جعل يوم النوى كأنه
أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبهه به ثم عطف عليه
فؤاد من لم يعشق تظرفا فإن الغزل يدّعي القسوة على من لم
يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فنظمه
في سلكه وكقوله كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء
بعد وقوع فإنه رأى العادة جارية أن يشبه المتخلص من البأساء
بالبدر الذي ينحسر عنه الغمام قلب التشبيه ليرى أن صورة النجاة
من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف عند الإنسان
من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه فشبه هذه بتلك وكقوله

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا
فإنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق والسعة تعمد تشبيه
الأرض الواسعة بخلق الكريم ادعاء أنه في ذاته معنى السعة أكمل
من الأرض المتباعدة الأطراف ومن الأمثلة ما حكاه جل وعلا عن
مستحلي الربا من قولهم إنما البيع مثل الربا في مقام إنما الربا مثل البيع
لأن الكلام في الربا لا في البيع ذهابا منهم إلى جعل الربا في باب
الحل أقوى حالا وأعرف من البيع ومن الأمثلة ما قال تع أفمن يخلق
كمن لا يخلق لمزيد التوبيخ فيه دون أن نقول أفمن لا يخلق كمن يخلق
مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها
آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وعندي أن الذي تقتضيه
البلاغة القرآنية هو أن يكون المراد بمن لا يخلق الحي العالم القادر من
الخلق لا الأصنام وأن يكون الإنكار موجها لا لتوهم تشبيه الحي العالم القادر
من الخلق به تع وتقدس عن ذلك علوا كبيرا تعريضا به عن أبلغ الإنكار لتشبيه

مالبس بحى عالم فلحريه ويكون قوله افلا تذكرون بتنبيه توبيخ على مكان
التعريض وقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه بدل ارايت من
اتخذ هواه الهه مصبوب فى هذا القالب فاحسن التامل ترى التقديم
قد اصاب بنا كلة الرمى وانما جعلنا الغرض العايد الى المشبه به
هو ما ذكر بالان المشبه به حقه ان يكون اعرف بجهة التشبيه من المشبه
واخص به واقوى حالا معها ولهذا لم يصح ان يذكر لبيان مقدار المشبه
ولا لبيان امكان وجوده ولا لزيادة تقريره على الوجه الذى تقدم ولا لابرازه
فى معرض التزيين كالوجه الاسود اذا شبهته بمقلة الظبى محاولا لنقل
استحسان سوادها الى سواد الوجه او بمعرض التشويه كالوجه المجدور
اذا شبهته بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة ارادة نقل مزيد استقباحها
ونقرتها الى جدرى الوجه لامتناع تعريف المجهول بالمجهول وتقرير الشى
بما ساويه في التقرير الا بلغ او بمعرض الاستطراف كالفحم فيه جمر موقد اذا شبهته
ببحر من المسك موجه الذهب نقلا لا متناع وقوعه الى الواقع لتستطرف او

او للوجه الآخر على ما تقدم لمثل ما ذكر وربما كان الغرض العايد الى
المشبه به بيان كونه اهم عند المشبه كما اذا اشير لك الى وجه كالقمر فى
الاشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه يشبه ما ذا فقلت الرغيف
اظهارا لاهتمامك بشان الرغيف لا غير وهذا الغرض يسمى اظهار المطلوب
ولا يحسن المصير اليه الا فى مقام الطمع فى تيسّر المطلوب كما يحكى عن الصاحب
ان قاضى سجستان دخل عليه فوجد الصاحب متفننا فاخذ يمدحه
حتى قال وعالم يعرف بالسجزى واشار للندماء ان ينظموا على اسلوبه
ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف فى البين فقال
اشهى الى النفس من الخبز فامر الصاحب ان تقدم مائدة واما اذا تساوى
الطرفان المشبه والمشبه به فى جهة التشبيه فالاحسن ترك التشبيه
الى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به تفاديا من ترجيح
احد المتساويين ويظهر من هذا ان التشبيه اذا وقع فى باب التشابه
صح فيه العكس بخلافه فيما عداه وكان حكم المشبه به اذ ذاك غير ما تلى عليك

فصح ان يقال لون هذه العمامة كلون تلك وان يقال لون تلك كلون هذه
وان يقال بدا الصبح كغرة الفرس وبدت غرة الفرس كالصبح متى كان المراد
بالتشبيه وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلا
بالاضافة الى السواد وان يقال الشمس كالمرآة المجلوة او كالدينار الخارج
من السكة كما قال «وكأن الشمس المنيرة دينار» «جلته حدائد الضراب» وان يقال
المرآة المجلوة او الدينار الخارج من السكة كالشمس متى كان القصد من التشبيه
الى مجرد مستدير متلألئ منضم لخصوص في اللون لكون وجه التشبيه
في جميع ذلك غير مختص بأحد الطرفين زيادة اختصاص واعلم ان التشبيه
متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل
كالذي في قوله «اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله»
«فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله» فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته
بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس الا في امر متوهم له وهو ما يتوهم
اذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه اياها عسى ان يتوصل بها الى

128

الى نفثة مصدور من قيامه اذ ذاك مقام ان تمنعه ما يتحبونه ليسرع
فيه الهلاك وانه كما ترى منتزع من عدة امور وكالذي في قوله
«وان من ادبته في الصبا» «كالعود يسقى الماء في غرسه»
«حتى تراه مورقا ناضرا» «بعد الذي ابصرت من يبسه»
فان تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى اوان الغرس المونق باوراقه
ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب الاخلاق مرضي السيرة حميد الفعال
لتأديه المطلوب بسبب المصادف وقته من تمام الميل اليه في كال استحسان
حاله وانه كما ترى امر تصوري لا صفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من
عدة امور وكالذي في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع الى
تسني مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة
لانقلاب الاسباب وانه توهمي كما ترى منتزع من امور جمة وكالذي في

قوله تع ايضا او كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق يجعلون اصابعهم

في آذانهم من الصواعق حذر الموت و اصل النظم او كمثل ذوي صيب

فحذف ذو ولدلالة يجعلون اصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل

عليه عطفه على قوله كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس

بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة الشأن وبين ذوات الصيب

اما التشبيه بين صفته اولئك وبين صفة هؤلاء و نظيره قوله تع يا ايها

الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري

الى الله فاوقع التشبيه بين كون الحواريين انصار الله وبين قول عيسى من

انصاري الى الله وانما المراد كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصاره

وقت قول عيسى من انصاري على ان ما مصدري مستعمل ما قال استعمال

مقدم الحاج ثم نظير المذكور في حذف المضاف والمضاف اليه قول القائل

اسال البحار فانتحى للعقيق وقول القائل وقد جعلتني من حزيمة اصبعا

على ما قدر الشيخ ابو علي الفارسي رحمة الله عليه من اسال سقيا سحابه ومن

129

ومن ذا مسافة اصبع وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة

سائغ من ذلك قوله تع فكان قاب قوسين او ادنى تقديره مقدار

مسافة قرب جبرئيل مثل قاب قوسين و ان قوله كصيب من

السماء الى الاخر مثل لما ان وجه التشبيه بينهم وبين المنافقين هو انهم

في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لم يحظون الا بضد

المطموع فيه من محض مقاسات الاهوال وانه كما ترى مما نحن بصدده

وكذا الذي في قوله عز وجل مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها

كمثل الحمار يحمل اسفارا فان وجه التشبيه بين احبار اليهود الذين

كلفوا العمل بما في التورية ثم لم يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل للاسفار

هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب

في استصحابه وليس بمشبه كونه عائدا الى التوهم ومركبا من

عدة معان والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي احوج

منظور فيه الى التامل الصادق من ذي بصيرة ناقدة و روية ثاقبة

لالتباسه في كثير من المواضع بالعقلية الحقيقية لا سيما المعاني التي
ينتزع منها فربما انتزع عنها من المدة فاورث الخطاء لوجوب انتزاعه من الكثير
نحو قوله ٭ كما ابرقت قوما عطاشا غمامة ٭ فلما راوها اقشعت وتجلت ٭
اذا اخذت تنتزع وجه التمثيل من قوله ابرقت قوما عطاشا غمامة فحسب
تزلّت عن غرض الشاعر من التشبيه مراحل فان مغزاه ان يصل ابتداء
مطمعا بانتهاء موئس وذلك يوجب انتزاع وجه التشبيه من مجموع البيت
ثم ان التشبيه التمثيلي فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير
مثلا ولورود الامثال على سبيل الاستعارة لا تغير وسيأتيك الكلام في
الاستعارة باذن الله تع النوع الرابع النظر في احوال التشبيه من كونه
قريبا او غريبا مقبولا او مردودا والكلام في ذلك يستدعي تقدم اصول
وانا اذكر لك ما يرشدك الى كيفية سلوك الطريق هناك بتوفيق الله تع معدودا
عدة منها لتكون لك عدة في درك ما عسى تلخذه في طلبه منها ان ادراك الشيء
مجملا اسهل من ادراكه مفصلا ومنها ان حضور صورة شيء تتكرر على الحس

الحس اقرب من حضور صورة شيء يقل وروده على الحس وحال هذين
الاصلين واضح ومنها ان الشيء مع ما يناسبه اقرب حضورا منه مع ما
لا يناسبه فالحمام مع السطل اقرب حضورا منه مع النخل وقد سبق تقريره
في باب الفصل والوصل ومنها ان استحضار الامر الواحد ايسر من
استحضار غير الواحد وحاله ايضا مكشوف ومنها ان ميل النفس الى
الحسيات اتم من ميلها الى العقليات واعني بالحسيات ما تجرده منها بآثار على منع
النفس من ادراك الجزئيات على ما نبهت عليه وزيادة ميلها اليها دون
غيرها من العقليات لزيادة تعلقها بها بسبب تجردها اباها بقوة العقل
ونظمها لها في سلك ما عداها ولزيادة الفها بها ايضا لكثرة تأديها اليها من
اجل كثرة طرقه وهي الحواس المختلفة المؤدية لها واما تعال من ان الف
النفس مع الحسيات اتم منه مع العقليات لتقدم ادراك الحس على ادراك
العقل فبعد تقرر ان ادراك النفس انما يكون للجزئيات وان مدرك النفس
غير مدرك الحس شيء كما ترى عن افادة المطلوب بمعزل وعن تحقيق المقصود

بالف متخيل ومنها أن النفس لما تعرف أقبل منها لما لا تعرف لجبلتها العلم
طبعاً ومنها أن تجدد صورة عندها أحب إليها والذي عندها من مشاهدة
معاد وأنه من القبول بحيث ينبغي أن يستعان فيه بتلاوة أكره من معاد و
لكل جديد لذة ولعمري إن الوقوف من حكم الألف ومن حكم التكرار أحوج
شئ لكل العامل فليفعل لأن الإلف مع الشئ لا يحصل إلا بتكرره على النفس
ولو كان التكرار يورث الكراهة لكان المألوف أكره شئ عند النفس والمنع
إذ ذاك بنزاعها للمألوف والوجدان يكذب ذلك إذ قد تقدم الميل ما ذكرنا
فنقول من أسباب قرب التشبيه وكونه نازل الدرجة أن يكون وجهه أمراً
واحداً كالسواد في قولك هندي كالفحم أو البياض في قولك شهد كالثلج أو أن
يكون المشبه مناسباً للمشبه كما إذا شبهت الجرة الصغيرة بالكوز والجرة الضخمة
المستطيلة بالنخل أو العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة أو أن يكون المشبه به
غالب الحضور في خزانة الصور لجهة من الجهات كما إذا شبهت الشعر الأسود
بالليل أو الوجه الجميل بالبدر أو المحبوب بالروح ومن أسباب بعده وغرابته

أن يكون وجه التشبيه أموراً كثيرة كما في تشبيه سقط النار بعين الديك أو تشبيه الثريا
بعنقود الكرم المنور أو تشبيه نحو قوله كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
أو أن يكون المشبه به بعيد النسبة عن المشبه كالخنفساء عن الإنسان قبل تشبيه
أحدهما بالآخر في اللجاج أو البنفسج عن النار والكبريت قبل تصور التشبيه بين الطرفين
أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئاً وهمياً كما في قوله
ومسنونة زرق كأنياب أغوال أو مركباً خيالياً كما في قوله وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد أو مركباً عقلياً كما في قوله عز قائلاً إنما مثل
الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام
حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها
أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وكل ما كان التركيب خيالياً
كان أو عقلياً من أمور أكثر كان حاله في البعد والغرابة أقوى وأما كون التشبيه
مقبولاً فالأصل فيه أن يكون التشبيه صحيحاً وقد تقدم معنى الصحة وأن يكون كاملاً
في تحصيل ما علق به من الغرض وأن يكون سليماً عن الابتذال مثل أن يكون المشبه به

محسوسًا اعرف شيء بابي لون مخصوص او شكل او مقدار او غير ذلك اذا كان الغرض

من التشبيه بيان حال المشبه من جهة ذلك الامر او بيان مقداره على ما هو عليه فالنفس

الى الاعرف عندها اميل وله متى صادفته اقبل لا سيما فيما الفها به لكن يجب في

الثاني كون المشبه به مع ما ذكر على حد مقدار المشبه في وجه التشبيه لا ازيد

ولا انقص وكلما كان ادخل في السلامة عن الزيادة او النقصان كان ادخل في

القبول او مثل ان يكون المشبه به اتم محسوس في امر حسي هو وجه الشبه اذا

قصد تنزيل المشبه الناقص منزلة الكامل او قصد زيادة تقرير المشبه عند السامع

لمثل ما تقدم او مثل ان يكون المشبه به مسلّم الحكم معروفه فيما يقصد من وجه الشبه

اذا كان الغرض من التشبيه بيان امكان الوجود او محاولة التزيين او التشويه

فقبول النفس لما تعرف فوق قبولها لما لم تعرف او مثل ان يكون المشبه به في

الشبه لا سيطر لبقه نادر الحضور في الذهن لبعده عن التصور او نادر الحضور فيه

مع المشبه لبعد نسبته اليه فالنفس تتسارع الى قبول نادر يطلع عليها لما تتصور لديه

من لذة الجدة وتتمثل من تعريه عن كراهة معاد هذا وانك متى تفطنت لاسباب قرب

قرب التشبيه وتغاير مسلكه وكذا لاسباب لخواطه من القبول في سلكه تفطنت

لاسباب بعده وغرابته ولاسباب رده لرداءته ولن يذهب عليك ان مغزى التشبيه

متى كان اقوى كان التشبيه اقرب كذا متعلقه متى كان اقوى كان اغرب وجرى لذلك

في شأن قبوله ورده على نحو مجراه في شأن قربه وبعده واعلم ان ليس من الواجب في

التشبيه ذكر كلمة التشبيه بل اذا قلت زيد اسد والكيفية بذكر الطرفين عد تشبيها

مثله اذا قلت كأن زيدا اسد اللهم الا في كونه ابلغ ولا في ذكر المشبه لفظا بل اذا

كان محذوفا مثله اذا قلت اسد واني اسد جاعلا المشبه به خبرا مفتقرا الى المبتدأ

كفى لفرض المسافة بين الملفوظ به في الكلام والمحذوف منه بمثل لفظه في قوة الافادة وانما

الواجب في التشبيه اذا ترك المشبه ان لم يكون مضروبا عنه صفحا مثله اذا قلت

عندي اسد او رأيت اسدا او نظرت الى اسد فانما بعد تشبيها وسابيك بيان حاله

وانما على نحو زيد اسد وقرينة المحذوف المبتدأ تشبيها لما تك حين وقعت اسدا وهو مفرد

غير جملة خبرا لزيد استدعى ان يكون هو اياه مثله في زيد منطلق في ان الذي هو زيد

هو بعينه منطلق والا كان زيد اسد مجرد تعديد نحو جبل فرس لما سا الكن العقل يابا

ان يكون الذي هو انسان هو بعينه اسدًا فيلزم له شياع حمل اسم الجنس وصفًا

حتى يصح اسناده الى المبتدأ المعبر الى التشبيه بحذف كلمته فتصل الى المبالغة

واذا عرفت ان وجود طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه عرفت

ان تقدير كلمة التشبيه لا يؤثر له في الظاهر وعرفت ان نحو رأيت بفلان اسدًا

ولقيني منه اسد وهو اسد في صورة انسان واذا نظرت اليه لم تر الا اسدًا

وان رأيته عرفت جبهة الاسد ولئن لقيته ليلقينك منه الاسد وان اردت اسدًا

فعليك بفلان وانما هو اسد وليس هو آدميًا بل هو اسد كل ذلك تشبيهات

لا فرق الا في شان المبالغة والخيط الابيض والخيط الاسود في قوله تعالى حتى

يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يعد ان من باب التشبيه حيث

بيّنا بقوله من الفجر ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة والحاصل من مراتب

التشبيه ثمان احديها ذكر اركانه الاربعة وهي المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه

ووجه التشبيه كقولك زيد كالاسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة وثانيتها

ترك المشبه كقولك كالاسد في الشجاعة وهي كالاولى في عدم القوة وثالثتها ترك

ترك كلمة التشبيه كقولك زيد اسد في الشجاعة وفيها نوع قوة ورابعتها ترك المشبه

وكلمة التشبيه كقولك اسد في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد وهي كالثالثة في

القوة وخامستها ترك وجه التشبيه كقولك زيد كالاسد وهي ايضا قوية لعموم وجه

الشبه وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه كقولك كالاسد في موضع الخبر عن

زيد وحكمها حكم الخامسة وسابعتها كلمة التشبيه ووجه التشبيه في الذكر كقولك

زيد اسد وهي اقوى الكل وثامنتها افراد المشبه به في الذكر كقولك اسد في الخبر

عن زيد وهي كالسابعة واعلم ان التشبه قد ينتزع من نفس التضاد نظرًا

الى اشتراك الضدين فيه من حيث اتصاف كل واحد منهما بمضادة صاحبه

ثم ينزل منزلة شبه التناسب بواسطة تمليح او تهكم فيقال للجبان ما اشبهه بالاسد

وللبخيل انه حاتم ثان والله المستعان

الاصل الثاني من علم البيان

المجاز ويتضمن التعرض للحقيقة والكلام في ذلك مفتقر الى تقديم التعرض لوجه دلالات

الكلم على مفهوماتها ولمعنى الوضع والواضع من المعلوم ان دلالة اللفظ على مسمى

دون مسمى مع استواء نسبته اليهما يمتنع فيلزم الاختصاص باحدهما ضرورة والاختصاص

لكونه امرا ممكنا يستدعي في تحققه مؤثرا مخصصا وذلك المخصص بحكم التقسيم العقلي
اما الذات او غيرها وغيرها اما الله تعالى او غيره ثم ان في السلف من يحكى عنه اختيار
الاول ومنهم من اختار الثاني ومنهم من اختار الثالث والمحققون المتأخرون على فساد الرأي
الاول ولعمري انه فاسد فان دلالة اللفظ على معنى لو كانت لذاته كدلالته على
اللافظ وانك لتعلم ان ما بالذات لا يزول بالغير لكان يمتنع نقله الى المجاز وكذا الى جعله
علما ولو كانت دلالته ذاتية لكان يجب امتناع ان لا تدل على معاني الهندية كلماتها
وجب امتناع ان لا تدل على اللافظ لامتناع انفكاك الدليل عن المدلول ولكان يمتنع
اشتمال اللفظ على متنافيين كالناهل للعطشان وللريان على ما سمعه من الاصحاب
لا معنى لما تقدم لي ان تذكرت وكالجون للاسود وللابيض وكالقرء للحيض وللطهر و
وانما لها الاستلزام بثبوت المعنى مع استغنائه متى قلت هو ناهل او جون وجوه نساره
اظهر من ان يخفى واكثر من ان يحصى ما دام محمولا على الظاهر ولكن الذي يدور في خلدي
منه انه وكانه تنبيه على ما عليه ائمة علم الاشتقاق والنحو رحمهم الله ان للحروف
في انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك

ذلك مستدعية في حق المحيط بها علما ان لا يسوى بينهما واذا اخذ في تعيين شيء
منها لمعنى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة مثل ما ترى في الفصم
بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير ان يبين والقصم بالقاف الذي هو حرف
شديد لكسر الشيء حتى يبين وفي الثلم بالميم الذي هو حرف ما بين للخلل في
الجدار والثلب بالباء الذي هو شديد للخلل في العرض وفي الزفير بالفاء لصوت
الحمار والزئير بالهمزة الذي هو شديد لصوت الاسد وما شاكل ذلك وان للتركيبات
كالفعلان والفعلى بتحريك العين فيهما مثل النزوان والحيدى وفعل مثل شرف
وغير ذلك خواص ايضا فيلزم فيها ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تأثير لـ
نفس الكلم في اختصاصها بالمعاني هذا والحق بعد اما التوقيف او الالهام
قولا بان المخصص هو الله تعالى واما الوضع والاصطلاح قولا باسناد التخصيص الى
العقلاء والمرجع بالاخرة فيهما امر واحد وهو الوضع لكن الواضع اما الله عز وجل
واما غيره فالوضع عبارة عن تعيين اللفظة بازاء معنى بنفسها وقولي بنفسها
احتراز عن المجاز اذا عينته بازاء ما اردته بقرينة فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا

وإذا عرفت أن دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع وأن الوضع تعيين
الكلمة بإزاء معنى بنفسها وعندك علم أن دلالة معنى غير ممتنعة عرفت صحة أن
يستعمل الكلمة مطلوبا بها نفسها تارة معناها الذي هي موضوعة له ومطلوبا بها
أخرى معنى معناها بمعونة قرينة ويبنى كون الكلمة حقيقة ومجازا على ذا فالحقيقة
هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال
الأسد في الهيكل المخصوص فلفظ الأسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه وإنما ذكرت
هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة ففي الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة
له على أصح القولين ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازا لغويا لبناء دعوى المستعار
موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل كما ستحيط بجميع ذلك علما في موضعه بإذن
الله تعالى ولك أن تقول الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال
الأسد في الهيكل المخصوص أو القرء في أن لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما فهذا
ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسبا إلى الوضعين أما إذا خصصته بواحد إما
صريحا مثل أن تقول القرء بمعنى الطهر وإما استلزاما مثل أن تقول القرء لا بمعنى الحيض

135

فإنه يُنصب دليلا دالا بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عيّنه
بإزائه بنفسه وإنه لمظنة فضل تأمل منك فاحفظ وقولي دلالة ظاهرة
احتراز عن الاستعارة وستعرف وجه الاحتراز في باب الاستعارة ولك
أن تقول الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق والحقيقة تنقسم
عند العلماء إلى لغوية وشرعية وعرفية والسبب في انقسامها هذا هو ما
عرفت أن اللفظة تمتنع أن تدل على مسمى من غير وضع فمتى رأيتها دالة لم تشك في
أن لها وضعا وأن لوضعها صاحبا فالحقيقة لدلالتها على المعنى تستدعي
صاحب وضع قطعا فمتى تعين عندك نسبت الحقيقة إليه فقلت لغوية إن
كان صاحب وضعها واضع اللغة وقلت شرعية إن كان صاحب وضعها الشارع
ومتى لم يتعين قلت عرفية وهذا المأخذ يعرفك أن انقسام الحقيقة إلى أكثر مما
هي منقسمة إليه غير ممتنع في نفس الأمر وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة
في غير ما هي له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة
مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع وقولي بالتحقيق احترازا أن لا يخرج

الاستعارة التي هي من باب المجاز نظراً الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة
له وقيل استعملت في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها احترازاً عما اذا اتفق كونها
مستعملة فيما تكون موضوعة له لا بالنسبة الى نوع حقيقتها كما اذا استعمل صاحب
اللغة لفظ الغائط مجازاً فيما ينفصل عن الانسان من منهضم متناوله او كما اذا
استعار صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعاء او صاحب العرف الدابة
للحمار والمراد بنوع حقيقتها اللغوية ان كانت اياها او الشرعية او العرفية ايتها كانت
وقوله مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع احتراز عن الكناية
فان الكناية كما ستعرف تستعمل ويراد بها المكنى عنه فيقع مستعملة في غير ما هي
له موضوعة مع انا لا نسميها مجازاً لعرائها عن هذا القيد وذلك ان نقول المجاز
هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالاً في الغير
بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة ما تدل عليه بنفسها في
ذلك النوع وذلك ان نقول المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق
استعمالاً في ذلك بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في

ذلك النوع واعلم انا لا نقول في عرفنا استعملت الكلمة فيما تدل عليه او
في غير ما تدل عليه حتى يكون الغرض الاصلي طلب دلالتها على المستعمل
فيه ومن حق الكلمة في الحقيقة التي ليست بكناية ان تستغني في الدلالة
على المراد منها بنفسها عن الغير لتعينها له بجهة الوضع فلا يظن بالمشترك
من الاحتياج الى القرينة في دلالته على ما هو معناه فقد عرفت ان ما هو
منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين وضعين وحق
الكلمة في المجاز ان لا تستغني عن الغير في الدلالة على ما يراد منها لتعينها له ذلك
الغير وسميت الحقيقة حقيقة لمكان التناسب وهو ان الحقيقة اما فعيل
بمعنى مفعول من حققت الشيء احقه اذا اثبته فمعناها المثبت والكلمة
متى استعملت فيما كانت موضوعة له دالة عليه بنفسها كانت مثبتة في
موضعها الاصلي واما فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء يحق اذا وجب فمعناها
الواجب الثابت والكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له ثابتة في موضعها
الاصلي واجب لها ذلك واما التاء فهو عندك للتانيث في الوجهين لتقدير لفظ

الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرا على الموصوف معوا الكلمة وكذلك

المجاز سمي مجازا لجهة التناسب لان المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه اذا تعداه

والكلمة اذا استعملت في غير ما هي موضوعة له وهو مما لم يدل عليه بنفسها فقد

تعدت موضعها الاصلي واعتبار التناسب في التسمية منزلة اقدام ربما شاهدت

فيها من الزلل ما تعجبت فاياك والتسوية بين تسمية انسان له حمرة باحمر وبين

وصفه باحمر ان تزل فان اعتبار المعنى في التسمية لترجيح الاسم على غيره حال

تخصيصه بالمسمى واعتبار المعنى في الوصف لصحة اطلاقه عليه فانى احلهما

عن الآخر وان كنت استوا انهم سمعونا نقول الله عز وجل سمي الله لكونه مجازا عقول

اشتقاقا من كذا او لكونه معبودا اشتقاقا من كذا فظنوا انا اساونا فاخذوا

يرمون والمرمي حيث باتوا وطلقوا اله الخلق غفرا وتحد الحقيقة والمجاز عند اصحابنا

في هذا النوع بغير ما ذكرت تحدون الحقيقة هكذا كل كلمة اريد بها ما وقعت له

في وضع واضع وقوعا لا تستند فيه الى غيره وانما يقولون واضع بالتنكير دون التعريف

ليعم واضع اللغة وغيره من اصحاب الاوضاع المتاخرة عن وضع اللغة والتصريف

في فيه نعود الى الوقوع و في غيره نعود الى الوضع وانما يذكرون هذا القيد تقريرا

للمعنى الاول مثل ان تقولوا كل كلمة اريد بها ما وقعت له في وضع واضع لما

وقعت له في غير وضع واضع والذي تقع له الكلمة في غير الوضع هو ما تناوله

عقلا بوساطة الوضع كما اذا وقعت للعشرة مثلا في الوضع فانها تكون واقعة

لخمسة وخمسة الا انها في وقوعها لخمسة وخمسة تستند الى غير الوضع وهو العقل

وتحدون المجاز هكذا كل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضع واضع للملاحظة

بين الثاني والاول فتامل فوائد قولهم واعلم ان الكلمة حال وضعها اللغوي

لما عرفت من ان الحقيقة ترجع الى اثبات الكلمة في موضعها وان المجاز يرجع الى

اخراج الكلمة عن موضعها حقها ان لا تسمى حقيقة ولا مجازا كالجسم حال الحدوث

لا يسمى ساكنا ولا متحركا واما حال الوضعين الآخرين فحقها كذلك لكن في الاول

بالاطلاق في الآخرين تقييد الحقيقة بنوعها مثل ان تقال لا تكون حقيقة

شرعية ولا مجازها ولا تكون حقيقة عرفية ولا مجازها وان كان الاطلاق لا يحتمل

واذ قد تقدم اليك ما احاطت به معرفتك فنلحق ان نشير الذنب للخبيص ما عند السلف

فی الاصلین وتخلیصه مما یقع من الحشو فی البین وان نسوقه الیک مرتبا تربیبا یقید

اوابد فوائدهم مقررا نزرا بسیطا للتمام عن وجوه فوائدهم فاعلیس ذلک لنطلعک

علی کنه ما اجروا الیه ونعرفک علی شانو ماند انا خوالدیه منهبین فی اثار المساق

علی ما یرونه وما نحن نراه فاذا استناخا من کال تاملک فی بحبوحة ذراه آثرت

عن استطلاع طلعیهما اتابیت اعلم ان المجاز عند السلف من علماء هذا الفن

قسمان لغوی وهو ما تقدم ویسمی مجازا فی المفرد وعقلی وسیاتیک تعریفه ویسمی مجازا

فی الجملة واللغوی قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها والمتضمن للفائدة قسمان

خال عن المبالغة فی التشبیه ومتضمن لها وانه یسمی الاستعارة ولها انقسامات

وهذه فصول خمسة مجاز لغوی معنوی مفید خال عن المبالغة فی التشبیه استعارة

مجاز لغوی راجع الی حکم الکلمة مجاز عقلی ویتلوه الکلام فی الحقیقة العقلیة وانا

اسوق الیک هذه الفصول بعون الله وهو المستعان **الفصل**

الاول المجاز اللغوی الراجع الی معنی الکلمة غیر المفید هو ان تکون الکلمة موضوعة

لحقیقة من الحقائق مع قید فتستعملها لتلک الحقیقة لا مع ذلک القید بمعونة القرینة

البعد بمعونة القرینة مثل ان تستعمل المرسن وانه موضوع لمعنی الانف مع قید

ان یکون انف مرسون استعمال الانف من غیر زیادة قید بمعونة القرائن کقول العجاج

وفاحما ومرسنا مسرجا یعنی انفا یبرق کالسراج او مثل المشفر وهو موضوع للشفة

مع قید ان تکون شفة بعیر استعمال الشفة فتقول فلان غلیظ المشفر فی ضمن

قرینة دالة علی ان المراد هو الشفة لا غیر او مثل ان یستعمل الحافر وانه موضوع

للرجل مع قید ان یکون رجل فرس او حمار استعمال الرجل بالاطلاق اعتمادا

علی دلالة القرائن علی ذلک یسمی هذا القبیل مجازا لتعدیه عن مکانه الاصلی بحکم الوضع

وغیر مفید ومعنویا لتعلقه بالمعنی لا بالحکم کالذی سیاتیک ولغویا لاختصاصه

بمکانه الاصلی بحکم الوضع وغیر مفید لقیامه مقام احد المترادفین من نحو لیث واسد

وحبس ومنع عند المصیر الی المراد منه **الفصل الثانی** المجاز اللغوی

الراجع الی المعنی المفید الخالی عن المبالغة فی التشبیه هو ان تعدی الکلمة عن مفهومها

الاصلی بمعونة القرینة الی غیره لملاحظة بینهما ونوع تعلق نحو ان تراد النعمة بالید

وهی موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حیث انها تصدر عن الید

ومنها تصل لما المقصود بها وكذا اذا اردت القوة او القدرة بها لان القدرة اكثر
ما يظهر سلطانها في اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع و
غير ذلك من الافاعيل التي تخبر فضل اخبار عن وجود القدرة وتنبئ عن
مكانها ثم ابنا ولذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة
ونحو ان تراد المزادة بالراوية وهي في الاصل اسم للبعير الذي يحملها للعلاقة الحاصلة
بينها وبينه بسبب حمله اياها وان يراد البعير بالحفض وهو متاع البيت بنحو من
الجهة المذكورة ونحو ان يراد الرجل بالعين اذا كان ربيئة من حيث ان العين لما كانت
المقصود في كون الرجل ربيئة صارت كانها الشخص كله ونحو ان يراد النبت
بالغيث كما يقولون رعينا الغيث لكون الغيث سببا فيه ونحو ان يراد الغيث
بالسماء لكونه من جهتها يقولون اصابتنا السماء اي الغيث ونحو ان يراد الغيث
بالنبات كقولك امطرت السماء نباتا لكون الغيث سببا فيه او بالسنام كقول من قال
اسنمة الآبال في سحابه ومن هذا يعرف وجه تفسير من فسر انزال الانعام في قوله
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج بانزال الماء لاسيما اذا نظر الى ما ورد من كل ما

139

ماء في الارض فهو من السماء ينزله جل وعلا منها الى الصخرة ثم تقسمه وقيل
هذا معنى قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ومما يجيء
فيه قوله وينزل لكم من السماء رزقا اي مطرا هو سبب الرزق وقوله وفي
السماء رزقكم ومما ينخرط في هذا السلك هداه الله اي لطف به واضله الله
اي خذله بمنع الطافه لكونها في حقه عبثا وقوله عن سلطانه فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اي العناد المستلزم للنار وقوله انما ياكلون في
بطونهم نارا اي استلزام اموال اليتامى اياها وقول القائل ياكلن كل ليلة اكافا
اي علفا ثمن اكاف للتعلق بين ذلك العلف وبين الاكاف وقولهم اكل فلان الدم
اي الدية للتعلق بينهما ومن امثلة المجاز قوله تع فاذا قرات القرآن فاستعذ
بالله استعملت قرات مكان اردت القراءة لكون القراءة مسببة عن ارادتها
استعمالا مجازيا بقرينة الفاء في فاستعذ والسنة المستفيضة بتقدم
الاستعاذة ولا تلتفت الى من يوخر الاستعاذة وذلك لضيق العطن ومما
قوله ونادى نوح ربه في موضع اراد نداء ربه بقرينة فقال رب وقوله وكم من قرية

اهلكناها في موضع اردنا اهلاكها بقرينة فجاءها بأسنا والبأس الهلاك وقوله

وحرام على قرية اهلكناها في موضع اردنا اهلاكها بقرينة انهم لا يرجعون اي عن

معاصيهم للخذلان ومنه ما امنت قبلهم من قرية اردنا اهلاكها لا يؤمن احد

منهم افهم لا يؤمنون وما ادل نظم الكلام على الوعيد بالاهلاك اما بين الانكار

في انهم يؤمنون لم يقع في المحز الاسعد يدل على ان قبلكم وانما حلت الامتناع

عما ذكرت على ضيق العطن لانه متى جرى فيما هو ابعد جريا مستفيضا يكاد

يدل من اذا تكلم بخلافه لمن صلى لغير قبلة اليس كل احد يقول للحفار ضيق

فم الركية وعليه فقس والتضييق كالتشديد عملك الراجح هو الغمس من السعة

الى الضيق ولا سعة هناك اما الذي هناك هو مجرد تجويز ان يريد الحفار التوسعة

فنزل مجوز مراده منزلة الواقع ثم يامره بتغييره الى الضيق اما يجب ان يكون في

الاقرب اجرى واحرى وامثال ذلك مما تعدى الكلمة بمعونة القرينة عن معناها

الاصلي الى غيره لتعلق بينهما بوجه قويا كان او ضعيفا واضحا او خفيا والتعلق

بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه يحتمل عندي ان يكون متعلق

140

في قوله علت كلمته ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك مرادا به ما دعاك الى ان لا

تسجد وان تكون لا غير صلة قرينة للمجاز ونظيره ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا

تتبعني ومن امثلة المجاز المستغنى منه في باب الاستثناء وتحقيق الكلام في ذلك

مفتقر الى التعرض للتناقض وستنشعب من علم المعاني شعبة تنجر المصير الى

ما له وعليه فالراي ان نؤخر الكلام في الاستثناء الى الفراغ عن تلك الشعبة

وهي شعبة علم الاستدلال وتسميته مجازا ولغويا ومعنويا لما تقدم ومفيدا لتضمنه

تشبيه شاهد لتحقق ما انت تريد به تشبيها تلك تقرير هذا المعنى في الاصل

الثالث باذن الله تعالى واما معنى كونه خاليا عن المبالغة في التشبيه فتوضحه

الفصل الذي يليه **الفصل الثالث** في الاستعارة الاستعارة

هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه

في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في

الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسود فتثبت للشجاع ما يخص

المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر او كما تقول

ان المنية انشبت اظفارها، وانت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها
وانكار ان يكون شيئا غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الاظفار وسمى
هذا النوع من المجاز استعارة لمكان المناسبة بينه وبين معنى الاستعارة وذلك
انا متى ادعينا في المشبه كونه داخلا في حقيقة المشبه به فردا من افرادها
برز فيما صادف من جانب المشبه به سواء كان اسم جنسه وحقيقته او لوازما
من لوازمها في معرض نفس المشبه به نظرا الى ظاهر الحال من الدعوى فالشجاع
حال كونه فردا من افراد حقيقة الاسد يكتسي اسم الاسد اكتساء الهيكل المخصوص
اياه نظرا الى الدعوى والمنية حال دعوى كونها داخلة في حقيقة السبع اذا
اثبت لها مخلب او ناب ظهر في ذلك ظهور نفس السبع معه في انه كذلك ينبغي
وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخلب او الناب مع المنية المدعى انها سبع تبرز
في تسميتها باسم المخلب بروز الصورة المحققة المسماة باسم المخلب من غير فرق نظرا
الى الدعوى وهذا شان العارية فان المستعير يبرز معها في معرض المستعار
منه لا يتفاوتان الا في ان احدهما اذا فتش عنها مالك والاخر ليس كذلك وههنا

ههنا سؤال وجواب تسمعهما في فصل الاستعارة بالكناية وسمي المشبه به
سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا منه واسمه مستعارا والمشبه
به مستعارا له والذي فرع سمعك من ان الاستعارة تعتمد ادخال المستعار
له في جنس المستعار منه هو السر في امتناع دخول الاستعارة في الاعلام
اللهم الا اذا تضمنت نوع وصفية لسبب خارج تضمن اسم حاتم الجود
ومادر البخل وما جرى مجراهما واما عد هذا النوع لغويا فعلى احد القولين وهو
المنصور كما ستقف عليه وكان شيخنا الحاتمي تغمده الله برضوانه احد ناصريه
فان لهم فيه قولين احدهما انه لغوي نظرا الى استعمال الاسد في غير ما وضع
له عند التحقيق فانا وان ادعينا للشجاع الاسدية ولا تجاوز حديث الشجاعة
حتى ندعي للرجل صورة الاسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وانيابه وما له
من سائر ذلك من الصفات البادية للحواس لا بصار ولئن كانت الشجاعة
من اخص اوصاف الاسد وامكنها لكن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل
لها في مثل تلك الجثة وتلك الصورة والهيئة وهاتيك الانياب والمخالب الى غير ذلك

من الصور الخاصة في جوارحه جمع ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة التي

تعرفها لكان صفة لا اسما ولكان استعماله فيمن كان على غاية قوة البطش ونهاية

جرأة المقلم من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه وللماضي يعرف في

الاستعارة اذ ذاك البتة ولم ينقلب المطلوب بنصب القرائن على منع

الكلمة عن حملها على ما هي موضوعة له لما اجاب حملها على ما هي موضوعة

له وثانيهما انه ليس بلغوي نظرا الى الدعوى فان كونه لغويا يستدعي كون

الكلمة مستعملة في غير ما هي موضوعة له ويمتنع مع ادعاء الاسدية للرجل و

انه داخل في جنس الاسود فرد من افراد حقيقة الاسد وكذا مع ادعاء

كون الصبيح الكامل الصباحة انه شمس وانه قمر وليس البتة شيئا غيرهما

ان يكون اطلاق اسم الاسد على ذلك عن اعتراف بانه رجل او اطلاق اسم

الشمس او القمر على هذا عن اعتراف بانه آدمي لقدح ذلك في الدعوى وقل

بل مع الاعتراف بانه آدمي غير شمس وغير قمر في الحقيقة انى يكون موضع

تعجب قوله، قامت تظللني من الشمس، نفس اعز علي من نفسي، قامت

، قامت تظللني ومن عجب، شمس تظللني من الشمس، او موضع نهي عن التعجب

قوله، لا تعجبوا من بلى غلالته، قد زر ازراره على القمر، وقوله، ترى الثياب من الكتان يلمحها

، نور من البدر احيانا فيبليها، فكيف تنكر ان تبلى معاجرها، والبدر في كل وقت طالع فيها،

ومع الاصرار على دعوى انه اسد وانه شمس وانه قمر يمتنع ان يقال لم يستعمل

الكلمة فيما هي موضوعة له ومما ازيد به الامام عبد القاهر قدس الله روحه

لهذا النوع من اللغوي تارة ومن العقلي اخرى على هذين الجهتين جزاه الله

افضل الجزاء فهو الذي لا يزال ينور القلوب في مستودعات لطائف نظمه

لمبانيه لو تعلمها وارشادا للكل اذا وقفت على وجه التوفيق من اصرار المستعير

على ادعائه الاسدية للرجل ومن نصبه في ضمن الكلام قرينة دالة على انه

ليس الهيكل المخصوص مصدقة عنده كشف لك الغطاء اعلم ان وجه

التوفيق هو ان تبني دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس

الاسد قسمان بطريق التاويل متعارف وهو الذي له غاية جرأة المقدم

ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة وغير متعارف وهو الذي له تلك

الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب
المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من
جنس الطير حيث قال «نحن قوم ملجن في زي ناس * فوق طير لها شخوص الجمال»
مستشهدا لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية والتاويلات المناسبة من نحو حكمهم
اذا راوا اسدا هرب عن ذئب انه ليس باسد واذا راوا انسانا لا تقاومه
احد انه ليس بانسان وانما هو اسد في صورة انسان وان تخصص تصديق
القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق الى الفهم لتعين ما انت تستعمل
الاسد فيه ومن البناء على هذا النوع قوله «تحية بينهم ضرب وجيع» وقولهم
عتابك السيف وقوله عز وعلا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
على ما ستسمع هذا الاصل في فصل المستثنى منه ان شاء الله تعالى ومنه قوله
«وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس» والاستعارة لبناء الدعوى
فيها على التاويل تفارق الدعوى الباطلة فان صاحبها يتبرأ عن التاويل
وتفارق الكذب بنصب القرينة المانعة عن اجراء الكلام على ظاهره فان الكذاب

لا ينصب دليلا على خلاف زعمه ولمن بنصب وهو لترويج ما يقول
راكب كل صعب وذلول واذ قد عرفت ما كان يتعلق ببيان وصف الاستعارة
ووجه تسميتها استعارة وتقرير اسنادها الى اللغة ومفارقتها للدعوى
الباطلة وللكذب فاعلم ان الاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكني عنها
والمراد بالاول هو ان يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به
والمراد بالثاني ان يكون الطرف المذكور هو المشبه والمصرح بها تنقسم الى
تحقيقية وتخييلية والمراد بالتحقيقية ان يكون المشبه المتروك متحققا اما
حسيا او عقليا والمراد بالتخييلية ان يكون المشبه المتروك شيئا وهميا محضا
لا تحقق له الا في مجرد الوهم ثم تنقسم كل واحدة منهما الى قطعية وهي ان يكون
المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي او عقلي او على ما لا تحقق له البتة
الا في الوهم والى احتمالية وهي ان يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على
ما له تحقق واخرى على ما لا تحقق له فهذه اقسام اربعة الاستعارة المصرح بها
التحقيقية مع القطع الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع الاستعارة المصرح بها

مع الاحتمال المحقق للتخييل الاستعارة بالكناية ثم ان الاستعارة ربما قسمت

الى اصلية وتبعية والمراد بالاصلية ان يكون معنى التشبيه داخلا في

المستعار دخولا اوليا والمراد بالتبعية ان لا يكون داخلا دخولا اوليا وربما

لحقها التجريد فسميت مجردة او الترشيح فسميت مرشحة فيجب ان نتكلم في هذه

الانقسامات وهي ثمانية القسم الاول في الاستعارة المصرح بها المحققة مع

القطع هي اذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة وهو في

احدهما اقوى منه في الاخر وانت تريد الحاق الاضعف بالاقوى على وجه

التسوية بينهما ان تدعي ملزوم الاضعف من جنس ملزوم الاقوى باطلاق اسمه

عليه وسد طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلا بذلك الى المطلوب

لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها فاعلا ذلك في ضمن قرينة

مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل

الغرض التشبيهي بانيا دعواك على التاويل المذكور ليمكن التوفيق بين دلالة

الافراد بالذكر وبين دلالة القرينة المتنافيتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة

144

الباطلة مثال ذلك ان يكون عندك شجاع وانت تريد ان تلحق جراته وقوته

بجراة الاسد وقوته فتدعي الاسدية له باطلاق اسمه عليه مفردا له في الذكر

فتقول رايت اسدا لئلا تعد جراته وقوته دون جراة الاسد وقوته مع نصب

قرينة مانعة عن ارادة الهيكل المخصوص به كيرمي او يتكلم او في الحمام او ان

يكون عندك وجه جميل وانت تريد ان تلحق وضوحه واشراقه وملاحة

استدارته بالبدر فتجعله بدرا باطلاق اسمه عليه مع افراده في الذكر قائلا

نظرت الى بدر يبتسم او ان يكون عندك عالم وانت تريد الحاق كثرة فوائده بعد

ما جرت العادة على تشبيه فوائد العلماء بالفرائد بكثرة فرائد البحر فتجعله بحرا

سالكا في ذلك المسلك المعهود او ان تريد الحاق عدل عادل في اباء التفاوت

بالميزان او بالقسطاس في ذلك فتدخله في جنس الميزان او القسطاس قائلا

ميزان اميرنا او قسطاسه لا يقبل التفاوت ومن الامثلة استعارة اسم احد

الضدين او النقيضين للاخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه

التناسب بطريق التهكم او التمليح على ما سبق في باب التشبيه ثم ادعاء

احدهما من جنس الآخر والافراد بالذكر ونصب القرينة كقولك ان فلانا تواترت
عليه البشارات بقتله ونهب ماله وسبي اولاده ويخص هذا النوع باسم الاستعارة
التهكمية او التمليحية واعلم ان قرينة الاستعارة ربما كانت معنى واحدا كالذي
رأيت في الامثلة المذكورة وربما كانت معاني مربوطا بعضها بالبعض كما في قوله
وصاعقة من نصله ينكفي بها على ارؤس الاقران خمس سحائب انظر حين اراد
استعارة السحائب لانامل الممدوح الخمس تخونا على ما جرت به العادة من تشبيه الجواد
بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال اخرى ماذا صنع ذكر ان هناك صاعقة ثم
قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران
ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد انامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما اراد من استعارة
السحائب للانامل ومن الامثلة استعارة وصف احدى صورتين منتزعتين من امرين
لوصف الاخرى مثل ان تجد انسانا استفتي في مسئلة فيهم تارة باطلاق اللسان ليجيب
ولا يهم اخرى فما كان صورة تردده هذا شبهتها بصورة تردد انسان قام ليذهب في امر
فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر اخرى ثم تدخل صورة المشبه في

في جنس صورة المشبه به روما للمبالغة في التشبيه فتكسوها وصف المشبه به
من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلا اراك ايها المفتي
تقدم رجلا وتؤخر اخرى وهذا هو الذي نسميه التمثيل على سبيل الاستعارة ولكون
الامثال كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا تجد التغيير اليها سبيلا فاعلم القسم
الثاني في الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع فهي ان تسمي باسم صورة متحققة
صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفردا في الذكر في ضمن قرينة مانعة
من حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا وذلك مثل
ان تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع ارواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة
بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيها بليغا حتى كانها
سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصورها بصورة السبع واختراع ما يلازم صورته
ويتم بها شكله من ضروب هيئات وفنون واعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال
السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الانياب والمخالب ثم تطلق على مخترعات
الوهم عندك اسامي المحققة على سبيل الافراد بالذكر وان تضيفها الى المنية قائلا مخالب

المنية وانياب المنية الشبيهة بالسبع ليكون اضافتها اليها قرينة مانعة
عن اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها او مثل ان تشبه
الحال اذا دلت على امر من الامور بالانسان الذى يتكلم فيعمل الوهم
فى الاختراع للحال ما قوام كلام المتكلم به وهو تصور صورة اللسان ثم تطلق
عليه اسم اللسان المحقق وتضيفه الى الحال فانه لسان الحال الشبيه بالمتكلم
ناطق بكذا او مثل ان تشبه حكما من الاحكام اذا صادفته واقعا مستتبعة امرى
وتابعا لرايه كيف شاء بالناقة المنقادة التابعة لمستتبعها كيف اراد فتثبت
له فى الوهم ما قوام ظهور انقياد الناقة به واتباعها المستتبع وهو صورة الزمام
فتطلق عليها اسم الزمام المحقق فانه زمام الحكم الشبيه بالناقة فى اتباع
المستتبع فى يد فلان القسم الثالث فى الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق
وللتخييل هى كما ذكر ما ان تكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من
وجه وعلى ما لا تحقق له من وجه اخر ونظيره قول زهير صحا القلب عن سلمى
واقصر باطله وعرى افراس الصبى ورواحله اراد ان يبين انه امسك عما كان

١٤٦

كان يرتكب اوان الصبى ومنع النفس عن التلبس بذلك معرضا بالاعراض
الكلى عن المعاودة لسلوك سبيل الغى وركوب مراكب الجهل فقال وعرى افراس
الصبى ورواحله اى ما تنبت آلة من آلاتها الحاج الى المهلة فى الركوب والارتكاب
قائمة كانما نوع فرضت من الانواع جرفة او غيرها متى طبت النفس على
اجتنابه ورفع القلب راسا عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه
فيقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات والادوات فيترتب
بذلك التعطيل تستولى عليها فتهلك وتضيع شيئا فشيئا حتى لا تكاد تجد فى
ادنى مدة اثرا منها ولا عينا فيعقبت لذلك معراة لا الة ولا اداة فحق قوله افراس
الصبى ورواحله ان تعد استعارة تخييلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطر
من تنزيل افراس الصبى ورواحله منزلة انياب المنية ومخالبها وان كان يحتمل
احتمالا بالتكلف ان تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعى النفوس
شهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات او عن الاسباب التى قلما
تتاخذ فى اتباع الغى وجرا ذيال البطالة الا اوان الصبى وكذلك قوله على كلمته

فاذا فهم اشد لباس الجوع الظاهر من اللباس عند اصحابنا الحمل على التخييل
وان كان يحتمل عندى ان يحمل على التحقيق وهو ان يستعار لما يلبسه الانسان
عند جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة القسم الرابع فى الاستعارة بالكناية
اهى كما عرفت ان تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب
قرينة تنصبها وهى ان تنسب اليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه به
المساوية مثل ان تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها على
سبيل الاستعارة التخييلية من لوازم المشبه به ما لا يكون الا له ليكون قرينة
دالة على المراد فتقول مخالب المنية نشبت بفلان طاويا لذكر المشبه به
وهو قولك الشبيهة بالسبع او مثل ان تقول لسان الحال ناطق بكذا تاركا لذكر
المشبه وهو قولك الشبيه بالمتكلم او تقول زمام الحكم فى يد فلان تترك
ذكر المشبه به وقد ظهر ان الاستعارة بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخييلية
هذا ما يدل عليه مساق كلام الاصحاب وستقف اذا انتهينا الى اخر
هذا الفصل على تفصيل ههنا وكانى بك لما قدمت ان الاستعارة تستدعى

تستدعى ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار منه دعوى اصرار وادعاء
انه كذلك مع الاصرار بانى الاعتراف بحقيقته والاستعارة بالكناية مبناها
على ذكر المشبه باسم جنسه ولا اعترافا بحقيقة الشئ اكمل من التنويه باسم
جنسه يختلج فى ضميرك ان الجمع بين الانكار البليغ وبين الاعتراف الكامل
فى ما يتسنى فالوجه فى ذلك هو انا نفعل ههنا باسم المشبه ما نفعل فى الاستعارة
بالتصريح بمسمى المشبه كما انا ندعى هناك الشجاع مسمى للفظ الاسد بارتكاب تاويل
على ما سبق حتى تهيأ التفصى عن التناقض فى الجمع بين ادعاء الاسدية وبين نصب
القرينة المانعة عن ارادة الهيكل المخصوص ندعى ههنا اسم المنية اسما للسبع
مرادفا له بارتكاب تاويل وهو ان المنية تدخل فى جنس السباع لاجل المبالغة
فى التشبيه بالطريق المعهود ثم نذهب على سبيل التخييل الى ان الواضع كيف
يصح منه ان يضع اسمين لحقيقة واحدة وان لا يكونا مترادفين فيتهيأ لنا بهذا
الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية القسم الخامس فى الاستعارة
الاصلية هى ان يكون المستعار اسم جنس كرجل واسد وكقيام وقعود ووجه كونها

اصلية هو ما عرفت ان الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار
منه وقد تقدم في باب التشبيه ان التشبيه ليس الا وصفا للمشبه بكونه
مشاركا للمشبه به في وجه والاصل في الموصوفية هي الحقايق مثل ما تقول
جسم ابيض او بياض صاف في جسم طويل او طول مفرط وانما قلت الاصل في
الموصوفية هي الحقايق ولم اقل لا يعقل الوصف الا للحقيقة فرارا لما فيه حيث
يقولون في نحو شجاع باسل وجواد فياض وعالم نحرير ان باسلا وصف للشجاع وفياضا
وصف لجواد ونحريرا وصف لعالم القسم السادس في الاستعارة التبعية هي ما
يقع في اسماء الاجناس كالافعال والصفات المشتقة منها وكالحروف بناء
على ان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا و
الافعال والصفات المشتقة منها والحروف عن ان توصف بمعزل فهذه
كلها عن احتمال الاستعارة بانفسها بمعزل واما المحتمل لها في الافعال والصفات
المشتقة منها فمصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة
هناك ثم تسري فيها واعني بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها

تفسيرها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية والى معناها انتهاء الغاية
وكي معناها الغرض فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض ليست معانيها
اذ لو كانت هي معانيها والانتهاء والابتداء والغرض اسماء لكانت هي ايضا
اسماء لان الكلمة اذا سميت اسما سميت لمعنى الاسمية لها وانما هي متعلقات
معانيها اي اذا افادت هذه الحروف معاني رجعت الى هذه بنوع استلزام
فلا تستعير الفعل الا بعد استعارة مصدره فلا تقول نطقت الحال بدل
دلت الا بعد تقدير استعارة نطق الناطق لدلالة الحال على الوجه الذي
عرفت من ادخال دلالة الحال في جنس نطق الناطق لقصد المبالغة
في التشبيه والحاق ايضاح دلالة الحال للمعنى بايضاح نطق الناطق له وكذا
اذا قلت الحال ناطقة بكذا بدل دالة على كذا ولذا قوله عز سلطانه فبشرهم
بعذاب اليم في الاستعارة التهكمية بدل فانذرهم وقول قوم شعيب عليه السلام
انك لانت الحليم الرشيد بدل السفيه الغوي لقراين احوالهم ومما نحن فيه
قولهم للشمس جونة لشدة ضوئها والجون الاسود وللغراب اعور لحدة بصره

وعلى هذا لا تستعير الحرف الا بعد تقدير الاستعارة في متعلق معناه فاذا
اردت استعارة لعل لغير معناها قدّرت الاستعارة في معنى الترجي ثم
استعملت هناك لعل مثل ان تبني على اصول العدل ذاهبا الى ان
الصانع حكيم تعالى وتقدس ان يكون في افعاله عبث بل كل ذلك حكمة
وصواب مفعول لغرض صحيح ما خلق الانسان الا لغرض الاحسان و
حين ركب فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب تركه والنفرة الحاملة على
ترك ما يجب فعله واودع عقله المضادة لهما حتى تتنازعه ايدي الدواعي
والصوارف فوقفت به حيث الحيرة لا متقدم له عنه ولا متأخر تخلله الحيرة ما
لا يورثه الا العناء اذا اتبع العقل وقع من النفس المشتهية النافرة
في عناء واذا اتبع النفس وقع من العقل الناهي الامر في عناء المخلص
هناك ما اوقعه في ورطة تلك الحيرة سفها ولا عبثا تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وانما فعل لغرض الاحسان وهو التكليف ليتمكن من اكتساب ما يحسن
فعله في حقه ابتداء من التعظيم العظيم مع الدوام في ضمن التمتع من انواع

انواع المشتهيات مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال
احد مخلصة ان يشوبها منغص ما فيكتسبه له بالقسر ولذلك وضع زمام
الاختيار في يده ممكنا اياه من فعل الطاعة والمعصية مريدا منه ان
يختار ما يثمر له تلك السعادة الابدية فتجانس ذلك جميع علله فتشبه
حال المكلف الممكن من فعل الطاعة والمعصية مع الارادة منه ان يطيع
باختياره بحال المرتجى المخير بين ان يفعل وان لا يفعل ثم تستعير لجانب المشبه
لعل جاعلا قرينة الاستعارة علم العالم الذات الذي لا يخفى عليه خافية بعلم
ما كان وما هو كائن وما سيكون فما خلق الله الخلق لعلهم يعبدون او لعلهم
يتقون وعليه قول رب العزة علام الغيوب يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ونظائره واذا اردت استعارة لام الغرض
قدرت الاستعارة في معنى الغرض ثم استعملت لام الغرض هناك مثل ان
يكون عندك ترتب وجود امر على امر من غير ان يكون الثاني مطلوبا بالاول
ويكون الاول غرضا فيه فتشبهه بترتب وجود بين امرين مطلوب بالاول

سيما البلغني ثم تستعمل للترتب المشبه كلمة الترتب المشبه به في ضمن

قرينة مانعة عن حملها على ما هي موضوعة له فيقول اذا اساء عاقلا فقد

احسن الى انسان ثم آذاه ذلك انه قد احسن اليه ليؤذيه ومن ذلك

قوله علت كلمته فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد ظهر مما

تحن فيه ان ربما في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حقها ان

تعد من باب الاستعارة التهكمية وان تعد تبعية على قول سيبويه في

رب واصلية على قول الاخفش وقد سبق ذكر هذا الخلاف في علم النحو

واعلم ان مدار قرينة الاستعارة التبعية في الافعال وما يتصل بها

على نسبتها الى الفاعل كقولك نطقت الحال او الى المفعول الاول كقول ابن

المعتز قتل البخل واحيا السماحا او الى الثاني المنصوب كقول الاخر

صبحنا الخزرجية مرهفات وقول الاخر نقريهم لهذميات او المجرور

كقوله علت كلمته فبشرهم بعذاب اليم او الى الجمع كقوله تقري الرياح رياض

الحزن مزهرة اذا سرى النوم في الاجفان ايقاظا هذا ما امكن من تلخيص كلام

الاصحاب في هذا الفصل ولو انهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية

من قسم الاستعارة بالكناية بان قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا

الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن

المتكلم بواسطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق

اليه قرينة الاستعارة كما تراهم في قوله واذا المنية انشبت اظفارها

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الاظفار لها

قرينة الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي ابطلت

حيوته بسيف او غير سيف فالتحق بالعدم وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة

الاستعارة ولو جعلوا ايضا اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات

اللطيفة الشهية على سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة

الاستعارة لكان اقرب الى الضبط فتدبره واذ قد عرفت ما ذكرت

فلا بأس ان احكي لك ما عند السلف في تعريف الاستعارة حدها عند

بعضهم تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة على جهة

النقل للابانة وعند الاكثر جعل الشئ الشئ لاجل المبالغة في التشبيه
كقولك رايت اسدا في الحمام وجعل الشئ للشئ لاجل المبالغة في التشبيه
كقولك لسان الحال وزمام الحكم ولا ازيد على الحكاية القسم السابع الثامن في
تجريد الاستعارة وترشيحها اعلم ان الاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم
تعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة واما الحقها بالتجريد او
الترشيح اذا عقبت بذلك ثم ان الضابط هناك اصل واحد وهو انك لا عرفت
ان الاستعارة لابد لها من مستعار له ومستعار منه فمتى عقبت بصفات
ملايمة للمستعار له او تفريع كلام ملايم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات
او تفريع كلام ملايم للمستعار منه سميت مرشحة مثالها في التجريد ان تقول
شاورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العضب وجاورت
بحرا ما اكثر علومه وما اجمعه للحقائق وما اوقفه على الدقائق ومثالها
في الترشيح ان تقول شاورت اسدا هصورا عظيم اللبدتين وافي البراثن
منكر الزئير وجاورت بحرا زاخرا الاوزال بتلاطم امواجه ولا يغيض فيضه ولا

151

ولا يبعد ذلك قعرة ولا اعني بالصفات الصفات النحوية بل الوصف المعنوي
كيف كان ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه
حتى لا يبالي ان تبني على علو القدر وسمو المنزلة بناك على العلو المكاني
والسمو كما فعل ابو تمام اذ قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
وابن الرومي اذ قال اعلم الناس بالنجوم بنو نو بخت علما لم ياتهم بالحساب
بل بان شاهدوا السماء سموا بترق في المكرمات الصعاب مبلغ لم يكن
ليبلغها الطالب الا بتلكم الاسباب وكما قال ايضا يا آل نوبخت لا عدمتكم
ولا تبدلت بعدكم بدلا ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بان قاس ولكن بان رقى فعلا اعلاكم في السماء مجدكم
فلستم تجهلون ما جهلا شافهتم البدر بالسوال عن الامر الى ان بلغتم زحلا
وتلزم المستعار له ما يلزم المستعار منه من التعجب او نفي التعجب مما يليق
الا بالمستعار منه كما فعل من قال قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني
من الشمس ومن قال لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر

ومن قال أتتني الشمس زائرةً ولم تكن تبرح الفلكا ومن قال ولم أر قبلي من
مشى البدر نحوه أو ما ترى هولاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم
وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم تجر منهم على بال ولا أرادوها ولا تطيف
بخيال وإذا كان أنواع التشبيه والاعتراف بالأصل يسوغون أن لا يبنوا
إلا على الفرع ويقولوا هي الشمس مسكنها في السماء فعزّ الفؤاد عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا أو يقولوا وعد البدر
بالزيارة ليلا فإذا ما وفى قضيت نذوري قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على
طلعة الصباح المنير قال لي لا أحب تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور
أو يقولوا قلت زوري وأرسلت أنا آتيك سحرة قلت فالليل كان أخفى وأدنى مسرة
فأجابت بحجة زادت القلب حسرة أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة فهم
لا تسوغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب وإذ قد عرفت أقسام الاستعارة
فاعلم أن الاستعارة لها شروط في الحسن إن صادفتها حسنت وإلا عريت
عن الحسن وربما اكتسبت قبحا وتلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه التي

سبق ذكرها في الأصل الأول المستعار له والمستعار منه في الاستعارة
بالتصريح التحقيقية والاستعارة بالكناية وأن لا تشمّها في كلامك من جانب
اللفظ رائحة من التشبيه ولذلك نوصي في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه
بين المستعار له والمستعار منه جليا بنفسه أو معروفا سائرا بين الأقوام و
إلا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والإلغاز
كما إذا قلت رأيت غوثا مستقيا أوان الغرس وأردت إنسانا موذيا في
صباه أو قلت رأيت إبلا مائة لا تكاد تجد فيها راحلة وأردت الناس وأما
حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة
لها كما في قولك فلان بين أنياب المنية ومخالبها ثم إذا انضم إليها المشاكلة
كما في قوله تعالى يد الله فوق أيديهم كانت أحسن وأحسن وقلما تحسن الحسن
البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت في قول الطائي لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد استعذبت ماء بكائي ولما أن الاستعارة مبناها على التشبيه
تتنوع الخمسة أنواع تنوع التشبيه إليها استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي

او بوجه عقلي واستعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس لمعقول واستعارة

[والمركب منها عقلي ايضا فلا يرد سوال الخطيب انه غير منحصر]

معقول لمحسوس فمن النوع الاول قوله تع واشتعل الراس شيبا فالمستعار منه

هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع بينهما هو الانبساط ولكنه في النار

اقوى فالطرفان حسيان ووجه الشبه حسي ومن الثاني قوله اذ ارسلنا عليهم

[استعارة بالكناية]

الريح العقيم فالمستعار له الريح والمستعار منه المراة والجامع منع ظهور النتيجة

والاثر فالطرفان حسيان ووجه الشبه عقلي وكذلك قوله واية لهم الليل نسلخ

منه النهار فالمستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلخ

[قال صاحب الايضاح المستعار له كشف الضوء عن مكان الليل والمستعار]

من جلدته فالطرفان حسيان والجامع كان لم تغن بالامس فالمستعار له الارض

[مثل الظهور عقلي]

المزخرفة المتزينة والمستعار منه النبات وهما حسيان والجامع الهلاك وهو امر

معقول وكذلك قوله تع حصيدا خامدين فاصل الخمود للنار ومن الثالث قوله تع

[لا الذكر الحصاد لتقدم بيانه]

من بعثنا من مرقدنا فالرقاد مستعار للموت وهما امران معقولان والجامع

عدم ظهور الافعال وقوله تع وقدمنا الى ما عملوا فالقدوم وهو مجي المسافر بعد مدة

مستعار للاخذ في الجزاء بعد الامهال وهما امران معقولان والجامع وقوع الملام

في البين وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان فالفراغ وهو الخلاص عن المهام والله

عز سلطانه لا يشغله شان عن شان وقع مستعار للاخذ في الجزاء وحده و

ذلك امر عقلي والطرفان عقليان وقوله تكاد تميز من الغيظ وكذا قوله سمعوا

[الفراغ والاخذ في الجزاء وحده]

لها تغيظا فالغيظ والتغيظ مستعاران من الحالة الوجدانية التي تدعو الى

الانتقام للحالة المتوهمة من نار الله اعاذنا الله منها برحمته وفضله وقوله و

لما سكت عن موسى الغضب فالمستعار منه هو امساك اللسان عن الكلام وانه

امر معقول والمستعار له تفاوت الغضب عن اشتداد الى السكون وانه ايضا

امر وجداني عقلي والجامع بينهما هو ان الانسان مع الغضب اذا اشتد وجد حالة

للغضب كانها تغريه واذا اسكن وجده كانه قد امسك عن الاغراء ومن الرابع

قوله عز اسمه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاصل استعمال القذف [رمي الحجارة]

والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب

الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي وقوله مستهم الباساء والضراء

[والجامع الاهلاك والتغيير] [شملتهم]

فاصل المساس في الاجسام ثم وقع مستعارا للمقاساة الشدة وقوله وضربت عليهم

[والجامع اللحوق]

الذلة والمسكنة فالمستعار منه ضرب الخيمة او ما شا كلها وانه امر حسي
والمستعار له التثبيت وانه امر عقلي وكذا قوله وزلزلوا فاصل الزلزال التحرك
التحرك العنيف ثم وقع مستعارا للشدة مما نالهم وقوله فاصدع بما تؤمر فالصدع
هو كسر الزجاجة ببذل الامكان وانه امر حسي مستعار لتبليغ الرسالة ببذل الامكان
وانه امر عقلي وقوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاصل الخوض في الماء
وقع مستعارا لذكر الآيات وكل خوض ذمه الله تعالى في القران فهو من هذا
القبيل وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون فالوادي مستعار للامر والهيمان من هام على وجهه اذا ذهب من العشق وغيره
للاشتغال به على سبيل التحير والمستعار منه في هذه الامثلة حسي والمستعار له
عقلي ومن الخامس قوله عز اسمه انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فالمستعار منه
التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع الاستعلاء المفرط
وقوله تعالى بريح صرصر عاتية فالعتو هنا مستعار استعارة الطغيان في المثال الاول
وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم فالنبذ وراء الظهر وهو ان تلقي الشي خلفك امر
حسي ثم وقع مستعارا للتعرض للغفلة وانه امر عقلي والجامع الزوال عن المشاهدة

المشاهدة وقوله تعالى فاحيينا به بلدة ميتا فالاحياء امر عقلي ثم وقع مستعارا
لاظهار النبات والاشجار والثمار وانه امر حسي وكذلك قوله تعالى فانشرنا به
بلدة ميتا اي احيينا واعلم ان الكلام في جميع ما ذكر من الامثلة في الانواع
الخمسة قول الاصحاب ولعل لي في البعض نظرا

الفصل الرابع

من فصول المجاز في المجاز اللغوي الراجع الى حكم للكلمة في الكلام هو عند السلف
رحمهم الله ان تكون الكلمة منقولة عن حكم لها اصلي الى غيره كما في قوله تعالى
وجاء ربك فالاصل وجاء امر ربك فالحكم الاصلي في الكلام لقوله ربك هو
الجر واما الرفع فمجاز وفي قوله تعالى واسأل القرية فالاصل واسأل اهل القرية
فالحكم الاصلي للقرية في الكلام هو الجر والنصب مجاز وفي قوله ليس كمثله شي
فالاصل ليس مثله شي بنصب مثله والجر مجاز وملاك هذا النوع على حرف واحد
وهو ان يكتسي الكلمة حركة لاجل حذف كلمة لا بد من معناها ولاجل اثبات
كلمة مستغنا عنها استغناء واضحا كالكاف في قوله تعالى ليس كمثله شي او الباء
في نحو بحسبك ان تفعل كذا ونحو كفى بالله دون الباء في نحو ليس زيد بمنطلق او ما زيد

بقام دراي في هذا النوع ان يعد ملحقا بالمجاز ومشبها به لما فيه من التشبيه

وهو اشتراكهما في التعدي عن الاصل لا غير اصل له ان يعد مجازا وسبب

هذا لم اذكر الحد شاملا له ولكن العهدة في ذلك على السلف

الفصل الخامس في المجاز العقلي

المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم

من الحكم فيه لضرب من التأويل افادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك انبت الربيع

البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند وبنى الوزير

القصر وانما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول خلاف ما عند

العقل لئلا يمتنع طرده بما اذا قال الدهري عن اعتقاد جهل او جاهل غيره

انبت الربيع البقل رائيا انبات البقل من الربيع فانه لا يسمى كلامه ذلك مجازا وان

كان بخلاف العقل في نفس الامر ولذلك لا تراهم يحملون نحو اشاب الصغير وافنى الكبير

كر الغداة ومر العشي على المجاز ما لم يعلموا او يغلب في ظنهم ان قائله ما قاله

عن اعتقاد او ما تراهم كيف استدلوا القول لذا النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي

علي ذنبا كله لم اصنع من ان رأت رأسي كراس الاصلع ميز عنه قنزعا عن قنزع جذب

جذب الليالي ابطئي او اسرعي حين نسب انحسار الشعر عن الراس الى

الزمان قائلا ميز عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالي لكونه مجازا لما اتبعه من

قوله افناه قيل الله للشمس اطلعي حتى اذا واراك افق فارجعي الشاهد

لنزاهته ان يريد حمل كلامه السابق على الظاهر وليلا يمتنع عكسه بنحو كسا

الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند فليس في العقل امتناع ان يكسو الخليفة

نفسه الكعبة ولا امتناع ان يهزم الامير الجند ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز

العقلي وانما قلت لضرب من التاويل ليحترز به عن الكذب فانه لا يسمى مجازا مع

كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم وانما قلت افادة للخلاف

لا بوساطة وضع ليحترز به عن المجاز اللغوي في صورة وهي اذا ادعي ان

انبت موضوع لاستعماله في القادر المختار او وضع لذلك فان المجاز حينئذ يسمى

لغويا وضعيا لا عقليا وانما قلت بوساطة وضع على التنكير دون ان اقول

الوضع ليشمل وضع اللغة ان ادعي ووضع غيرها ان ارتكب ولاجل هذه الصورة

لا يرى علماء هذا الفن يحكمون على نحو انبت الربيع البقل بكونه مجازا عقليا الا بعد بيان

ان صيغ الافعال في معنى نسبتها الى الفاعل ليست تدل على معنى سوى صدورها
عن شيء ما فاما ان يكون ذلك الشيء قادرا او غير قادر فليس بداخل في مفهوماتها
وضعا ويتبين ذلك بوجوه منها ان وضعها للاستعمال في القادر قيد ما نقل
عن احد من رواة اللغة وترك ذكر القيد دليل في العرف على الاطلاق و
حكم العقل بانه لا بد لها من مؤثر قادر ان لم يجعل دليلا في ترك تقييدها
بذلك في الوضع لعدم الحاجة اليه من اجل شهادة العقل فلا اقل من ان لا
يجعل دليلا في التقييد لا سيما والعقل يجوز في احيا واشاب وانبت وامثالها
صدورها عن القادر بواسطة مؤثر لا يكون موصوفا به بالقدرة ومنها ان نفعل
في قولهم فعل الربيع النور لو كان موضوعا للاستعمال في القادر ومن المعلوم ان التفاوت
بين الفعل ومصدره لا يكون الا بوجود الاقتران بالزمان لكان يلزم ان يكون قولنا
فعل النار في كذا كذا وفعل الماء في كذا كذا وفعل الدواء الفلاني كذا مجازا
معلوما لكل احد لكن ادعاء ذلك عن الانصاف بمعزل ومنها ان نحو خلق واحيا
واشاب وانبت لو كانت موضوعة للاستعمال في القادر بناء على حكم العقل بانها

بانها لا توجد الا باختيار مختار لكان نحو شغل الحيز وقبل العرض و
نافى الضد موضوعة للاستعمال في غير القادر بناء على حكم العقل
بان شغل الحيز وقبول العرض ومنافاة الضد ليست بالاختيار و
دعوى كونها موضوعة لذلك دعوى غير مسموعة من السلف وسمى
هذا النوع مجازا لتعدي الحكم فيه عن مكانه الاصلي فالحكم في انبت الربيع
البقل بكون الانبات فعلا للربيع مكانه الاصلي عند العقل كونه فعلا لله
عز وجل وفي هزم الامير الجند بكون هزم الجند فعلا للامير مكانه الاصلي
عند العقل كونه فعلا لعسكر الامير وسمى عقليا لا لغويا لعدم رجوعه
الى الوضع وكثيرا ما يسمى حكميا لتعلقه بالحكم كما ترى ومجازا في الاثبات ايضا
لتعلقه بالاثبات وليس من واجبات هذا المجاز ان يكون مكان الحكم
الاصلي فيه معلوما بنفس العقل كما في انبت الربيع البقل بل ان استعان
في علمه بذلك بامر غير الوضع كما في هزم الامير الجند وكسا الخليفة الكعبة
جاز ولم يخرجه من كونه عقليا لكن الاليق اطلاق اسم العقلي على الاول

واسم الحكمي او الاسنادي على الثاني واعلم ان هذا المجاز لرجوعه الى الحكم و
استدعاء الحكم محكوما به ومحكوما له واحتمال كل واحد منهما الحقيقة الوضعية
والمجاز الوضعي لا يزال يتردد بين اربع صور لا مزيد عليهن اما ان يكون المحكوم
به والمحكوم له حقيقتين وضعيتين واما ان يكونا مجازين وضعيين واما ان
يكون المحكوم به حقيقة وضعية والمحكوم له مجازا وضعيا واما بالعكس من
هذا مثال الاولى قولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة
الكعبة وهزم الامير الجند والمحكوم له وهو الربيع والطبيب والخليفة والامير
كل منها حقيقة وضعية مستعملة في مكانها الوضعي والمحكوم به وهو انبات
البقل وشفاء المريض وكسوة الكعبة وهزم الجند كل من ذلك حقيقة ايضا
وضعية مستعملة في مكانها الوضعي لا مجاز الا في مجرد الحكم كما ترى ومثال
الثانية قولك احيا الارض شباب الزمان وستر الكعبة البحر الفياض المحكوم له
وهو شباب الزمان والبحر الفياض مجازان وضعيان ونفس الحكم في
المثالين مجاز عقلي ومثال الثالثة انبت البقل شباب الزمان وكسا الكعبة البحر

البحر الفياض ومثال الرابعة احيا الربيع الارض وستر الخليفة الكعبة و
اعلم ان هذا المجاز الحكمي كثير الوقوع في كلام رب العزة قال عز من قائل
فما ربحت تجارتهم وقال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال فمنهم
من يقول ايكم زادته هذه ايمانا وقال تؤتي اكلها كل حين وقال حتى تضع
الحرب اوزارها وقال واخرجت الارض اثقالها باسناد الافعال في هذه الآيات
كلها الى غير ما هي لها عند العقل كما ترى زائلا الحكم العقلي فيها عن مكانه الاصلي
اذ مكانه الاصلي اسناد الربح الى اصحاب التجارة واسناد زيادة الايمان
الى العلم بالآيات واسناد ايتاء اكل الشجرة الى خالقها واسناد وضع اوزار
الحرب الى اصحاب الحرب واسناد اخراج اثقال الارض الى خالقها ولا يختلجن في
ذهنك بعد ان اتضح لك كون المجاز فرع اصل تحقق مجاز اياما كان بدون حقيقة
يكون متعديا عنها لامتناع تحقق فرع من غير اصل فلا تحوم في نحو سرتني رؤيتك
وهو اقدمني بلدك حق لي على فلان وقوله يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ان لا يكون لكل من هذه الافعال فاعل في

الله تعالى اذا انت اسندت الفعل اليه وجعلت الحكم واقعا في مكانه الاصلي عند العقل

ولكن حكم العقل فيها فانه ما شيء ارتضى لصحة استنادها نحو ذلك فاذا ارتضى في

نحو سرتني رؤيتك صحة استناد السرور للناس رزقك رؤيته واتاحها لك مولاه

عز وجل فقل اصل الكلام سرني الله وقت رؤيتك كما تقول في انبت الربيع البقل

اصل الكلام انبت الله البقل وقت الربيع وفي شفى الطبيب المريض اصل الكلام

شفى الله المريض عند علاج الطبيب واذا ارتضى في اقدمني بلدك حق لي على

فلان صحة استناد اقدمني الى نفسك على معنى اقدمني نفسي لاجل حق لي

على فلان اي قدمت لذلك كما تجوز بذلك فتقول حملتني نفسي على الطاعة

اي اطعت وحاصله يرجع الى معنى اقدمني قدرتي على القدوم والداعي

اليه الخالص فالفعل في وجوده للعلة المحتاج فيه الى ذي داع له اليه خالص وقد

نظير محبتك جاءت بي اليك الاصل جاءت بي نفسي اليك لمحبتك اي جئتك

لمحبتك ووجد المجيء اليك من نفسي لمحبتك واياك والظن باقدمني بلدك حق

لي على فلان ومحبتك جاءت بي اليك كونهما حقيقتين والفعلان فيهما مسندان كما

158

كما ترى الى مجرد الداعي والعقل لا يقبل الداعي فاعلا وانما يقبله محركا للفاعل

اعني المتصف بالقدرة وتمام تحقيق هذا المعنى يستدعي نوعا من العلوم غير

نوع علم البيان فليقتنع بهذا القدر واذا ارتضى في وصيرني هواك وبي

لجني تضرب المثل صحة استناد صيرني الى الله تعالى على معنى اهلكني الله تعالى ابتلاني بسبب

اتباعي هواك واذا ارتضى في يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا صحة استناد

يزيدك الى الله عز وجل على معنى يزيدك الله حسنا في وجهه لما اودعه من دقائق

الحسن والجمال يكال قلبه متى تأملت وتأنقت فقل فاعل اقدمني ذلك وفاعل

صيرني ويزيد هنا واما الحقيقة العقلية وتسمى حكمة ايضا واثباتية فهي الكلام المفاد

به ما عند المتكلم من الحكم فيه كقولك انبت الله البقل وشفى الله المريض وكسا الخليفة

الكعبة وهزم عسكر الامير الجند وبنى عمله الوزير القصر واما قلت ما عند

المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول ما في العقل من الحكم فيه ليتناول كلام الدهري

اذا قال انبت الربيع البقل رائيا اثبات البقل من الربيع وكلام الجاهل اذا قال

شفى الطبيب المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب حيث عدا منهما حقيقتين

مع كونهما غير معتدين لما في العقل من الحكم فيهما ومن اراد تفصيله ذاهبًا فيه طالبًا يغني

عقل المتكلم استتبع بهنات ومن حق هذا المجاز الحكمي ان يكون فيه للمسند اليه المذكور نوع

تعلق وشبه بالمسند اليه المتروك فانه لا يرتكب الا لذلك مثل ما ترى للربيع في انبات

الربيع البقل من نوع شبه بالفاعل المختار من دوران الانبات معه وجودًا وعدمًا نظرًا

الى عدم الانبات بدونه وقت الشتاء ووجوده مع مجيئه ودوران الفعل مع اختيار الفاعل

وجودًا وعدمًا ومثل ما ترى ايضًا للدواء في شفى الدواء المريض من دوران الشفاء

مع تناوله وجودًا وعدمًا وما ترى للخليفة في كسا الخليفة الكعبة من دوران كسوة البيت

مع امره وجودًا وعدمًا فان لم يكن هذا الشبه بين المذكور والمتروك كما ان قلت انبت

الربيع البقل وشفى الدواء المريض نسبت الى ما تنكره ولما تسمع من علماء هذا الفن

كثرًا في المجاز العقلي انه يكون مجازًا في الاثبات ربما اوهم اختصاصه بالخبر بلا تخصيصه

به وقيل في مثل ما اذا قلنا المني بعد ما اقنعت باليسير من الدنيا فطبت نفسًا عن

زخارفها ومحوت وساوس الفضول عن دفتر الخاطر وليس يهمني الآن غير التلافي

لما فرط فليفعل الدهر ما شاء وليختلف الفصول اختلافها فلينبت الربيع ما احب

ولتثمر الاشجار ابا اشتهت ولينضج الخريف ما ادرك فلست ابالي ان هذه

الاوامر باسرها من المجاز الحكمي واذا تأملت المجاز العقلي وجدت الحاصل

منه يرجع الى ايقاع نسبة في غير موضعها عند المتوقع لها من جهة العقل لضرب

من التأول مثل النسبة بين انبات البقل والربيع في الخبر والامر والنهي

والاستفهام وبين الهزم وبناء القصر في ذلك هذا كله تقرير للكلام في هذا الفصل

بحسب رأي الاصحاب من تقسيم المجاز الى لغوي وعقلي واما فالذي عندي هو نظم

هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن

الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة

كما عرفت وجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وبجعل الامير المدبر

لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية هذا هنا وقولي ذلك في فصل

الاستعارة التبعية وقولي في المجاز الراجع عند الاصحاب الى حكم للكلمة على

ما سبق اجعل المجاز كله لغويًا وينقسم عندي هكذا الى مفيد وغير مفيد والمفيد

الى استعارة وغير استعارة والاستعارة الى مصرح بها ومكنى عنها والمصرح

بها لا حقيقة وتخييلية والمكنى عنها ما قرينتها امر مقدر وهي كالانياب في
قولك انياب المنية وكنطقت في قولك نطقت الحال بكذا او امر محقق كالانبات
في قولك انبت الربيع البقل وكالهزم في قولك هزم الامير الجند والحقيقية و
التخييلية كلتاهما القطعية واحتماله للتحقيق والتخييل يحصل اقسام ثلثة
من ذلك حقيقية بالقطع تخييلية بالقطع حقيقية او تخييلية بالاحتمال واعلم
ان حد الحقيقة الحكمية والمجاز الحكمي عند اصحابنا رحمهم الله غير ما ذكرت حد الحقيقة الحكمية
عندهم كل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب
من التأول واذ قد عرفت ما ذكرت وما ذكروا فاختر ايهما شئت

على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه وحد المجاز الحكمي كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها

الاصل الثالث

من علم البيان في الكناية الكناية هي ترك التصريح
بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كما تقول فلان طويل
النجاد لينتقل منه الى ما هو ملزومه وهو طول القامة وكما تقول فلانة نؤوم الضحى لينتقل
حمايل السيف
منه الى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح
المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في امر المعاش وكفاية اسبابه

160

وتحصيل ما يحتاج اليه في تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من
نسائهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك وسمي هذا النوع
كناية لما فيه من اخفاء وجه التصريح ودلالة لكنى على ذلك لان كنى كيفما
تركبت دارت مع تأديه معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكني اذا لم يصرح
به ومنه الكنى وهي ابو فلان وابن فلان وام فلان وبنت فلان سميت كنى لما
فيها من اخفاء وجه التصريح باسمائهم الاعلام ومن ذلك نكى في العدو ينكي اذا
اوصل اليه مضارا من حيث لا يشعر بها ومنه نكايات الزمان لحوادثها الملمة اى النازلة
على بنيه من حيث لا يشعرون ومن ذلك الكين للحمة المستبطنة في فلهم فرج
المراة لخفائها ومن ذلك مقلوب الكين قلبا للكل لاخفاء الناس اياه واحترازهم
ان يصرحوا بلفظه فضلا ان يتكلموا معناه جهارا ثم ان الكناية تتفاوت الى تعريض
وتلويح ورمز وايماء واشارة وسياق احاديث يحسر لك اللثام عن وجه ذلك
والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين احدهما ان الكناية لا تنافي ارادة
الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك فلان طويل النجاد ان تريد طول نجاده من غير

عبارته مشعرة عن جواز عدم ارادة الحقيقة [illegible]
يشعر بان ارادة الحقيقة [illegible]

او تكلف تأويل مع ارادة طول قامته وفي قولك فلانة نؤوم الضحى ان تريد انها
تنام ضحى لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع ارادة كونها مخدومة مرفهة والمجاز
ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث ان تريد معنى الغيث وفي نحو قولك في
الحمام اسدا ان تريد معنى الاسد من غير تأويل ولان المجاز ملزوم قرينة معاندة [ارادة الحقيقة بلفظها]
لارادة الحقيقة كما عرفت وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء والثاني
ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال
من الملزوم الى اللازم كما سنعود اليها هنا المعنى عند ترجيح الكناية على التصريح واذ
قد سمعت ان الكناية تنقل فيها من اللازم الى الملزوم فاسمع ان المطلوب بالكناية
لا يخرج عن اقسام ثلثة احدها طلب نفس الموصوف وثانيها طلب نفس الصفة
وثالثها تخصيص الصفة بالموصوف والمراد بالوصف هنا الجود في الجواد
والكرم في الكريم والشجاعة في الشجاع وما جرى مجراها القسم الاول في الكناية المطلوب
بها نفس الموصوف الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد اخرى فالقريبة هي ان تتفق
في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متوصلا بها

الى ذلك الموصوف مثل ان تقول جاء المضياف وتريد زيدا لعارض
اختصاص للمضياف بزيد والبعيدة هي ان تتكلف اختصاصها بان تضم الصفة
الى لازم اخر واخر فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ما عدا مقصودك
فيه مثل ان تقول في الكناية [البعيدة] عن الانسان حي مستوي القامة عريض الاظفار
القسم الثاني في الكناية المطلوب بها نفس الصفة ان الكناية في هذا القسم
ايضا تقرب تارة وتبعد اخرى فالقريبة هي ان تنتقل الى مطلوبك من اقرب
لوازمه اليه مثل ان تقول فلان طويل نجاده او طويل النجاد متوصلا به
الى طول قامته ومثل ان تقول فلان كثير اضيافه او كثير الاضياف متوصلا به
الى انه مضياف واعلم ان بين قولنا طويل نجاده وقولنا طويل النجاد
فرقا وهو ان الاول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح فتأمل
واستعن في درك ما قلت بالبحث عن تذكير الوصف في نحو فلانة حسن
وجهها وعن تأنيثه في نحو فلانة حسنة الوجه وباستحضار ما تقدم الى
في نحو حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر في باب التشبيه

وان هذا النوع القريب تارة يكون واضحا كما في المثالين المذكورين وتارة
خفيا كما في قولهم عريض القفا كناية عن الابله وفي قولهم عريض الوسادة كناية
عن هذه الكناية واما البعيدة فهي ان تنتقل الى المطلوب من لازم بعيد بوسائط
لوازم متسلسلة مثل ان تقول كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر
من كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومن كثرة احراق الحطب
الى كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ الى كثرة الاكلة ومن كثرة الاكلة الى كثرة
الضيفان ثم من كثرة الضيفان الى انه مضياف فانظر بين الكناية وبين المطلوب
لها كم ترى من لوازم او مثل ان تقول جبان الكلب او مهزول الفصيل متوصلا
بذلك الى كونه مضيافا فانه كما قال ؎ وما يك فيّ من عيب فاني ؎
جبان الكلب مهزول الفصيل ؎ فان جبن الكلب عن الهرير في وجه من
يدنو من دار من هو بمرصد لان يعس دونها مع كون الهرير والنباح في وجه
من لا يعرف امرا طبيعيا له مركوزا في جبلته مشعر باستمرار تاديب له لامتناع
تغير الطبيعة وتفاوت الجبلة بموجب لا يقوى واستمرار تاديبه اي لا ينبح مشعر

مشعر باستمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه
واتصال مشاهدته لذلك مشعر بكون ساحته مقصدا اداني واقاص وكونه
كذلك مشعر بكمال شهرة صاحب الساحة بحسن قرى الاضياف فانظر
لزوم جبن الكلب للمضيافية كيف تجده بوساطة عدة لوازم وكذا هزال
الفصيل يلزم فقد الام وفقدها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما بالمتليات
لقوام اكثر مجاري امورهم بالابل يلزم كمال قوة الداعي الى نحرها واذ لا داعي
الى نحر المتليات اقوى من صرفها الى الطبائخ ومن صرف الطبائخ الى قرى الاضياف
فهزال الفصيل كما ترى يلزم المضيافية بعدة وسائط ومن هذا النوع ايضا
قول نصيب ؎ لعبد العزيز على قومه ؎ وغيرهم منن ظاهرة ؎
فبابك اسهل ابوابهم ؎ ودارك مأهولة عامرة ؎ وكلبك آنس بالزائرين ؎
من الام بالابنة الزائرة ؎ فانه حين اراد ان يكني عن وفور احسان عبد العزيز الى
الخاص والعام واتصال اياديه لذي القرب والبعيد جعل كلبه آنسا بالزائرين
ذلك الانس فدل بمعنى انسه ذلك بالزائرين على انهم عنده معارف فالكلب

لذي القرب والبعد

فالكلب لا بأنس الا بمن يعرف وذل بمعنى كونهم معارف عنده على اتصال

مشاهدته اياهم ليلاً ونهاراً وذل بعض ذلك على لزومهم سنة عبد العزيز

وذل بعض لزومهم سنته على تبسّي مباغيهم هنالك تسنيناً بالاتصال لا ينقطع

ثم ذل بعض ذلك على ما اراد فانظر كيف لوّح مع بعد المسافة بين انس الكلب

بالزائر وبين احسان عبد العزيز الوافر ونظيره قول نصيب مع زيادة لطف

قول الاخر • تراه اذا ما ابصر الضيف مقبلاً • يكلمه من حبه وهو اعجم •

ومنه قول ابن هرمة • لا امتع العوذ بالفصال • ولا ابتاع الا قريبة الاجل • ذل

قوله لا امتع العوذ بالفصال على انه لا يبقى لها فصالها فتنتفع بها من جهة استئناسها

بها وحصول الفرح الطبيعي لها في مشاهدتها اياها وما تستلح من حركاتها

لديها ويحتمل ان يريد لا ابقي العوذ بسبب فصالها نظراً لفصالها فتستلم عن الخ

فتنتفع بالفصال من هذه الجهة وذل بعض انه لا يبقيها على انه ينحرها وذل بعض

نحرها على انها يصرفها الى قرى الضيفان وكذا ذل بقوله قريبة الاجل على انها

لا تلبث عنده حية وذل بذلك على انه ينحرها ثم ذل بنحرها على معنى اضيف القسم

القسم الثالث في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف هي ايضا

تتفاوت في اللطف فتارة تكون لطيفة واخرى الطف اما اورده على امثلة

منها قول زياد الاعجم وهو لطيف • ان السماحة والمروءة والندى •

في قبة ضربت على ابن الحشرج • فانه حين اراد ان لا يصرح بتخصيص

السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج فيقول السماحة لابن الحشرج

والمروءة له والندى له فان الطريق الى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح

اما الاضافة او معناها واما الاسناد او معناه فالاضافة كقولك سماحة

ابن الحشرج او سماحته مظهراً كان المضاف اليه او مضمراً او معناها كقولك السماحة

لابن الحشرج او السماحة له والاسناد كقولك سمح ابن الحشرج او حصل

السماحة ومعناه كقولك ابن الحشرج سمح وقد يضمر ابن الحشرج في سمح العائد

اليه كما هو اعني تخصيص الصفة بالموصوف مصرح به في جميع ما تقدم من الامثلة

او ما ترى الوصف المكنى عنه وهو طول القامة بقولك طويل النجاد كيف

تجده مضافاً الى ضمير موصوفه في قولك زيد طويل نجاده وهو الهاء في نجاده

وهو الهاء في نجاده العائد الى زيد المطلوب تخصيص طول القامة به او مسنداً
الى ضمير موصوفه في قولك طويل النجاد وهو الضمير في طويل العائد الى الموصوف
او الوصف المكنى عنه وهو وفور الاحسان بانس الكلب بالزوار كيف تجعل
مضافاً الى ضمير موصوفه وهو عبد العزيز المخاطب المطلوب تخصيص وفور الاحسان
او الوصف المكنى عنه وهو المضيافية بلا امتاع العوذ بالفصال وابتياع قريبة
الاجل كيف تجعله مسنداً الى ضمير موصوفه وهو ضمير الحكاية الراجع الى ابن
هرمة المطلوب تخصيص المضيافية به ماذا اصنع جمع السماحة والمروة والندى
في قبة تنبيها بذلك ان محلها محل ذو قبة مجاورة بذلك اختصاصها بابن الحشرج
ثم لما راى غرضه ما كان يتم بذلك لوجود ذي قباب في الدنيا كثير بين جعل
القبة مضروبة على ابن الحشرج حتى تم غرضه ومنها قولهم المجد بين ثوبيه والكرم
بين برديه وقد يظن هذا من قسم زيد طويل نجاده وليس بذاك فطويل نجاده
باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد وطول النجاد كما تعرف
قائم مقام طول القامة فاذا صرح من بعد باثبات النجاد لزيد بالاضافة

بالاضافة كان ذلك تصريحا باثبات الطول لزيد وليس قولنا الكرم بين برديه
مفيداً اثبات الكرم للبردين حتى يماثل اذا اضيف الى زيد واثباته له انه تصريح
باثبات الكرم لزيد فتامل ومنها قوله وهو الطف والمجد يدعو ان يدوم لجيده
عقد مساعي ابن العميد نظامه انظر حين اراد ان يثبت المجد لابن العميد لا على
سبيل التصريح ماذا اصنع اثبت لابن العميد مساعي وجعلها نظام عقد وبين
ان مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد بتزيين
المجد ونبه بتزيينه اياه على اعتنائه بشانه اعني بشان المجد وعلى محبته له ونبه
بذلك على انه ماجد ولم يقنعه ذلك حتى جعل المجد المعرف تعريف الجنس داعيا
ان يدوم ذلك العقد لجيده فنبه بذلك على طلب حقيقة المجد دوام بقاء ابن
العميد ونبه بذلك على ان تزيينه والاعتناء بشانه مقصوران على ابن العميد
واكده ابلغ تاكيد وحاصله ان الشاعر جعل المجد متزينا في الملك بابن العميد
وجعل تزيينه به تخصيصا له به على نحو ما تقال تزينت الوزارة بفلان اذا
حصلت له ومنها قول الشنفرى الازدي في وصف امراة بالعفة يبيت بمنجاة من اللوم بيتها

اذا ما بيوت بالملامة حلت فانه حين اراد ان يبين عفافها وبراءة ساحتها

عن التهمة وكمال نجاتها عن ان تلام بنوع من الفجور على سبيل الكناية قصد الى

نفي النجاة عن اللوم ثم لما رآها غير مختصة بتلك العفيفة لوجود عفائف في

الدنيا كثيرة نسبها الى بيت يحيط بها تخصيصا للنجاة عن اللوم بها فقال بيت

بمنجاة من اللوم بيتها ولم يقل بطل قصدا للالزام لمزيد اختصاص بالفواحش

ومنه الليل في قول ابن هاني فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود

حيث يصير فانه اراد ان يجمع الجود له على سبيل التصريح وينبه للممدوح لا على

سبيل التصريح ايضا فعمد الى نفي الجود فنفى ان يكون متوزعا يقوم منه جزء بهذا

وجزء بذاك فنكر الجود قصدا الى فرد من افراد الحقيقة ونفى ان يجوز ممدوحه فقال

فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيها بذلك على ان لو جازه لكان قائما بمحل هناك لامتناع

قيامه بنفسه ثم لمثل هذا قال ولا حل دونه كناية بذلك عن عدم توزعه وتقسمه

ثم خصصه من بعد بجهة تلك الجهة لممدوحه بعد ان عرفه باللام الاستغراقية

فقال ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له ومنه قولهم مجلس فلان مظنة

مظنة للجود والكرم وقد يظن ان ههنا قسما رابعا وهو ان يكون المطلوب

بالكناية الوصف والتخصيص معا مثل ما يقال يكثر الرماد في ساحة عمرو في

الكناية عن ان عمرا مضياف فليس بذاك اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هما

كنايتان وانتقال من لازمين الى ملزومين احد اللازمين كثرة الرماد والثاني

تقييدها وهو قولك في ساحة عمرو واعلم ان الكناية في القسم الثاني والثالث

تارة يكون مسوقة لاجل الموصوف المذكور كما تقول فلان يصلي ويزكي فتتوصل

بذلك الى انه مؤمن وفلان يلبس الغيار وتريد انه يهودي وكالامثلة المذكورة في

وتارة يكون مسوقة لاجل موصوف غير مذكور كما تقول في عرض من يؤذي

المؤمنين المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي اخاه المسلم وتتوصل بذلك

الى نفي الايمان عن المؤذي وكقوله علت كلمته في عرض المنافقين هدى للمتقين

الذين يؤمنون بالغيب اذا فسر الغيب بالغيبة بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن

حضرة النبي عليه السلام او عن حضرة جماعة المسلمين على معنى هدى للذين يؤمنون

عن اخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق واذ قد وعيت ما املي عليك فنقول

متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها
مناسبا واذا لم تكن كذلك نظر فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه
متباعدة لتوسط لوازم كما في كثير الرماد واشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها
مناسبا لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد وان كانت ذات مسافة قريبة
مع نوع من الخفاء نحو عريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها
مناسبا لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال
« رمزت الي مخافة من بعلها « من غير ان تبدي هناك كلامها » وان كانت
لا مع نوع من الخفاء كقول ابي تمام « ابين فما يزرن سوى كريم »
« وحسبك ان يزرن ابا سعيد » فانه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف
كان اطلاق اسم الايماء والاشارة عليها مناسبا وكقول البحتري « أوما رأيت
المجد ألقى رحله « في آل طلحة ثم لم يتحول » فانه في افادة ان آل طلحة امجاد
ظاهر وكقول الآخر « اذا الله لم يسق الا الكرام « فسقى وجوه بني حنبل »
« وسقى ديارهم باكرا « من الغيث في الزمن الممحل » فانه في افادة كرم بني حنبل

166

كما ترى وكقول الآخر « متى تخلو تميم عن كريم « ومسلمة بن عمرو من تميم » فانه في
افادة كرم مسلمة اظهر من الجميع واما قوله « سألت الندى والجود مالي اراكما
تبدلتما ذلا بعز مؤبد « وما بال ركن المجد امسى مهدما » فقالا اصبنا بابن يحيى محمد «
فقلت فهلا متما عند موته « فقد كنتما عبديه في كل مشهد » فقالا اقمنا كي نعزي بفقده
مسافة يوم ثم نتلوه في غد » في افادة جود ابن يحيى ومجده فعلى ما ترى من الظهور
واعلم ان التعريض تارة يكون على سبيل الكناية واخرى على سبيل المجاز فاذا قلت
آذيتني فستعرف واردت المخاطب ومع المخاطب انسانا آخر معتمدا على قرائن
الاحوال كان من القبيل الاول وان لم ترد الا غير المخاطب كان من القبيل
الثاني فتأمل وعلى هذا فقس وفرع ان شئت فقد نبهتك واعلم ان ارباب البلاغة
واصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على ان المجاز ابلغ من الحقيقة وان الاستعارة
اقوى من التصريح بالتشبيه وان الكناية اوقع من الافصاح بالذكر والسبب في
ان المجاز ابلغ من الحقيقة هو ما عرفت ان مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى
اللازم فانت في قولك رعينا الغيث ذاكر للملزوم النبت مريدا به لازمه بمنزلة مدعي الشيء

ببينة فان وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم
لا دآء انفكاكه عنه بل لكون الشيء ملزوما غير ملزوم باعتبار واحد في قولك رعينا
الغيث مدعي للشيء لا ببينة وكم بين ادعاء الشيء لا ببينة وبين ادعائه ببينة الثالث السبب
في ان الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه امران احدهما ان في التصريح بالتشبيه
اعترافا بكون المشبه به اكمل من المشبه في وجه التشبيه على ما قررت في باب
التشبيه والثاني ان في ترك التصريح بالتشبيه الى الاستعارة التي هي مجاز مخصوص
الفائدة التي سمعت في المجاز انفا من دعوى الشيء ببينة والسبب في ان الكناية عن
الشيء اوقع من الافصاح بذكره نظير ما تقدم في المجاز بل عينه بيان ذلك ان
مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم الى الملزوم معتبر ومعلوم عندك
ان الانتقال من اللازم الى الملزوم معتبر يعتمد مساواته اياه لكنهما عند التساوي
يكونان متلازمين فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك بمنزلة الانتقال
من الملزوم الى اللازم فيصير حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببينة
ومع الافصاح بالذكر مدعى لا ببينة وهذا الطريق ينخرط نحو امطرت السماء نباتا

نباتا في سلك نحو رعينا الغيث فافهم هذا ما امكن من تقرير كلام السلف
رحمهم الله في هذين الاصلين ومن ترتيب الانواع فيهما وتذييلهما بما كان يليق
بها وتطبيق البعض منها بالبعض وتوفية كل من ذلك حقه على موجب
مقتضى الصناعة وستجد ما اوردت ذوو البصائر ولئن اوصيتهم ان اوردتهم
كلامي نوع استمالة وفاتهم ذلك في كلام السلف اذا انصفوا ان لا يجحدوا ذلك
منةً للسلف وفضلا لهم عليهم فغير مستبدع في اي ما نوع فرض ان يزل عن
اصحابه ما هو اشبه بذلك النوع في بعض الاصول او الفروع او التطبيق للبعض
بالبعض متى كانوا المخترعين له واما استبدع ذلك ممن يزجي عمره زمانا في
ما يدهم تلك ثم لم يقو ان يتنبه وعلماء هذا الفن وقليل ما هم كانوا في اختراعه
واستخراج اصوله وتمهيد قواعدها واحكام ابوابها وفصولها والنظر في تفاريعها
واستقراء امثلتها اللائقة بها وتلقطها من حيث يجب تلقطها واتعاب
الخاطر في التفتيش والتنقير عن ملاقطها وكد النفس والروح في ركوب المسالك
المتوعرة الى الظفر بها مع تشعب هذا النوع الى شعب بعضها ادق من البعض

وتفننها افانين بعضها اغمض من بعض كما عسى ان تقرع سمعك طرفا من ذلك
فعلو ما وقفت به القوة البشرية اذ ذاك ثم وقع عند فتورها منهم ما هو لازم التقعر
ذا اما بعد فان خلاصة الاصلين هي ان الكلمة لا تفيد البتة الا بالوضع او الاستلزام
بواسطة الوضع واذا استعملت فاما ان يراد معناها وحده او غير معناها
وحده او معناها وغير معناها معا والاول هو الحقيقة في المفرد وهي تستغني
في الافادة بالنفس عن الغير والثاني هو المجاز في المفرد وانه مفتقر الى نصب
دلالة مانعة عن ارادة معنى الكلمة والثالث هو الكناية ولا بد له من دلالة حال
وللحقيقة في المفرد والكناية تشتركان في كونهما حقيقتين وتفترقان في التصريح
وعدم التصريح وغيرهما في المجاز فاما ان يتقدر قائما مقام معناها بواسطة المبالغة
في التشبيه او لا يتقدر والاول هو الاستعارة والثاني هو المجاز المرسل والمذكور في
الاستعارة اما ان يكون هو المشبه به او المشبه والاول هو الاستعارة بالتصريح
والثاني هو الاستعارة بالكناية وقرينتها ان تثبت للمشبه او تنسب اليه ما هو مختص
بالمشبه به والمشبه به المذكور في الاستعارة بالتصريح اما ان يكون مشبهه المتروك

المتروك شيئا له تحقق او شيئا لا تحقق له والاول الاستعارة التحقيقية والثاني
التخييلية والكلمة اذا استندت فاسناده بحسب راي الاصحاب دون راينا
اما ان يكون على وفق عقلك وعلمك او لا يكون والاول هو الحقيقة في الجملة والثاني
هو المجاز فيها ثم ان الحقيقة في الجملة اما ان تكون مقرونة بافادة مستلزم او لا تكون
والاولى داخلة في الكناية والثانية داخلة في التصريح واذ قد عرفنا الحقيقة
في المفرد وفي الجملة وعرفنا فيهما التصريح والكناية وعرفنا المجاز في المفرد وفي الجملة
وعرفنا نوع الكناية من تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة وعرفنا نوع المجاز
من مرسل مفيد وغير مفيد ومن استعارة مصرح بها ومكني عنها وعرفنا ما يتصل
بذلك من التحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية ومن الاصلية والتبعية
على راي الاصحاب دون راينا على ما تقدم والمجردة والمرشحة وحصل لنا العلم
بتفاوت التشبيه في باب المبالغة من الضعف الى القوة ولا بكونه تشبيها مرسلا
وكونه تمثيلا ساذجا وكونه تمثيلا بالاستعارة وكونه مثلا وقضينا الوطر عن
كمال الاطلاع على هذه المقاصد فنقول البلاغة هي بلوغ المتكلم في تادية المعاني

حد له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه
والمجاز والكناية على وجهها ولها اعني البلاغة طرفان اعلى واسفل متباينان
تباينا لا يتراءى له ناراهما وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة فالاسفل
تبتدئ البلاغة منه وهو الحد الذي اذا انتقص منه شيء التحق ذلك الكلام
بما شبهناه به في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ثم تاخذ في التزايد
متصاعدة الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما يقرب منه واعلم
ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن
وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا وطريق
اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين نعم للبلاغة وجوه ملتثمة
ربما تيسرت اماطة اللثام عنها لتجلى عليك اما نفس وجه الاعجاز فلا واما الفصاحة
فهي قسمان راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد وراجع الى اللفظ
وهو ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر لا مما احدثها المولدون ولا

ولا مما اخطأت فيه العامة وان تكون اجرى على قوانين اللغة وان تكون
سليمة عن التنافر والمراد بتعقيد الكلام هو ان يعثر صاحبه فكرك في
متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب
ظنك الى ان لا تدري من اين تتوصل وباي طريق معناه يتحصل كقول الفرزدق
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه او كقول الآخر تمام
ثانيه في كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان اذ هما في الغار
وغير المعقد هو ان يفتح صاحبه لفكرك الطريق المستوي ويمهده وان كان
فيه معاطف نصب عليه المنار واوقد الانوار حتى تسلكه سلوك المتبين
لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته واذ قد وقفت على البلاغة
وعلى الفصاحة المعنوية واللفظية فانا اذكر على سبيل الانموذج اية اكشف
لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يستر عنك ثم ان ساعدك
الذوق ادركت منها ما قد ادرك من تحدوا بها وهي قوله علت كلمته وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي

وقيل بعداً للقوم الظالمين والنظر في هذه الآية من اربع جهات من جهة
علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة
المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية اما النظر فيها من جهة علم البيان و
هو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول انه عز
وجل لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد
وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض
وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضي وان نسوي
السفينة على الجودي فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه
المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد
بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم وان السموات
والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته ايجاداً واعداماً ولمشيته فيها
تغييراً وتبديلاً كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علماً بوجوب
الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده وتصوروا

تصوروا مزيد اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها
في افنية ضمائرهم فكما تلوح لهم اشارته كان المشار اليه مقدماً وكما يرد عليهم امره
كان المأمور به متمماً لا تلقي لاشارته بغير الانقياد والامضاء ولامره بغير
الاذعان والامتثال ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال جلت ذاته
قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة
المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال كما ترى يا ارض ويا سماء
مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في
الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب
الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء لتقوي
الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل
قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون
الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره وخاطب في الامر
ترشيحاً لاستعارة النداء ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل

الجان تسهيلا لاتصال الماء بالارض باتصال الفلك بالملك في اختار ضمير الخطاب
لاجل الترشيح ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل
للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر
قائلا اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على
الجودي وقيل بعدا فلم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوّى السفينة
وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء في صدر الآية سلوكا في كل
واحد من ذلك لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا يتأتى الا من ذي قدرة
لا تكتنه قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون غيره جلت عظمته
قائلا يا ارض ويا سماء ولا غائض ما غاض ولا قاضي مثل ذلك الامر الهائل
او ان يكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية غيره واقراره ثم ختم الكلام
بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار
لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه وان قيامة الطوفان وتلك الصورة
الهائلة ما كانت الا لظلمهم واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في

فائدة

فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير
يا دون سائر اخواتها لكونها اكثر في الاستعمال وانها دالة على بعد المنادى
الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شان العزة والجبروت
وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارض بالكسر لامداد
التهاون ولم يقل يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز عما في
ايتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون
سائر اسمائها لكونه اخف وادور واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في
الارض مع قصد المطابقة وشعر فيها واختير لفظ ابلعي لكونه اخصر ولمـ
جيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بالافراد دون الجمع لما
كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأتى عنها مقام اظهار الكبرياء والجبروت
وهو الوجه في افراد الارض والسماء وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول ان
لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للتلال والجبال والبحار وساكنات
الماء باسرهن نظرا الى مقام ورود الامر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذ بين

المراد اختصر الكلام مع اقلعي احترازا عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه في

ان لم يقل قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت في اختير

غيض على غيض المشدد لكونه اخصر واخف واوفق لقيل وقيل الماء

دون ان يقال ماء طوفان السماء وكذا الامر دون ان يقال امر نوح وهو

انجاز ما كان الله وعد نوحا من هلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء

بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على نحو قيل

وغيض في قصر النداء للمفعول اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة

في قوله وهي تجري بهم مع قصد الاختصار في اللفظ وقيل بعدا للقوم

دون ان يقال ليبعد القوم طلبا للتاكيد مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة

ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى ان

البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة

التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث

النظر الى الكلم واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل

172

يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي دون ان يقال ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء

جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مامورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر

الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض

على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة

الاصل والاصل بالتقديم اولى ثم اتبعهما قوله وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء

واخذه بحجزتها الا ترى اصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماءها

ويا سماء اقلعي عن ارسال الماء فاقلعت عن ارساله وغيض الماء النازل من

السماء فغاض ثم اتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر اي

انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في السفينة ثم اتبعه حديث

السفينة وهو قوله واستوت على الجودي ثم ختمت القصة بما ختمت هذا

كله نظر في الاية من جانبي البلاغة واما النظر فيها من جانب الفصاحة

المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد

يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد بل اذا

جرّبت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق
ألفاظها فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق إلى أذنك إلا ومعناها
أسبق إلى قلبك وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على
ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن
البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الأسلات كل منها كالماء في السلاسة
وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم
آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على ما
ذكرت فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد
لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان وأن لا علم في باب التفسير بعد علم
الأصول أقرأ منه على المراد لمراد الله من كلامه ولا أعون على تعاطي تأويل
مشتبهاته ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه
هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل
ماءه ورونقه ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها واستلبت ماءها

ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم فأخذوا
بها في مآخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة وهم لا يدرون
ولا يدرون أنهم لا يدرون فتلك الآي من مآخذهم في عويل ومن محاملهم
على ويل طويل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم ما لهذا العلم من الشرف
الظاهر والفضل الباهر لم تر علما لقي من الضيم ما لقي ولا مني من سوء
الخسف بما مني أين الذي مهّد له قواعد ورتّب له شواهد وبيّن له حدودا
يرجع إليها وعيّن له رسوما يعرج عليها ووضع له أصولا وقوانين وجمع له حججا
وبراهين وشمّر لضبط متفرقاته ذيله واستنهض في استخلاصها من الأيدي
رجله وخيله علم تراه أيادي سبا فجزء حوته الدبور وجزء سفنته الصبا انظر
باب التحديد فإنه جزء منه في أيدي من هو انظر باب الاستدلال فإنه جزء
منه في أيدي من هو بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم
هي ومن يتولاها وعد عد ولكن الله جلت حكمته إذ وفق لتحصيل العلم
فنه عسى أن يعطى القوس باريها بحول منه عز سلطانه وقوته فما الحول والقوة

الثانية واذ قد تقرر ان البلاغة بمرجعيها وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام
حلة التزيين ويرقيه اعلى درجات التحسين فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار
اليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها وهي قسمان قسم يرجع الى المعنى وقسم
يرجع الى اللفظ فمن القسم الاول **المطابقة** وهي ان تجمع بين متضادين كقوله
اما والذي ابكى واضحك والذي اماته واحيا والذي امره الامر وقوله
علت كلمته قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ومنه **المقابلة** وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين او اكثر وبين ضديهما
ثم اذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده كقوله عز وعلا فاما من اعطى و
اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده
وهو التعسير مشتركا بين اضداد ذلك وهو المنع والاستغناء والتكذيب ومنه
المشاكلة وهي ان تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله قالوا

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا وقوله عز وعلا
صبغة الله وقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله بل يداه مبسوطتان
وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومنه **مراعاة النظير** وهي عبارة عن الجمع بين
المتشابهات كقوله وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدال يؤم الرسم غيره النقط
ومنه **المزاوجة** وهي ان تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر ومنه
اللف والنشر وهو ان تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على
متعلق بواحد ومتعلق باخر من غير تعيين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى
ما هو له كقوله تعالت صفاته ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه **الجمع** وهو ان تدخل شيئين فصاعدا
في نوع واحد كقوله ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة
فنوال الامير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء ومنه **التفريق**
التقسيم وهو ان تذكر شيئا ذا جزئين او اكثر ثم تضيف الى كل واحد

من اجزائه ما هو له عندك كقوله، أدِيبانِ في بَلْخٍ لا يأكلان، اذا صحبا المرء غير الكبد،
فهذا طويلٌ كظل القناة، وهذا قصيرٌ كظلّ الوتد، ومنه الجمع مع التفريق
وهو ان تدخل شيئين في معنى واحد وتفرّق جهتي الادخال كقوله، فقد اسود
كالمسك صدغاً، وقد طاب كالمسك خلقا، فانه شبّه الصدغ والخلق بالمسك
ثم فرّق بين وجهي المشابهة كما ترى ومنه الجمع مع التقسيم وهو ان تجمع امورا
كثيرة تحت حكم ثم تقسّم او تقسّم ثم تجمع مثال الاول قول المتنبي، الدهر معتذرٌ والسيف منتظرٌ،
وارضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ، للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا، والنهب ما
جمعوا والنار ما زرعوا، فانه جمع في البيت الاول ارض العدوّ وما فيها كونها
خالصة للممدوح وقسّم في الثاني ومثال الثاني قول حسان، قوم اذا حاربوا
ضرّوا عدوّهم، او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا، سجيّةٌ تلك منهم غير محدثةٍ،
ان الخلائق فاعلم شرها البدع، فانه قسّم في البيت الاول حيث ذكر ضرّهم
للاعداء ونفعهم للاولياء ثم جمع في الثاني فقال سجيّة تلك ومنه الجمع مع التفريق
والتقسيم كما اذا قلت، فكالنار ضوءاً وكالنار حرّاً محاجبيه وحرقة بابئيه فذلك

فذلك من صنوه في اختيال، وهذا الحرفيه في اختلال، وذلك ان تلحق بهذا
القبيل قوله عزّ وعلا يوم يأتي لا تكلّم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين
شقوا ففي النار وأما الذين سُعدوا ففي الجنة الآية ومنه الايهام وهو ان يكون
للفظ استعمالان قريبٌ وبعيدٌ فيذكر لايهام القريب في الحال الى ان يظهر ان
المراد به البعيد كقوله، حملناهم طرّاً على الدهم بعد ما، خلعنا عليهم بالطعان ملابسا،
اراد بالحمل على الدهم تقييد العدى فاوهم انه اركبهم الخيل الدهم كما ترى وقوله
سبحانه الرحمن على العرش استوى وقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه واكثر المتشابهات من هذا القبيل ومنه
تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو البدر الا انه البحر زاخراً، سوى انه الضرغام
لكنه الوبل، ومنه التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من
قال للاعور، ليت عينيه سواء، وللمتشابهات للقرآن مدخل في هذا النوع باعتبار
ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا احب تسميته بالتجاهل كقوله، ورتبه
اذاك ام نمش بالوشي اكرعه، اذاك ام خاضب بالسي مرتعه، وقولها

ايا شجر الخابور ما لك مورقا، كانك لم تجزع على ابن طريف، وقوله سبحانه
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومنه الاعتراض ويسمى الحشو
وهو ان يدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه كقول طرفة، فسقى ديارك غير مفسدها،
صوب الربيع وديمة تهمي، فادرج غير مفسدها وكما قال النابغة، لعمري وما
عمري علي بهين، وكما قال ابن المعتز، ان يحيى لا زال يحيى صديقي وخليلي
من دون هذا الانام، فادرج لا زال يحيى، وكما قال عز قائلا فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اعتراض وكما قال فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض وقوله لو تعلمون اعتراض
في اعتراض ومنه الاستتباع وهو المدح بشي على وجه يستتبع مدحا آخر
كقوله، نهبت من الاعمار ما لو حويته، لهنئت الدنيا بانك خالد، الا تراه كيف
مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكمال السخاء وجلال القدر من وجه
آخر ويوضح لك ما ذكرت اذا قلت له لو كنت نهبت من الاعمار ما لو اجتمع
لك لبقيت مخلدا ومنه الالتفات وقد سبق ذكره في علم المعاني ومنه تقليل

تقليل الالفاظ ولا تقليلها مثل يا وهبا وغاض وغيض اذا صادف
الموقع ويتفرع عليهما الايجاز في الكلام والاطناب فيه وقد سبقا في الذكر
ومن القسم الثاني التجنيس وهو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر منه في
باب الاستحسان عدة انواع احدها التجنيس التام وهو ان لا يتفاوت المتجانسان
في اللفظ كقولك رحبة رحبة وثانيها التجنيس الناقص وهو ان يختلفا في
الهيئة دون الصورة كقولك البرد مع البرد وقولك البدعة شرك الشرك
وكقولك الجهول اما مفرط او مفرط والمشدد في هذا الباب يقام مقام المخفف
نظرا الى الصورة فاعلم وثالثها التجنيس المذيل وهو ان يختلفا بزيادة حرف
كقولك قلبي كالي وجدي جدي وكاس كاسب ورابعها التجنيس المضارع او
المطرف وهو ان يختلفا بحرف او حرفين مع تقارب المخرج كقولك في الحرف
الواحد امس وطامس وحصب وحسب وكتب وكتم وفي الحرفين كقولهم
ما خصصتني وما خصصتني وخامسها التجنيس اللاحق وهو ان يختلفا لا مع
التقارب كقولك سعيد بعيد وكاتب كاذب وغايب عايب في المختلفان في

اللاحق اذا اتفقا كتبة لقولك عاب عاث تجنيس تصحيف والمتجانسان
اذا وردا على قولهم من طلب شيئا وجد وجد او قولهم من قرع بابا ولج ولج او على نحو
المؤمنون هينون لينون وجئتك من سبا بنبا او على نحو قولهم النبيذ بغير النغم
غم وبغير الدسم سم سمي ذلك مزدوجا ومكررا ومرددا وههنا نوع آخر يسمى تجنيسا
مشوشا ومثل قولك بلاغة وبراعة واذا وقع احد المتجانسين في التام مركبا و
لم يكن مخالفا في الخط كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة
سمي متشابها وان كان مخالفا في الخط كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا
ما الذي ضر مدير الكاس لو جاملنا سمي مفروقا ومما يلحق بالتجنيس نظير قوله عز وجل
قال اني لعملكم من القالين وقوله وجنى الجنتين وكثيرا ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان
الى اصل واحد في الاشتقاق مثل ما في قوله عز اسمه فاقم وجهك للدين القيم وقوله
فروح وريحان ومن جهات الحسن رد العجز على الصدر وهو ان يكون احدى الكلمتين
المكررتين او المتجانستين او الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والاخرى قبلها في
احد المواضع الخمسة من البيت وهي صدر المصراع الاول وحشوه وآخره وصدر

صدر المصراع الثاني وحشوه كما اذا قلت مشتهر في علمه وحلمه وزهده
وعهده مشتهر في علمه مشتهر وزهده وعهده وحلمه مشتهر في علمه و
حلمه مشتهر وزهده وعهده مشتهر في علمه وحلمه وزهده مشتهر وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده وعهده مشتهر مشتهر والمحسن في هذا النوع
ان لا يرجع الصدر والعجز الى التكرار ومن جهات الحسن القلب كقولك
حسامه فتح لاوليائه حتف لاعدائه وانه يسمى مقلوب الكل وكقوله اللهم استر
عوراتنا وآمن روعاتنا وانه يسمى مقلوب البعض واذا وقع احد المقلوبين في
الكل في اول البيت والثاني في آخره سمي مقلوبا مجنحا واذا وقع قلب الكل في
كلمتين او اكثر شعرا او غير شعر كقولك كبل مليك وخان اذا ناخ وكقوله
اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا سمي مقلوبا مستويا ومن جهات
الحسن الاسجاع وهي في النثر كالقوافي في الشعر ومن جهاته الفواصل القرآنية
والكلام في ذلك ظاهر ومن جهات الترصيع وهو ان يكون الالفاظ مستوية
الاوزان متفقة الاعجاز او متقاربتها كقوله عز اسمه ان الينا ايابهم ثم ان علينا

حسابهم وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وكقوله وآتيناهما
الكتاب المستبين وهديناهما الصراط واصل الحسن في جميع ذلك ان يكون
الالفاظ توابع للمعاني لا ان يكون المعاني لها توابع اعني ان لا يكون متكلفة
ويورد الاصحاب ههنا انواعا مثل كون الحروف منقوطة او غير منقوطة
او البعض منقوطا والبعض غير منقوط بالسوية فلك ان تستخرج من هذا
القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما احببت واذ قد تحقق ان علم
المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني
ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما تفي به قوة ذكائك
وعندك علم ان مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد
من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت ان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي
ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان وحين انتصب للافادة
لزمنا ان لا نفض شيء هو من جملته وان نستمد الله التوفيق في تكملة
فقد تم علم البيان بتوفيق الملك الديان منه المستعان وعليه التكلان

178

ختمت كتابة الفنون الثلاثة ، رجاء من الله علوم الهداية
ضحى الاحد السادس من الشهر الآخر ، من الحج النحس قبيل القراءة
بقلعة عثمان تسمى بروسا ، حماها واياها بحصن الامانة
واسأل ان اعطي يدي فضيلة ، بها نكسب اهبة لاجل القيامة
ويرحم من يدعو لنسخ مسود ، ويصلح خبطه عقيب الدراية
حبست لنفسي اذ طلبت بوقفها ، جزيل نواله بدار السلامة

صحيح بلا ريب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ان احسن مفتاح لاستكشاف مغالق ابواب المقاصد
وابين مصباح لايضاح المطالب وتلخيص موائد الفوائد
حمد من بعنايته الاطلاع على اسرار البلاغه ودلائل الاعجاز
وشكر من بتوفيقه الوقوف على نكت الفصاحه ورتب الاطناب والايجاز
واولى قول بمقتضى المقام والحال بعد اداء الحمد وقضاء شكر
ذي المن والافضال واحرى مدح به الى نيل الشفاعة يتوسل
هو الصلوة والسلام على النبي المرسل محمد خاتم الانبياء
العظام وعلى آله وصحبه الكرام وبعد فان علم البلاغة
من العلوم كالبدر من النجوم حسنا وكمالا وكالشمس في
رابعة النهار على الفلك الدوار عزا وجلالا اذ به يمكن الغوص
في تيار بحار غوامض التنزيل وبه يتمكن من استخراج
فرائد فوائد التفسير والتأويل والمفتاح والكشاف في

هذا الفن من التصانيف كبيت القصيدة وشمسة القلادة
عند ارباب التعاريف فبالهما من غرر الدرر ودرر الفكر
في سلك العبارات الفصيحة ونظم الاستعارات المليحة
لم ير ولم ير مثلهما في كتب المتقدمين ولن يوازيهما او
يدانيهما ما يسمح به افكار المتأخرين مبانيهما رائقة ومعانيهما
فائقة مطالعهما مطبوعة ومقاطعهما مصنوعة وبذلك
اشتهرا اتم اشتهار وبمعرفتهما المباهاة والافتخار وقد قرأ
علي المفتاح من البداية الى النهاية والزهراوين من الكشاف
على وجه الدراية الشاب الالمعي والفتى اللوذعي المتوجه
بصفاء القريحة وحدة البصيرة الى طرق اكتساب العلوم والمعارف
والمجتهد بصدق الهمة وجودة الفطنة في استكشاف الحقائق
واللطائف وانه قد سعى في تحركهما بقدر المغتنم والذكا سعيا
جميلا وبذل جهده في تقييدها وابدى ما دهرا طويلا واقتبس

من انوار اللطايف المندرجة فى مطاويهما واقتبس من الاسرار المحتوية
عليها فى مخاويهما فاستوفى منهما حظا وافرا حتى صار بين بنى
الفن ماهرا وهو الحسيب النسيب والفاضل اللبيب
والعالم النجيب المعروف بالشيخ الطبيب الملقب بجمال الملة
والدين شرفه الله بضياء الحق وانس اليقين ولما اجال
طرف الطرف فى ميدان مسايلهما وسلك مسالك حقايق دلايلهما
وروى من مشارب معارفهما وحظى بمشاهدة لطايفهما
استجازنى فى القراءة والرواية لتكون من الشواهد له على الدراية
فاجبته بموجب مسوله والتزمت بتحصيل مأموله فاستخرت
الله واجزته لان يفيد كما استفاد شارطا عليه ما شرط على
الاستاد ومولانا امام العلامة الربانى السيد علاء الملة والدين
الجاجانى ادام الله معاليه ومد ايامه ولياليه والشرط هو التامل
الصادق والتفكر اللايق فى المداخل والمخارج من المضايق

وفى حل المعاقد وفتح المغالق فان ذلك سيرة من اهتدى واسترشد
وتجنب عن الغواية وبالتوفيق تايد وصرف قوة الدهاء والفراسة
وجودة الذكاء والكياسة فى مسارح الانظار ومطارح الافكار
واقتفى اثر من على منهج الحق قد مشى وذلك فضل الله يوتيه
من يشاء جعلنا الله واياه من الفايزين بفضله والحايزين
للرقيب والمعلى من قداح منته وطوله وصلى الله على سيدنا
محمد واله ما لاح لاحد معنى بباله ونسج الكلام على منواله

حرره الواثق بالله الفقير صفرشاه
شرفه الله بنيل ما يتوخاه فى اولاه واخراه
فى اواخر الجمادى الاولى لسنة اربع
وتسعين وسبعمائة
الهجرية